د. محمد توفيق صدقى

نظرة فى كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية



تحقيق وتقديم

خالد محمد عبده

مكتبة النافذة

نظرة في كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية

د . محمد توفيق صدقي

مكتبة النافذة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

"محمد توفيق صدقي"

* ولد محمد توفيق صدقي يوم ٢٤ شوال سنة ١٢٩٨ هجرية الموافق ١٩ سبتمبر سنة ١٨٨١م أى بعد مظاهرة عابدين (٩ سبتمبر ١٨٨١م).
* تلقى تعليمه الدينى فى «المكتب=الكُتّاب» على عادة تلك الفترة الراقية، فأتم حفظ القرآن فى سن مبكرة.
* نال جائزة المدرسة الابتدائية سنة ١٨٩٦ ثم دخل المدارس الثانوية ونال جائزتها سنة ١٩٠٠م.
* التحق بمدرسة الطب ونال إجازتها سنة ١٩٠٤م بتفوق، حتى أعطته وزارة المعارف شهادة شكر وتقدير مؤرخة (٢يوليو سنة ١٩٠٤م).
* فى هذه الفترة، وحين دراسته للطب فى الجامعة، كان قد دخل مرحلة من مراحل الشك المنهجى. نابذاً فيها التقاليد والعادات والعقائد. وكان يصاحب فى هذه الفترة صديقه وتربه عبده إبراهيم والذى كان متديـنًا بالمسيحية. وكانت هذه الحقبة تتسم بعلو النزعة المادية فى تفسيرها للطبيعة والحياة، وما وراء الطبيعة من عالم الغيبيات (الروح-البعث-الآخرة)، ولكن صاحبنا لم ير فى اعتناق هذه المذاهب المادية ما يشبع رغبة العاقل الباحث عن حق إلا بعد دراسة متجردة لا يقيم فيها أمراً على (مُسَلَّم قبلى) يقيس عليه الأمور منبثقًا من الدين، حتى ولو كان الإسلام، فهو لا يعرف عنه شيئاً سوى اسمه فقد ورثه كغيره من عامة المسلمين.
* لم تشغل صاحبنا معركة الخبز والعيش عن أطروحة التفكير التى اعترته، ولم

يجرفه بحر الحياة فيعيش كـغيره، لكنه وضع فى ضميره قاعدة الغزالى: من لم يشك لم ينظر، وقـاعدة النظام: أول واجب على المكلف الـشك، وأخذ يراقب طنين الأفكار والمذاهب المتصارعة حوله، ويبحث فى الأمور التى علق بقلبه الشك منها خاصة مـسألتى الروح والبعث، وأخذ يقلب فى الكتب التى تحدثت عن ذلك مقدس وغير مقـدس حتى وصل إلى حقيقة الحق فى دائرة الإسلام الحنيف.

* فى هذه الفترة أحس مـحمد توفيق صدقى بـواجب لابد من ممارسته، وهو إعلان مـا توصل إليـه من نتائج، والدعـوة إليه خـاصة عند المصـابين بداء الكسل الفكرى، أضف إلـى ذلك أن متـبنى المذهب المادى كـانوا ينشـرونه ويدعون إليه، يظهر لك ذلك من أول كتاباته (الدين فى نظر العقل الصحيح) قال فى مقدمته متحدثًا عن سبب تأليفه:

«قرأت فى إحدى المجلات العربية مقالة بقلم أحد طلبة المدارس العالية ذكر فيها شيئًا من المذهب المادى فى مصير الإنسان وأصله، وتبجح بأن هذا هو معتقده وأن لا حقّ بعد ذلك»

ولما كانت هذه الأفكار وأمـثالها مما يخالج قلوب شـبابنا (اليوم) [1] حـتى صـار جمـهورهم لا يعبأ بعـقائد الدين، ويظن أنها ضـرب من أساطير الأولية لا حـاجة لعصرنا الحاضر بها. . .[2].

• الباعث على تأليفه:

«تحركت نفـسى لكتابة شئ فى هذا الموضـوع بعد عمل الفكر وإحـالة النظر فى أطرافه».

---

(١) هذه الحالة دائمة الصـيرودة والسيرورة، قارن ما كتـبه الغزالى فى مصيحـة تحذير من دعاة التنصير ص٢٠، ٢١ دار نهضة مصر.

(٢) قارن أطروحـات طيب تزينى، عـبد المجيـد الشـرفى، محـمد أركون عن تجـديد الفكر الإسلامى.

• الاستقلال فى الاستدلال (العقلانية):

«وجعلت اعتمادى فيما أقول على البراهين العقلية الصحيحة التى تنتهى إلى البديهات بحيث لا تجد فرقًا بينها وبين البراهين الرياضية، لتكون أعظم مؤثر فى قلوبهم، وليعلموا أن الدين فى نظرياتها وأوهامها».

* مارس محمد توفيق صدقى فى كتاباته محاولة التوفيق بين العلم والدين، وعرض نتائج العلم على الدين، فما وافقه قبله، ولم يجد غضاضة فيما يثيره التقليديون من إشكالات حول أطروحاته، فعلى سبيل المثال حينما تعرض لبحث قضيتهم فى بدء الخليقة وجد أن النص القرآنى لا يلزم باعتقاد خاص فى هذا العقيدة ، ومن الممكن أن يكون آدم أتى بعد مجموعة من البشر، وأنه ليس أصل النوع البشرى، وآيات القرآن تؤكد ذلك.

وقد كان سباقًا إلى عرض هذه الفكرة - حسب قول محمد رشيد رضا فى المنار مجلد ٢١ ج٩ ص٤٨٩ - متناولاً لها تناولاً غير الذى طرحه فى تفسيره (الإمام محمد عبده)، فحينما ذهب الأستاذ الإمام إلى أنه (ليس المراد بالنفس الواحدة آدم بالنص ولا بالظاهر ..... فمن الناس من لا يعرفون آدم ولا حواء ولم يسمعوا بهما...) [1] كان يشير إلى أن القرآن حينما يتحدث عن مثل هذه الأمور فهو يتحدث من قبيل تحريك العبرة وتذكير الناس بالنعمة وتحفيز للفكرة، لا تقريرًا لقواعد الطبيعة ولا إلزامات باعتقاد خاص فى الخليقة [2].

رأى صدقى أن مذهب (داروين) هو أسمى ما وصل إليه الفكر البشرى لحل معميات (الآثار الجيولوجية، الأعضاء الأثرية، التشابه العظيم بين الحيوانات،

---

(١) ج٥ صـ١٦٠ الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده تحقيق د. محمد عمارة ط٣ دار الشروق سنة ١٩٩١م.

(٢) ج١ صـ١٨٧ الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده تحقيق د. محمد عمارة ط٣ دار الشروق سنة ١٩٩١م.

وخصوصًا بين أجنتها، وغير ذلك من المسائل العلمية فى عالمى الحيوانات والنباتات التى لا يمكن تعاملها بأحسن من هذا المذهب) ولكن لا ينتج من ذلك أنه الحق الذى لا يصل البشر إلى تعليل آخر، فكم من نظريات عمل بها العالم أجيالاً وقرونًا فى تفسير كثير من المسائل وقد اعتقدنا الآن خلافها (١).

ولا يعنى هذا أنه كان متبنيًا لمذهب (داروين) بل كان يقول: «إنه نظريات ظنية، وأنه إذا ثبت لا ينقض شيئًا من نصوص القرآن، بل يمكن أن يؤخذ من القرآن ما يوافقه».

بل تعدى الأمر إلى رده لمذهب داروين ردًا شديدًا قال فيه: (أنه أورد عليه فى بعض مقالاته احتمالات تقوض أركانه وتدك أسس برهانه، حتى أن كبيرًا من أعظم أنصاره فى الشرق لم يقدر على الرد علينا- يعنى الدكتور شبلى شعيل).

لكن البعض لم يعجبه رأى (صدقى) فانبرى للرد عليه فى الجرائد اليومية - آنئذ - ونشر بعض هذه الردود محمد رشيد رضا فى (المنار) وقام بنقدها والدفاع عنها صدقى، ووصفه بالمجتهد المخلص الذى حرص على نشر دعوة الإسلام، ودفع شبه أعدائه.

* فى هذه الأثناء كان (صدقى) يشتغل بالطب، فقد كان طبيبًا بمستشفى القصر العينى سنة ١٩٠٤م، ثم طبيبًا بمصلحة السجون سنة ١٩٠٥، وكما كان بارعًا فى أبحاثه الدينية، كان بارعًا فى مجال الطب، رقى طبيباً درجة أولى سنة ١٩١١م، ثم نال (النيشان) المجيدى الخامس سنة ١٩١٣م، «دعوى إنكاره للسنة» كما عهد إليه بتحرير المجلة الطبية التى أنشأتها جمعية الأطباء بمصر.

* وحينما كان يترقى فى المناصب العلمية كان يرتقى فكريًا ودينيًا، فشغل بقضية الإصلاح الدينى واعتماد العقل كأصل من أصول البحث الذى يستطيع

(١) راجع: «الدين فى نظر العقل الدينى» ص٩٥، ٩٦ ط المنار سنة ١٣٢٣هـ.

الإنسان به أن يطور من الأفكار ، لا أن يقف عند مفهوم السابقين، أو أن يلتزم بنصوصيتهم، أو أن يقف عند ظاهر القرآن، أو أن يسلم بكل ما فى السنة (صحيحها وضعيفها) وفى هذه الفترة كان صدقى مشتغلاً بصد حملات التبشير والتنصير، مواجهًا كل الشبه والافتراءات فى تؤدة ورؤية حتى يدحضها علميًا، لكى تتأصل عند المسلم موثوقيته من أصول دينية.

* وكانت الدعوة السلفية منتشرة فى عصره، ولكنها كانت متسمة بالجمود الفكرى التسليمى، فأراد أن يقشع غياهب الظلام التى تأصلت من خلالها فتحجبت رؤية الناس عن فهم الإسلام الصحيح، لكنه قبل ذلك، وفى وقت الطب أخرج مقالة فى (المنار) بعنوان: (الإسلام هو القرآن وحده) هى فى حقيقتها عبارة عن رأى اجتهادى وشبهة عارضة لكثير من الباحثين المستقلين رأى (محمد رشيد رضا) أن ينشرها المؤلف فى المنار، كى تعرض على علماء مصر وسائر الأقطار.

ثم عقب عليها رشيد رضا بقوله:

«فنحن ندعو علماء الأزهر وغيرهم إلى بيان الحق فى هذه المسألة بالدلائل، ودفع ما عرض دونه من الشبهات، فإن المحافظة على الدين فى هذه العصر لا تكون بالنظر فى شبهات الفلسفة اليونانية، أو شذوذ الفرق الإسلامية التى انقرضت مذاهبها، وإنما تكون بإقناع المتعلمين من أهله بحقية الدين، ودفع ما يعرض لهم من الشبهات على أصوله وفروعه الثابتة. . .».

وقد كتب (صدقى) فى آخر مقالته: «فهذه أفكارى فى هذه المواضيع أعرضها على عقلاء المسلمين وعلمائهم، وأرجو ممن يعتقد أننى فى ضلال أن يرشدنى إلى الحق، وإلا كان عند الله آثمًا»[1].

(١) جدير بالذكر أن أبقاع التيار السلفى الجاد فى عصرنا لم يروا فى (صدقى) إلا أنه منكر للسنة، ومبتدع آخر بالإسلام، ولا يعيرون جهوده التى سنذكرها بعد قليل أى اهتمام كما

ومقـولة (صـدقى) تدل على طلب الحق وعـدم بعـده عن المنهج الإسـلامى الرشيد، إلا أن رأيه لم يعـجب كثيراً من علماء الأزهر، فانبـروا للرد عليه، وكان أول من رد عليه الشيخ (طه البـشرى) نجل الشيخ (سليم البشرى) الذى كـان شيخًا للجامع الأزهر آنذاك، ونشر رده فى (المنار)

مجلد ٩ من ص ٦٩٩ - ٧١١، ثم نشر مقـالاً آخر فى (نفس المجلة) مجلد ٩ من ص ٧٧١ - ٧٨١.

فرد عليـه (صدقى) بمقالة فى نفس المجلد مـن صـ ٩٠٦ - ٩٢٥ ثم علق عليه (محمد رشيد رضا) فى نفس المجلد من ص ٩٢٥ - ٩٣٠ مما حدا بصدقى إلى أن يكتب مقالة صـغيرة نشرت فى المجلد العاشـر ص١٤٠ بعنوان (أصول الإسلام - كلمة إنصاف واعتراف) ننقل لك بعضها كى تتبين صحة موقف الرجل، ونزوله عن الموقف الذى تبناه دونما كبر واستعلاء، ولعله تمثل موقف السلف فمثلاً فى العز بن عبد السلام قال (صدقى):

«أعترف بخطأى هذا علـى رؤوس الأشهاد، وأستغـفر الله ما قلته أو كتـبته فى ذلك، وأسـأله الصيـانة عن الوقوع فـى مثل هذا الخطأ مـرة أخرى. وأصـرح بأن اعتقـادى الذى ظهر لى من هذا البحث بعد طول التفكيـر والتدبر هو: أن الإسلام هو القرآن ومـا أجمع عليه السلف والخلف من المسلمـين عملاً واعتـقاداً أنه دين واجب، وبعبارة أخرى: أن أصْلى الإسلام اللذين عليـهما بنى هما الكتاب والسنة النبوية بمعناها عند السلف، أى طريقته صلى الله عليه وسلم التى جرى عليها العمل فى الدين».

لعل النص السابق يظهر لك موقف (صدقى) من السنة النبوية، مما يجعل وصف

= أنهم لم يقرؤا مـا كتب هو بخـصوص السنة، مما يدل على أنهم مـتبعـون لهواهم، لا يدققون فى شئ، فأحكامهم مسبقة دون فكر وترو، مما يجعل وصمهم بالمتخلفين الرجعين - من قبل العلمانيين - وصفًا له دلالته.

(رشيد رضا) له بأنه (سليم العقيدة مؤمنًا بالألوهية والرسالة، على وفق ما عليه جماعة المسلمين مؤديًا للفريضة، وهو المجتهد الذى كان متصرًا لرسالة الإسلام) مدعمًا لما وصلت إليه من أن الرجل كان معتدلاً فى مواقفه تجاه السنة.

* وتأصيلاً لمفاهيم الإسلام، وتبيينًا لصورته الصحيحة، رأى المؤلف أن يبحث فى أصول الإسلام، ثم خرج ليكتب مقالته عن (التواتر والنسخ وأخبار الآحاد والسنة) والتى نشرت فى [(المنار) مجلد ١١ ص ٥٩٤، ٦٨٨، ٧٧١]، وكتب بعدها (محمد رشيد رضا) مقالاً عن نفس الموضوع.

* تحول المؤلف إلى وجهة أعمق وأدق من وجهاته السابقة فى البحث الدينى، فبحث فى أصول الديانات، وهنا عكف على قراءة التراث الخالص بالإسلام، والمسيحية واليهودية، ثم قارن ذلك بالكتب المقدسة عند أرباب هذه الأديان، وساعدته معرفته باللغات الأجنبية على الاطلاع والتنقيب فى المصادر الغربية التى تحدثت عن الأديان، مما أصقل معارفه فى هذا الباب، إلى حد البراع.

* ويعترى الإنسان الأسف حينما نعلم أن شخصية كهذه لم تعرف داخل المستوى الثقافى التخصصى لعلم (مقارنة الأديان) إلى جانب نبذة بصفات (. . .) لا تتفق وجهوده، ولعل موقف أتباع التيار السلفى الحديث بنى على بغض النصارى لـ (صدقى)، فاتحد السلفيون المحدثون مع الأرثوذكس فى تعصبهم على الرجل.

خاصة وأن (صدقى) قد تكفل بكسر شوكتهم (أى النصارى) فقام بدراسات نقدية لكتب العهد الجديد، وعقائد النصرانية، كما كان واقفًا فى وجه النصوصيين المتعالمين، لعل ذلك هو سبب اتحاد الموقف تجاهه من الجانبين.

* إذ كان الرجل مطلعًا على أعمال المبشرين، مما دعا إلى مناظرتهم والرد عليهم، ويصف محمد رشيد رضا كتاباته فى هذا المقال بأنها: (لا يغنى عنها أكبر الكتب المصنفة فى الرد عليهم).

من آثاره العلمية:

مقالات [١]:

١- الإصلاح الإسلامى (جملة مقالات).

٢- الإسلام هو القرآن وحده.

٣- القرآن والعلم.

٤- التواتر والآحاد والنسخ.

٥- تحريم الخنزير ونجاسة الكلب.

٦- بحث فى تعدد الزوجات.

٧- الماديون الإلهيون فلسفة صحيحة.

٨- فى فلسفة الوجود (وهى آخر ما كتبه بيده)

٩- حجاب المرأة المسلمة.

١٠- خوارق العادات فى الإسلام.

١١- القرابين والضحايا فى الإسلام.

١٢- الرق فى الإسلام.

كتب:

١ - تاريخ المصاحف.

٢ - الخلاصة البرهانية على صحة الديانة الإسلامية.

٣ - الإسلام والرد على اللورد كرومر.

---

(١) نشرت مقالاته فى كثير من المجلات والجرائد الراقية، كالمنار والمؤيد واللواء والشعب والعلم بمصر، وأكثرها نشراً لمقالاته وجميع كتبه "المنار" لمنشئها محمد رشيد رضا، صديق المؤلف، وكان بمثابة الأستاذ له.

٤ - الدين فى نظر العقل الصحيح.

٥ - دين الله فى كتب أنبيائه.

٦ - نظريتى فى صلب المسيح.

٧ - نظرة فى كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية.

٨ - دروس من سنة الكائنات.

٩ - العظات فى مضار المسكرات.

* قضى صدقى شطراً كبيراً من عمره (الأربعين سنة) فى كتابة المقالات والكتب والأبحاث العلمية، التى تشرح عقيدة الإسلام بعبارة صافية، وتنقح عقائد الآخر بمفهوم نقدى، وتدعو العامل لكى يفكر فيما يعتنقه من مبادئ وعقائد، ولعل أصدق صفة منحت له ما وصفه به (رشيد رضا) من أنه كان ركنًا من أركان العلم والإصلاح فى مصر.

* كان الرجل مؤمنًا بالقدر، مطبقًا لتعاليم الإسلام فى حياته، فالعقيدة لديه عمل لا مظهرية خواء فارغة تشتغل باللفظ والمبنى دون أن تتعب نفسها فى تطبيق المعنى، وعلى الرغم من رجاحة عقله العلمى، وطول يده فى مجال الطب، إلا أنه كان يسلم الأمر كله لله، فيبدو صوفيًا قابعًا فى محرابة، وأترك لك الحكم من خلال قصة رامزة معبرة رواها بشأن مرض لازمه سنينًا: «أصبت منذ سنين بمرض عضال فى رجلى اليسرى ذقت فيه من الآلام ما لا يمكن تصوره، وحرمت لذيذ الكسرى، واستعذبت الموت تخلصًا مما كنت أقاسيه، وقد باشر معالجتى نحو العشرين من مشاهير الأطباء والجراحين من الأجانب والوطنيين، وعملت ثلاث عمليات جراحية، وقد قرر الأطباء خطورة الحال، وقطعت كل أمل فى النجاة، ولكن بعد أن ذقت الشدائد لطف الله بى ومنّ علىّ بالشفاء، وقد أجمع حضرات الأطباء -

على اختـلاف جنسياتهم وأديانهم - بأن عدم مـعاشرتى الخمـر هو العامل الوحيد فى شفائى - بعد قدرة الله - وأكدوا بأنى لو كنت ممن اعتادوا شرب الخمر ما شفيت قط. . .[1]».

* فى سنة ١٩٢٠ توفى صديقه وتربه وصـفوه (عبده إبراهيم) [2] رفيق دراسـته وبحثه عن الحقيـقة ويبدو أن القدر شاء ألا يستمر (صدقى) فى مـعركة الحياة بعد صديقه، فكان أن مرض (صدقى) بـ (حـمى التيفوس) - مثل صديقه - وكان مرضه شـديد الوطأ عليه لم يمهله إلا أسبوعًا حتى فـارق الحياة الدنيا منتقلاً إلى جوار ربه فى يوم الأربعاء ٢١ من شهر أبريل سنة ١٩٢٠م الموافق ٢ من شهر شعبان سنة ١٣٣٨هـ.

* لما علم (محمـد رشيد رضا) بخبر وفـاته - كان فى دمشق مشغـولاً بأعمال رئاسة المؤتمر السورى، وقراءة دروس فى الجامع الأمـوى الكبير، وكان البريد ممنوعًا بين القطرين - هب لنعيه بكلمة أرسلها للمنار ونشرت فى المجلد ٢١ الجزء ٨ ص٤٤٧ ,٤٤٨ قال فى مفتتحها:

«فى أوائل شهرشـعبان من هذه السنة ١٣٣٨هـ فقد الإسـلام رجلاً من أفضل رجاله دينًا وتقـوى، وأقوى أنصاره حـجة، وأخلصهم نيـة. صديقنا الصـيفى ولينا الدكتور محمد توفيق صدقى، المعروف عند قراء المنار فى مشارق الأرض ومغاربها بمقالاته الكثيرة المفيدة، من دينية، وعلمية، تغمده الله برحمته. . .».

(١) عن العظات فى "حصـار المكسرات للمؤلف": تجدر الإشارة إلى أن هذه الـرسالة طبعت على نفقته رحمه الله - لتوزيعها مجانًا، مما يؤكد لك ممارسة هذا الرجل للدعوة، وعلى حد قول (رشيد رضا) وكان من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

(٢) كان نصـرانيًا فأسلم، ورفض أن يعلن إسلامـه فى المحكمة الشرعـية، فلما سأله (رشـيد رضا) عن ذلك قال: إننى مؤمن مسلم لله لا لأجل شئ من المعـاملات الدنيوية، وبعد ما تقلب فى الوظائف الطبية صـار ودودًا لأهله يفيض عليهم من راتبه ويواسيـهم بعد أن كانوا ممتعـضين من إسلامـه، وآثر حياة العزلـة واهتم بتربية أولاده إلى أن توفـاة الله إثر (خمس التيفوس).

* وعلى غير عادة (مجلة المنار) ترجمه الشيخ (محمد رشيد رضا) لمحمد توفيق، وأرجع سبب ترجمته لـ (صدقى) إلى أن فيها «عبرة فى الإصلاح الدينى والاجتماعى» تفيد المصريين وغيرهم من العرب.

«وصديقنا الطبيب محمد توفيق صدقى لم يكن من أصحاب المناصب الدنيوية، ولا من الخاملين المغمورين، بل كان رحمه الله من طبقة الوسط - التى هى خير الطبقات - وأهل الطبقة العليا فى المناصب والمظاهر الدنيوية يقل أن يوجد فيها رجل من أولى الفضيلة والإصلاح».

* وفى النهاية نختتم بجملة القول عن (صدقى) والتى ذكرها (محمد رشيد رضا) فى ترجمته له، والتى كانت عماداً فى تأريخنا له:

«إن الطبيب محمد توفيق صدقى رحمه الله تعالى كان ركنًا من أركان العلم والإصلاح فى مصر، ولم نجد صديقًا لنا ولا تلميذًا (فى مصر ولا غيرها) خدم المنار وكان له مساعدة ثمينة فى تحريره، وقد كان محسنًا شكوراً يذكر دائمة منة المنار وصاحبه عليه.

ونحن نعترف بأن منّته علينا أكبر فقد كان فوق إخلاصه فى صداقته ومساعدته القلمية للمنار طبيب بيتنا، وفضله كبير على أولادنا فرحمه الله تعالى وجزاه أفضل الجزاء عنا وعن نفسه ودينه وأمته».

* * * *

كتاب: نظرة فى كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية

* يمثل هذا الكتاب وثيقة علمية هى نتاج معترك فكرى كان دائراً بين المصلحين والتقليديين، وهو بمثابة حوار عقلى نابع من التحليل والاستدلال من معطيات النصوص المتناولة، وهو إن دل على نضج العقل العربى فى حقل الدرس المقارن للأديان، والدعوة إلى الاحتكام إلى مقاييس العقل، العقل وحده، لا اتباعًا لعقيدة أو تقليد.

* يمثل الكتاب ثورة تجديدية للكتابات العربية فى علم الأديان المقارن، إذ لم يكن عالة على سابقيه من الإسلاميين الذين كتبوا فى القرون السابعة، والذين باتوا مرتكزاً للتأصيل لا يستطاع الفكاك من أسره، أو التجديد عليه، أو التوليد من أفكاره العتيقة [1]، وأضحت كل كتابته تقليداً بحتًا، وهذا مما

(١) قارن: الكتابات فى (مصر) وفى (بلاد الحجاز=السعودية) فمازالت الأطروحات، على سبيل المثال: موضع التبشير بمحمد ﷺ فى الكتاب المقدس كتب فيه كثيرًا ومازالت الأطروحات تكرارية فقل أن تجد فيها معلومة مغايرة للأخرى، أو غير موجودة عند التراثيين، وكذلك مسألة "تحريف الكتاب المقدس" لم تأت أطروحة متناولة للموضوع بكل جوانبه، أضف إلى ذلك أن حكم القرآن على الكتاب غير قطعى، ولم يطرح أحدهم ذلك فى دراساته، فى حين اهتم المسيحيون بكلام القرآن عن الكتاب المقدس، وقاموا بطرح إشكالاتهم حول موقف القرآن، والتى انبعث من دراسات العلماء الغربيين، راجع: «شفاء الغليل فيما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل للجوينى نشره (م. آلار) (M.Allard) ببيروت سنة ١٩٦٨ مع اللمع فى قواعد أهل السنة بعنوان (Textes apologetigues de Guwaini) من ص ٣٨-٨٣ مع ترجمته إلى الفرنسية، وقارن ما طرحه الأب درة الحداد فى دراسته «المسيحية فى القرآن» وما كتب تحت عنوان «الإتقان فى تحريف القرآن» جدير بالذكر أن معاملة الشبه الحديثة بمثل الطرح الكلاسيكى، لا يتناسب مع الدراسات العلمية، لأنه يقابل بالسخرية من الآخر، ولعل هذا ما أعنيه بالتكرارية.

صرح به كثير من الأساتذة المهتمين بدراسة الأديان أمثال أستاذ «محمد عبدالله الشرقاوى» (راجع: مقدماته التحقيقية لكتب التراث الدينى، وكتاب مقارنة الأديان).

* أقول إن الكتاب يمثل تجديداً فى هذا الحقل، يظهر لك ذلك من أطروحات المؤلف فى ثنايا الكتاب والتى لا تعدم فى أى منها طرحًا جديداً، أو توليداً للجديد، فإن كان قد غلب على مؤلفات التراثيين غياب التتبع المنتظم لمواطن الطعن فى هذه الكتب المقدسة لدى اليهود والنصارى وتبيين مظاهر الاختلاف بينها، فإن صدقى فى كتابه هذا قد جاء بالكثير مما لم تجده فى المؤلفات السابقة، أضف إلى ذلك أن مؤلفًا من مؤلفاته فى مقارنة الأديان، لا يخلو من عرضة لتناقضات «الكتاب المقدس» وعلى سبيل المثال قد أورد فى كتابه: «الدين فى نظر العقل الصحيح» - وهو من أوائل كتبه - أربعين شاهدًا من «الكتاب المقدس» تدل على تناقضه وإختلافه، وإذا كانت هذه الأخطاء والتناقضات التى تقابلك فى أولى مؤلفاته، فما بالك بتتبعه لهذه القضية فى مؤلف مستقل ككتابنا هذا.

* وإذا كان بعض المحللين لكتب الأديان فى التراث الإسلامى قد رأى أن اهتمام أصحابها قد اقتصر فى أغلبه على نقد الأناجيل الأربعة دون بقية ملحقات العهد الجديد، فإن (صدقى) قد وفى فى دراسته العهد الجديد بمحتوياته ولم يستثن من ذلك شيئًا، لكن الشئ اللافت للنظر أنه وفى مخاطبته للنصارى آنذاك لم يتحدث عن الإشكالات المثارة حول موقف التراث من هذه الكتب، وهل كان قاطعًا فى مسألة التحريف أم لا؟!

لكنى أظن أن موقفه هذا راجع إلى عدم اعتماده على القرآن فى نقده للكتاب، بل اعتمد على معطيات التحليلات والاستدلالات العقلية المجردة عن أى تصور مسبق، خاصة وأنه كان ناعيًا على المسيحيين موقفهم من القرآن - حين تفنيده لدعوى غلط القرآن، فى كتابه (الدين فى نظر العقل الصحيح) صـ١٠٥:

«زعموا أنه ورد بعض غلطات فى القرآن، ولا حجة لهم على ذلك إلا مقارنة القرآن بكتبهم، فإن وجدوه موافقًا فى شئ قالوا أخذه منها، وإن خالف قالوا أخطأ، وإن أتى بما لم يعرفوه قالوا اخترع».

وقد يظهر لك من خلال مطالعتك (لكتابنا) أنه قارن بين القرآن والإنجيل والتوراة، وفى ذلك ما يوهن ترجحينا السابق، لكنه إنه حينما كان يقارن كان يعتمد الأصل العقلى لا النص القرآنى، ومما يؤكد ذلك الجانب الثقافى عند (صدقى) فقد كان فى مرجعياته البحثية لا يعتمد إلا العمليات، وبعدها يقيم التصور الصحيح لما هو بصدده من خلال النصوص التى تستجيب لنداءات العقل، مما يجعل دعوى المرجعية المسبقة والانحياز للموقف السلفى واهية.

* اعتمد (صدقى) - إلى جانب ما سبق ذكره - على الدراسات الغربية الحديثة التى قامت بحركة نقدية للكتاب المقدس [1]، ولعله رأى فيها ما يدعم نتائجه العلمية، ويتناسب مع روح العصر بما يتسم من نزعات تجديدية.

* كان الهدف الرئيس من كتاب (صدقى) هو الدعوة إلى الحوار مع الآخر فى جو تسامحى، يغلو من الإسفاف اللفظى والمواقف المتعنته، لكن الأقدار تأبى ذلك، فيقابل كتابه بضجة كبرى، الأمر الذى كان سيتسبب فى إغلاق جريدة المنار (الإصلاحية).

يقول الدكتور (محمد رشيد رضا):

«وقد هاجت بعض مقالات هذه الرسالة (نظرة فى كتب العهد الجديد وعقائد

(١) مثل ابن حزم [فى الفصل فى الملل والأهواء والمنحل] والجوينى فى «شفاء الغليل فيما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل» حقل الريادة للنقد الذى مارسه المفسرون والمؤرخون الغربيون فى العصر الحديث، لكن الدراسات الغربية كانت متطورة للغاية، لأنها لم تقف عند النصوصية، بل استلهمت روح المنهج وطورت فيه حتى أنتجت ركامًا هائلاً من الدراسات، على عكس أصحاب التراث الأصليين!!

النصرانية) المبشرين فتوسلوا إلى (لورد كتشنر) بأن يوعز إلى الحكومة المصرية بإلغاء المنار، ومنع صدوره منعًا أبديًا، وبمحاكمة منشئة والدكتور محمد توفيق صدقى، وقد كلمنى فى ذلك النائب العمومى فى ذلك العهد عبد الخالق ثروت باشا، وعهد إلى بأن أقابل رئيس الوزراء (محمد سعيد باشا) أنا (وصدقى) فقابلناه، وكلمنا فى المسألة، ونهى (صدقى) أن يعود إلى كتابة مثل تلك المقالة!! المستنكرة فى شدة طعنها: وكلمنا فى وجوب تخفيف لهجة المنار...».

كتبه:

خالد محمد عبده(*)

(*) للتواصل: Email: Khaled - hagag1 @ yahoo. com

تنبيه:

نلفت القارئ إلى أهمية جميع الحواشي الواردة فى هذا الكتاب فإنها تفسر المتن وتبينه، وفيها من المباحث العالية الدقيقة ما فيها مما سيراه القارئ، فلذا نرجوه العناية بها والتأمل فيها، وليحذر من أن تختلط عليه بالمتن، ورجائى من العقلاء المنصفين من النصارى أن يقرأوا الكتاب كله لا بعضه فإن ذلك خير لهم إن كانوا للحق والهدى طالبين.

جدول رموز الكتاب

الرمز	المراد منه	الرمز	المراد منه
تك	سفر التكوين	٢ صم	سفر صموئيل الثانى
خر	سفر الخروج	١ مل	سفر الملوك الأول
لا	سفر اللاويين	٢ مل	سفر الملوك الثانى
عد	سفر العدد	١ أى	سفر أخبار أيام الأول
تث	سفر التثنية	٢ أى	سفر أخبار أيام الثانى
يش	سفر يشوع	نح	سفر نحميا
قض	سفر القضاة	أى	سفر أيوب
١ صم	سفر صموئيل الأول	مز	سفر المزامير
أش	سفر أشعياء	فى	رسالته إلى أهل فيلبى
أر	سفر أرميا	كو	رسالته إلى أهل كولوسى
يؤ	سفر يوئيل	١ تس	رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكى
يون	سفر يونان	٢ تس	رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكى
مت	إنجيل متى	١ تى	رسالته الأولى إلى تيموثاوس
١ كو	رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس	٢ تى	رسالته الثانية إلى تيموثاوس
٢ كو	رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس	تى	رسالته إلى تيطس
غل	رسالته إلى أهل غلاطية	فل	رسالته إلى فليمون
أف	رسالته إلى أهل أفسس	مر	إنجيل مرقس
لو	إنجيل لوقا	أع	سفر الأعمال
يو	إنجيل يوحنا	رو	رسالة بولس إلى أهل رومية

عب	رسالة إلى العبرانيين
يع	رسالة يعقوب
١ بط	رسالة بطرس الأولى
٢ بط	رسالة بطرس الثانية
١ يو	رسالة يوحنا الأولى
٢ يو	رسالة يوحنا الثانية
٣ يو	رسالة يوحنا الثالثة
يه	رسالة يهوذا
رؤ	سفر رؤيا يوحنا
قر	القرآن الشريف

وقد أجرينا فى هذه الاصطلاحات على ما جرى عليه أهل الكتاب أنفسهم وهى عين اصطلاحاتهم. أما العدد الأول الذى يلى الرمز فهو للأصحاح أو الباب أو السورة والعدد الثانى للآية

إلخ = إلى آخره.

اهـ = انتهى.

ب م = بعد الميلاد.

ق م - قبل الميلاد.

(ص) بعد اسم أى نبى = ﷺ.

هـ = هجرية.

نظرة
(فى كتب العهد الجديد وفى عقائد النصرانية)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

(وبعد)

فقد كتبت هذه المقالة - وهى بحث تاريخى عقلى فى الأناجيل الأربعة وسائر كتب العهد الجديد وفى عقائد النصرانية - تتميما للبحث السابق فى (مسألة الصلب والفداء) راجيًا من الله أن يوقظ بها الغافلين، ويهدى بها الضالين وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، فأقول وبه تعالى وحده أستعين، إنه حسبى ونعم الوكيل:

سند الأناجيل التاريخى

إنجيل متى

اتفقت شهادة علماء النصارى الأقدمين على أن متى لم يكتب إنجيله اليونانى الحالى، وإنما الذى فعله - كما سيتضح لك - هو أنه جمع بعض أقوال المسيح عليه السلام باللغة العبرية.

وأقدم شهادة وصلت إلى النصارى فى هذا الموضوع هى شهادة (بابياس) (Papias) أسقف هيرابوليس الذى استشهد فى سنة ١٦٤ أو ١٦٧ ميلادية فإنه كتب فى منتصف القرن الثانى كتابًا ضخمًا فى خمسة مجلدات فُقد ولم يبق منه سوى جمل قليلة نقلها عنه إوسابيوس (Eusebius) وإيريناوس (Irenaeus) فمن هذه الجمل التى نقلها إوسابيوس (الذى مات سنة ٣٤٠م) قوله «أن متى كتب مجموعة من الجمل (Logia) باللغة العبرية» يعنى بعض كلمات المسيح باللغة الآرامية «وقد ترجمها كل بحسب طاقته» اهـ ومع أن إوسابيوس المؤرخ وغيره وصفوا بابياس هذا بسخافة العقل وضعف الإدراك فإنه لا يوجد عند النصارى شهادة لكتبهم أقدم وأعظم من شهادته هذه على ضعفها فهى سندهم الوحيد من عصر المسيح إلى منتصف القرن الثانى.

وفى سنة ١٨٠ ميلادية ذكر إيريناوس (الذى مات سنة ٢٠٢م) أن متى كتب «إنجيلاً» باللغة العبرية (أو الآرامية) ولا ندرى لماذا فقدت كتابات متى العبرية ومن ترجمها ومتى ترجمت؟ وإذا لاحظنا أن الأصل الذى كتبه متى كان عبارة عن بعض عبارات للمسيح وكلماته (Logia) كما هو صريح شهادة (بابياس) المذكورة ظهر لنا أن واحداً مجهول الاسم أخذ هذه المجموعة وترجمها وهذبها ورتبها وأضاف إليها ما شاء من الحوادث وغيرها لربط الجمل بعضها ببعض حتى صارت هى الإنجيل

اليونانى الـذى سمى باسم «متى» فـيما بـعد. فهل يمثل هذا الإنجـيل يمكننا أن نثق ونحن لا نعلم من ترجـمه؟ ومن الذى توسـع فيه؟ وهـل الترجـمة صـحيـحة أم محرفة؟ وهـل الزيادات التاريخية التى فيه صـادقة أم كاذبة؟ وأين هو الأصل الذى ترجمه هذا المترجم؟ واعلم أنه لم يرو أحد من قدمـائهم أن متى كتب إنجيلاً يونانيًا كما يدعون الآن بلا برهان.

فـهذا هو حـال إنجيلهم الأول ومنه يـعلم أن أول من نص على أن متى كـتب «إنجيلاً» عبرانيًا هو إيريناوس سنة ١٨٠ مـيلادية أى فى أواخر القرن الثانى ولا نعلم إن كان الإنجيل اليونانى الحالى مترجمًا عن هذا الذى ذكره إير يناوس أم لا؟

إنجيل مرقس:

أما مرقس فإنه جمع بعض أخبار المسيح وأقواله غير مرتبة كما هى الآن على ما صرح به باباياس المذكور. وعليه فيـدٌ أخرى رتبت هذا الإنجيل وزادت فيه، ثم زيد فيه شيئًا فشيئًا حتى صار كما هو الآن. ومن أحدث الزيادات فيه العبارات المذكورة فى آخره (١٦ :٩-- ٢٠) ولـذلك لم توجد فى بعض نسـخهم القـديمة التى عـثروا عليها لأن زيادتها إذ ذاك لم تعم جميع النسخ ولكنها عمتها فيما بعد كما هو الحال الآن، وهذه العبارات المشار إليها تتضمن ظهور المسيح لتلاميذه، ودعوة العالم كله للنصرانية، ورفعه إلى السمـاء، ودعوى إعطاء المؤمنين بالمسيح القدرة على خوارق العادات والمعـجزات (عـدد ١٧ و ١٨) وهى دعوى يردها الحس والعـيان وسـيأتى البحث فيها.

هذا وقد كـتب مرقس مـا كتب بعـد موت بطرس وبـولس كما صـرح بذلك إيـريـنـاوس (Irenaeus) فلم يطلع إذاً بطرس على مـا كتبـه مرقس بالرواية عنه. ومرقس لم يجتمع بالمسيح ولم يره قط. فأية ثقة لنا بمثل هذا الإنجيل؟ وهو لم يذكر إلا فى أواخر القرن الثانى كإنجيل متى. وأمـا ما ذكره باباياس فى منتصف هذا القرن فعن مجموعة أخرى من أقوال المسيح وأخباره غير مرتبة زمن وقوعها بخلاف هذا الإنجيل فإنه مرتب.

إنجيل لوقا:

وأما لوقا فإنــه أيضًا ليس تلميذًا للمسيح ولم يره وكــذلك بولس أستاذه [1] ولا يوجد دليل على أنه كــتب إنجيله بالوحى بل الظاهر من مقدمــته أنه كتبه بالاجــتهاد (١:١-٣) ولم يذكــر أيضًا هذا الإنجــيل صريحًــا فى القرن الأول والثــانى إلى سنة ١٨٠ ميلادية وقد اعــترف مؤلفه أنه وجد قبله أناجيل أخــرى كثيرة وهو يدل على تأخر زمنه.

إنجيل يوحنا:

وأما إنجــيل يوحنا فلم يذكــره إحد أيضًــا إلا فى أواخر القــرن الثانى وفــيه من الأقوال والآراء ما لم يروه أحد غيره. مــثال ذلك دعواه أن المسيح قال ٨:٥٨ (قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن) ولا ندرى لماذا لم تذكــر أمثال هذا العبــارة فى الأناجيل الثلاثة الأخرى؟ فهل كان العالم غير مستعد لهذه التعاليم قبل كتابة إنجيل يوحنا كما يزعمون؟

عقيدة الكلمة قديمة

مع أن بحث الناس فى «الكلمة» (Logos) بدأ قبل المسيح بقرون عديدة فكان الفيلسوف اليونانى زينو (Zeno) أستاذ الرواقيين من سنة ٣٤٠ - ٢٦٠ قبل الميلاد يعتقد أن «الكلمة» هى الشئ العــامل فى الكون والخالق له والكائن فيه، (قارن ذلك بما فى يوحنا ١ : ١٠)، وكــان الناس فى زمن المسيح كــثيــرى البحث فى مــثل هذه المسألة وغيرها، شديدى الشغف بأمثال هذه الفــلسفات اليونانية اليهودية التى نشأت عنها بعض العــقائد المسيحيــة. ولذلك نجد بحثًا طويلاً فى هذه المســألة فى كتابات (فــيلو) (Philo) الفيلسوف اليهودى الإسكندرانى الذى كــان معاصرًا للمسيح وفى

(١) هذا إذا صح أن كاتب الإنجيل هو لوقا تلميذ بولس (قل ٢٤) لا واحدا آخر غيره.

الترجـوم الكلدانى وأيضًا فى كتـاب الحكمة (Wisdon) المنسـوب لسليمان عـليه السلام، وربما وجـد مثل ذلك أيضًا فى كـتب أخرى فقدت، فلمـاذا إذًا لم يذكر بحث «الكلمة» إلا فى مؤلفات يوحنا دون سائر التلاميذ الآخرين مع أن البحث فيها كان شاغلاً لأذهان الناس قبل المسيح وفى زمنه وبعده؟ فـإن كان المسيح حقيقة قال تلك الجملة السابقة أو نحوها فلماذا تركها الإنجيليون الأخر ولماذا لم يرشدهم روح القدس بعد حلوله عليـهم إلى جميع الحق أو أهمه ليدونه كـما دونه يوحنا؟ أم كان الخوف من اليـهود هو الذى منعـهم من ذلك كمـا يزعمـون؟ ولماذا لم يمنع هذا الخوف النصـارى الأولين من المجاهرة بعقائدهم حـتى نالهم من الاضطهاد والأذى والقتل ما نالهم على ما يقـولون؟ فكيف يمنع الخوف «الرسل» من بيان الحق للناس ولا يمنع من هم أقل منهم من المجاهرة به فى كل مكان وزمان.

مدح يوحنا نفسه

وهناك مسائل أخرى كـثيرة مذكورة فى هذا الإنجيل الرابع ذكرنا بعضـها سابقًا فى مقـالة الصلب ولا أثر لها فى الثلاثة الأولى كـدعواه أن يوحنا ذهب مع بطرس إلى دار رئيس الكهنة وقت محاكمة المسيح ودخوله وحده قبل بطرس ثم استئذانه له (١٨ : ١٥ و١٦) وأنه دون سائر التلاميذ كان واقـفًا عند الصليب مع مريم أم عيسى (١٩ : ٢٦) وذهابه مع بطرس إلى القبر بعـد قيامة المسيح منه (٢٠ : ٢ و٣) وتسـميته نفسـه فى أغلب الأوقات بالتلمـيذ الذى يحبـه يسوع (٢١ : ٢٠و١٣ : ٢٣-٢٦) إلى غير ذلك مما لم يرد فى الأناجـيل الأخرى وهى كلها مسائل موضـوعة من مؤلف هذا الإنجيل للمبالغة فى مدح يوحنا وتعظيمه وتفضيله عن باقى التلاميذ ولذلك لم يروها إنجيل من الأناجيل الأخرى وهى من الأهمية بمكان عظيم لو صحت.

ومما يلاحظه الإنســان أن يوحنا يتكلم فى رســائله بصيــغة المتكلم وأمــا فى هذا الإنجيل فيتكلم دائمًــا عن نفسه بصيغة الغيــبة. وورد فى آخر هذا الإنجيل ٢١:٢٤ هذه العبارة (هذا هو التلميذ الذى يشــهد بهذا وكتب هذا. ونعلم أن شهادته حق) وهى تشعر بأن بعض أتباع يوحنا فى أفسس أخذوا ما كتبه يوحنا وتوسعوا فيه وألفوا هذا الإنجيل ونسبوه إليــه وعظموه فيه كثيراً واخترعــوا له من الحوادث ما لم يذكره غيرهم ثم قــالوا (ونعلم أن شهادته حق) ولذلك ترى هذا الإنجــيل أصح عبارة فى اللغة اليونانية من سفر الرؤيا لمهارة كاتبــيه فيها. ومن غرائب استدلال النصارى على أن لبطرس يداً فى تأليف إنجيل مرقس أنه خــال من مدح بطرس (مع أنه قد خص بطرس بالذكر فى أعظم المقــامات (مر ٦١:٧) وهو إنجيل مــختصر وترك تفــصيل كثير من المســائل. وفى مقابلة هذا النقض والاختصار لم يذكــر تفاصيل أخرى من الخــالية عن المدح تــكون مكتســبــة من معلومــات بطرس). ومع ذلك فــإذا صح استــدلال النصارى هذا فى بطرس فــكيف ساغ ليوحــنا مدح نفســه كل هذا المدح حتى خص نفسه بحب المسيح إياه أكثر من كل أحد سواه وذكر لنفسه من الحوادث مالم يروه أحد غيره.

سفــر الرؤيا

فالحق إن هذا الإنجــيل هو من وضع أتباع يوحنا المتأخرين فى أسس كــما قلنا، ولذلك نجــد أن بــوليكارب (Polycarp) تلميــذ يوحنا الخصيــص لم يشر إلى هذا الإنجيل بكلمة واحدة مع أنه ذكر كثيراً من العبارات عن المسيح توجد فى الأناجيل الأخــرى وكذلك بابيــاس (Papias) لم يذكــره. وإن كان يوستــينوس(Justin)

الشهيد (المتوفى نحو سنة ١٦٦ ميلادية) يقول إن سفر الرؤيا هو ليوحنا [1] لكنه لم يذكر أن يوحنا كتب هذا الإنجيل مطلقًا وهو ينقل كل ما يكتبه من حياة المسيح عن الكتاب المسمى (Memoirs of the Apostles) «مذكرات الرسل» تاركًا ذكر جميع هذه الأناجيل الحالية. وما فى كتاباته عن حياة المسيح يختلف كثيرًا فى بعض المسائل عما فى إنجيل يوحنا. فلو كانت هذه الأناجيل معروفة فى زمنه لنقل عنها وخصوصًا إنجيل يوحنا فإنه يناسب آراءه ومع ذلك لم يشر إليه بكلمة واحدة. وفى هذه «المذكرات» أشياء لا توجد فى الأناجيل الحالية أو تناقضها.

(١) يظهر من ذلك أن سفر الرؤيا نسب إلى يوحنا بعد موته بمدة ليست طويلة أى فى النصف الأول من القرن الثانى فهو على ذلك أقدم الكتب المنسوبة إليه، وربما أن مؤلفه بناه على شئ عثر عليه من مكتوبات يوحنا أو مكتوبات يهودى آخر من المتنصرين لأن لغته تميل إلى اصطلاحات اللغة العبرية. وهذا السفر لم تعتمد عليه الكنيسة القديمة إلى مدة فلم يذكر فى جملة من القوائم القديمة لما فيه من الموافقة لمذهب بعض مبتدعة النصارى الأولين «انظر اصحاح ٢٠ منه» الذين قالوا إن المسيح سوف يأتى ويحكم على الأرض ألف سنة «راجع كتاب الأدلة السنية صفحة ٣٩» وربما كان مؤلفه أحد كتاب النصارى الأولين مثل «هرماس» المتوفى بعد سنة ١٤٠ أو باباياس المتوفى نحوسنة ١٦٤ أو غيرهما ممن على شاكلتهما ونسبه بعض قدمائهم إلى سيرنثوس الشهير. وقد زادت النصارى فيه بعد ذلك - باعترافهم الآن - بعض عبارات لإثبات ألوهية المسيح مثل «١:٨،١١ و ٥:١٤» فخالفوا بذلك وصية مؤلفه «١٨:٢٢ و ١٩» الذى عرف من قومه تعودهم على التلاعب فى الكتب وتحريفها ولكن يا للأسف لم تنجح وصيته هذه فيهم فإنهم جبلوا على ذلك!! وكيف تنجح وصيته وهو نفسه قد زوّره!!

صورة المسيح فى الأناجيل الثلاثة الأولى

وقد صورت الأناجيل الثلاثة الأول فى المسيح بأنه ما كان يعلم أن يهوذا الأسخريوطى سيسلمه (متى ١٩ :٢٨ ولو ٢٢ : ٣٠) إلا فى آخر حياته وأنه ما كان يعلم متى تقوم القيامة [1] (مرقس ١٣ :٣٢) وأنه كان حزينًا جدًا جدًا ويستغيث بالله مرارًا لينجيه من الصلب (متى ٢٦ :٣٨-٤٤ ومرقس ١٤ :٣٤-٤١) حتى صار يتصبب عرقًا من كثرة الإلحاح فى الدعاء فنزل عليه ملك من السماء ليقويه (لو ٢٢ :٤٣و٤٤).

(١) جهل المسيح بالغيب

إذا كان المسيح بمقتضى هذا العبارة لا يعلم متى تقوم الساعة باعترافه هذا، فكيف يكون هو ديان الخلائق يوم القامة؟ وقوله فيها (إن الابن لا يعلمها) نص على أنه ليس بإله. فإن قيل: لعله يريد (الإنسان يسوع) قلت ولم لم يعبر بذلك ليكون قوله خاليًا من اللبس والتضليل؟ وإذا كان أقنوم الابن متحدًا بناسوته فكيف لم يعلم الناسوت ما يعلمه اللاهوت وإلا فما معنى هذا الاتحاد؟

وجاء أيضًا فى إنجيل يوحنا أن المسيح لما أشار عليه إخوته بالذهاب إلى أورشليم لأجل العيد قال لهم (يو ٧ :٨) (أنا لست أصعد بعد إلى هذا العيد) ولكن لما مضى إخوته إلى العيد مضى هو أيضًا بعدهم متخفيًا (يو ٧ : ١٠) فعبارته هذه لهم إما أنها كذب وغش ولذلك ذهب بعدها متخفيًا وإما أنه ما كان يعلم أنه سيذهب إلى العيد (أى جهل وتردد) وكلاهما مما يجب أن ينزه الله تعالى عنه وإن كان قالها باعتبار الناسوت (وهو الجواب الذى صدعوا آذاننا به) قلت وكيف لم يهده اللاهوت المتحد به إلى البت فى عمل صغير كهذا وتركه يبدى كل هذا التردد والجهل؟ وما فائدة اللاهوت له إذًا وفى أى شئ أفاده؟ ولم اتحد به الله وهو لم يصلب معه بل تركه ولذلك قال (إلهى إلهى لماذا تركتنى)؟ ولم تعبدون هذا الناسوت العاجز الجاهل مع اللاهوت ولم تفرقوا بينهما؟ فإن قيل: ولماذا ذكر يوحنا هذه القصة وهى منافية لمبدئه فى كتابة تاريخ المسيح كما يدعى؟ قلت: لعله لم يدرك ما تؤدى إليه أو ربما كان يستحسن مثل هذا التضليل ويعجب بحيلة المسيح هذه وتخفيه حتى عن أهله ويرى أن ذلك مهارة منه وسياسة عالية وما درى أنها كذب مذموم ولا مسوغ له مطلقًا ولا يصح صدوره من ابن الله!!

صورته فى إنجيل يوحنا

وأما الإنجيل الرابع فصوره بأنه كان من أول الأمر يعلم أن يهوذا سيخونه (يو ٦ : ٧٠ و ٧١) وأنه يعلم كل شئ (٦: ٦٤, ٢: ٢٥, ١٦: ٣٠) وأنه كان حزينًا لأجل الصلب (أصحاح ١٤-١٧) غير أنه اضطرب قليلاً (يو ١٢ :٢٧) وأنه أسلم نفسه لليهود طائعًا مختارًا (يو ١٠-١٨) وقد ترك أيضًا هذا الإنجيل ذكر تجارب الشيطان له [1] وصيامه أربعين يومًا وليلة لله تعالى (مت ٤ :١-١١) وصلواته الكثيرة (لوقا ٦ :١٢, ١١ :١ و ٩ :١٨ ومر ٢٧ :٤٦) وكذلك ترك قصة شجرة

---

(١) قصة تجارب الشيطان هذه للمسيح تشبه قصة قديمة للهنود فى (بوذا) شبها يبعد أن يكون منشأة الصدفة والاتفاق لا القياس والنسج عليها. ومما تمتاز به قصة الأناجيل قولها (مت ٤ :٨ ولو ٤ :٥) أن الشيطان (بعد أن أخذه إلى أورشليم كما فى متى (عدد ٥, ٨) أو قبل ذلك كما فى لوقا «عدد ٥, ٩») أرى المسيح العالم كله من جبل عال جدًا، فكيف يمكن ذلك والأرض كروية؟ وأين هذا الجبل الذى يرى منه العالم كله؟

جهل مؤلفى الأناجيل بسعة العالم:

فالحق أن كتبة الأناجيل كباقى أهل زمنهم كانوا يتوهمون أن العالم عبارة عن القطعة المحدودة التى عرفوها إذ ذاك من الأرض(را جع أيضًا لوقا «٢ :١») وملكها الرومان ولما تنبه بعض النصارى إلى ذلك الغلط حذفوا من إنجيل لوقا قوله (فى عدد ٥) «إلى جبل عال» فلم يوجد فى بعض النسخ القديمة وربما كان هذا الإنجيل عند المحرفين له أكثر استعمالاً من غيره أو كان تداوله قليلاً عند غيرهم فلذا أقدموا على تحريفه فى ذلك دون إنجيل متى. ولا ندرى كيف تجاسر الشيطان على مثل هذا العمل مع إلهه حتى صار يحمله من مكان إلى مكان طائرًا به فى الهواء ويمتحنه مرات ويعده بإعطائه جميع ممالك المسكونة إذا هو سجد له!! فهل نسى الشيطان أن هذا الذى يجربه هو الذى أعطاه كل هذه السلطة (لو ٤ :٦) وأنه هو خالق السموات والأرضين، ورب العالمين؟ فكيف ينسى الشيطان ذلك؟ وما الحكمة فى خضوع إلههم للشيطان إلى هذا الحد، وتجرئه عليه فى كل ذلك؟!(راجع أيضًا ص١٠٩ و ١١٠ من رسالة الصلب والفداء).

التين [١] (مت ٢١:١٨ - ٢٢ ومر ١١:١٢ - ١٤) لأنها تؤدى إلى نسبة الجوع والجهل والظلم والعجز للمسيح حيث إنه لم يعرف إن كان بالشجرة تين أم لا مع أنه ظلمها وظلم صاحبها أو كل من كان ينتفع بها من السابلة بدعائه عليها حتى يبست وكان الأولى به أن يوجد التين فيها فى غير وقته بقدرته فإن ذلك يكون أفيد وأحكم وأدل على القدرة أو يشفيها إن كان عدم ثمرها لمرضها. لذلك ترك يوحنا هذه القصة كما ترك «كل» أمثالها خوفًا مما تؤدى إليه!! فكل ذلك يدل على أن هذا الإنجيل كتب فى زمن كان فيه الناس قد تغالوا فى المسيح ورفعوه لدرجة تقرب من درجة الآب (الله) [٢] فهو مظهر من مظاهر ترقيهم فى هذه العقيدة تدريجًا

(١) قد ناقض مرقس متى فى وقت ملاحظة التلاميذ يبس هذه الشجرة، فجعله متى (فى الحال):١٩و٢٠ وجعله مرقس فى (صباح اليوم التالى) ١١ : ٢٠ فيجوز أن الشجرة كانت مريضة من قبل وآخذة فى الذبول وتم ذلك أو كاد بعد مضى ٢٤ ساعة (مت عدد ١٨ ومز عدد ٢٠) فظهر لهم حينئذ يبسها أكثر من ذى قبل. فكان الواجب أن يذكر يوحنا (وهو - كما يقولون - المكمل لنقص الأناجيل التى قبله) هذه القصة من جديد لرفع تناقضها وبيان إن كان فيها شئ من الإعجاز أم لا؟ ولكن كيف يفعل ذلك وفائدتها لا تذكر فى جانب ما تجلبه عليه من الضرر العظيم كما بين فى المتن.

(٢) عدم مساواة الابن للأب فى كتبهم

مع ذلك ترى أن إنجيل يوحنا لا يزال ينص على أن الابن أقل من الأب ولذلك؛ يقول على لسان الابن (عيسى) ٥ : ٣٠ (أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئًا* كما أسمع أدين ودينونتى عادلة لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى) وقال ٥ :٢٢ (لأن الآب لا يدين بل قد أعطى كل الدينونة للابن) وقال ٨ :٢٨ (ولست أفعل شيئًا من نفسى بل للآب أرسلنى) وقال ١٤ :٢٨ (لأن أبى أعظم منى) وقال ١٢ :٤٩ (لأنى لم أتكلم من نفسى لكن الآب الذى أرسلنى هو أعطانى وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم) وقال يوحنا ٣ :٣٥ (الآب يحب الابن وقد دفع كل شئ فى يده) وهى كلها نصوص صريحة على عدم مساواته تمامًا لله تعالى، وأن الله تعالى هو الذى أعطاه القدرة على كل شئ والكلام والعلم والدينونة، وأنه أعظم منه، وأن المسيح إنما يعمل مشيئته تعالى وأن الله هو إلهه أيضًا كما هو إله للناس (يو ٢٠ :١٧) أما قول هذا الإنجيل ١ :١ (والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله) فهو=

ولذلك اختلف هذا الإنجيل المتأخر عن الأناجيل الثلاثة الأول فى هذه المسائل وغيرها وتركها عمدًا لغاية له علمها العلماء من الناس الآن.

فإن قيل: لعل يوحنا أراد أن يكون إنجيله مكملاً للإناجيل الثلاثة الأولى فلذا لم

= صريح فى أن الكلمة غير الله وإنما صارت إلهًا للعالم كما صار موسى إلهًا لفرعون على ما يقول سفر الخروج (٧:١) راجع أيضًا قول بطرس فى سفر الأعمال بعد نزول روح القدس عليهم (أن الله جعل يسوع ربًا ومسيحًا)(اع ٢:٣٦) فلفظ (كان) فى الإنجيل بمعنى صار كقول القرآن الشريف ﴿آل عمران الآية ٤٩﴾ أى يصير، فإنجيل يوحنا كباقى أسفار العهد الجديد يجعل الابن مخلوقًا قبل كل شئ (رؤ ٣:١٤ وكو ١:١٥ وقارنهما بيع ١:١٨) ولا يساويه بالله تعالى (رومية ١:٤) و (١ كو ١٥:٢٤ - ٢٨) أما هذه المساواة فقال بها النصارى بعد زمن تأليف العهد الجديد فى وقت كثرت فيه فرقهم ومذاهبهم واختلفت فى هذه المسألة فلذا لم يمكنهم حذف هذه الأقوال (المنافية للمساواة التامة) من العهد الجديد لوجودها إذ ذاك عند طوائف أخرى تعرف هذه الأقوال فيه وتتمسك بها ضد الآخرين المخالفين لهم ولكن بعد انعقاد المجمع النيقاوى سنة ٣٢٥ ميلادية وحكمه على أتباع آريوس الموحدين بالكفر والزندقة فشت بين جمهورهم عقيدة مساواة الابن بالآب فى كل شئ وأولوا هذه الأقوال وغيرها إذ بعد عدم إمكانهم حذفها كلها لا مناص لهم من تأويلها وذلك كله لميل الجمهور فى ذلك الزمن للشرك والوثنية والعقائد الرومانية والفلسفة اليونانية واليهودية وغيرها

تحريفهم لكتبهم

ومع ذلك فقد أجروا بعض تحريفات راجت فى نسخهم لإثبات ألوهية المسيح ومساواته بالله ولم يدركها أحد فى تلك الأزمنة لعدم حفظهم لكتبهم فى صدورهم ولانتشار الجهل بينهم إذ ذاك وقلة نسخهم ووجودها عند رؤسائهم فقط وقد عرفت بعض هذه الأشياء الآن بالمراجعة والبحث فى النسخ القديمة والحديثة فمن ذلك: إبدال لفظ (الرب) بالمسيح فى ١ كو ١٠:٩ وزيادة قولهم (بيسوع المسيح) فى أف ٣:٩ وزيادة كلمتى (البداية والنهاية) فى رؤ ١:٨ وكلمات (أنا هو الألف والياء. الألف والآخر) فى رؤ ١:١٢ وزيادة عقيدة التثليث فى ١ يو ٥:٧،٨ وزيادة لفظ الله فى يه ٤،١ تى ٣:١٦ واع ٢٠:٢٨ إلخ إلخ فكيف بمثل نقل هؤلاء الناس يثق الإنسان وتلاعبهم بكتبهم أصبح محققًا معروفًا؟ راجع أيضًا كتاب «دين الله» ص٧٦ و ٧٧ و«رسالة الصلب» ص ١٦٢.

يذكر ما ذكرته منعًا للتكرار. قلت: إن ما سبق بيانه لا يصح أن يعتبر تكميلاً بل هو تناقض بين كما لا يخفى على المتأمل، والظاهر من الأناجيل أن كلا منها كتب ليكون كاملاً بنفسه لا مكملاً لغيره، وإلا إذا صح قولكم هذا فكيف ذكر يوحنا كثيرًا من الحوادث التى ذكرتها الأناجيل الثلاثة مع أنها ليست من الأهمية بمنزلة الأشياء التى تركها.

مثال ذلك معجزة إطعام خمسة آلاف رجل قد ذكرها متى (١٤: ٢١) ومرقس (٦: ٤٤) ولوقا (٩: ١٤) فكيف بعد ذلك ذكرها يوحنا (٦: ١٠) وكذلك دخول المسيح أورشليم راكبًا حمارًا [1] قد ذكروه كلهم (انظر مت ٢١: ٢ ومر ١١: ٢ ولو

---

(١) مسألة ركوب المسيح الحمار

من المضحكات المخجلات المتعلقة بمسألة ركوب الحمار هذه ما يأتى:- قال زكريا فى كتابه ٩: ٩ و ١٠ (ابتهجى جدًا يا ابنة صهيون اهتفى يابنت أورشليم. هو ذا ملكك يأتى إليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن إتان وأقطع المركبة من أفرايم والفرس من أورشليم وتقطع قوس الحرب. ويتكلم بالسلام للأمم وسلطانه من البحر إلى البحر. ومن النهر إلى أقاصى الأرض) إلخ وعدم انطباق هذه البنوة على المسيح ظاهر، فإنه لم يكن ملكًا لأورشليم ولا هو منصور ولم يمتد ملكه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصى الأرض ومن وجوده إلى الآن استعرت نيران الحروب ولم تقطع قوس الحرب وتشتت اليهود بعده بقليل وخربت أورشليم ولم يتكلم بالسلام للأمم بل قال مت ١٠: ٣٤ (ما جئت لألقى سلامًا بل سيفًا) وعقب دخوله أورشليم أخذه اليهود وأهانوه وصلبو وقتلوه كما زعموا فكيف تنطبق هذه النبوة عليه ولكن أبى الإنجيليون الأربعة إلا تطبيقها عليه لأنهم إن لم يفعلوا ذلك لم تنطبق على أحد مطلقًا لأنه على زعمهم بعد عيسى مباشرة لم يبق إلا مجئ القيامة فى أصحاب الأتان والجحش (مر ١١: ٥ ولو ١٩: ٣٣) عن منع التلميذين من حلهما وأخذهما وهم لا يعرفونهما بل وربما لا يعرفون سيدهما المسيح نفسه؟ وكيف تأكدوا أنهما رسولاه حقيقة لا لصان؟ وكيف يركب المسيح على جحش لم يجلس عليه أحد من الناس قط كما قال مرقس ولوقا؟ فلعله فعل ذلك. بمعجزة!!

فمن هذه القصة الصغيرة يتضح لك صدق قولنا مرارًا فى كتبة الأناجيل أنهم يعرفون نبوات العهد القديم أولاً ثم يصطنعون منها حوادث للمسيح ويدعون أنها وقعت فعلاً تتميما لتلك =

١٩ : ٣٠ ويو ١٢ : ١٤) فإن قيل: إن ذكرهم لركوب الحمار هو لأنه كان تتميما لنبوة زكريا (٩ : ٩) قلت كـذلك كان صـراخ المصلوب (إلهى إلهى لماذا تركتنى) تتـميـما للمرمـوز (٢٢ : ١) فلم لم يذكره يوحنا؟ ألا يدل ذلك على أنه تحاشى ذكـر كل ما من شأنه أن يقلل من درجة المسـيح التى يريد رفعه إليها ليجعله كـلمة الله القديمة التى وجدت قبل جميع المخلوقات وبها كانت المخلوقات ثم تجسدت وقبلت بإرادتها لا رغمـًا عنها كـما يفهـم من الأناجيل الأخرى؟ (راجع رسـالة الصلب ص١٢٤ و١٥٦ و١٦١).

فالحق: أن كلا منهم كـتب إنجيله على استقـلال، وتوخى فيه غاية مخـصوصة فذكر من الحوادث والأقوال ما يلائم غرضه ولو كان مكرراً فى الأناجيل الأخرى، فتجدها تتفق فى بعض المسائل حتى فى لفظهـا ثم تختلف فى الأخرى حتى يتعسر أو يتعذر الجمع بينها وما دام هذا حال الأناجيل؛ فهى من الوجهة التاريخية لا قيمة لها لأنها تابعة للأغراض تدور معها حيث دارت.

=النبوات القديمة ولا يبالون مهما أوقعهم ذلك فى الغلط ومخالفة العقل والعادة. فهل يصح اعتبار هذه الأناجيل تواريخ صـحيحة حرة وهى فى كل ما كتبت فيها مـتأثرة بنبوات اليهود عن مسـيحـهم الذى كانوا ينتظرونه؟ وإذا سلم أن المسـيح فعل ما حكـاه متى وركب الأتان والجحش معًا. فما الذى يمنع منكرى نبوته من القول بأنه إنما أجهد نفسه وخالف العادة رغبة منه فى تطبيق نبوة زكـريا عليه لتصح دعواه بأنه هو المسيح المنـتظر وإن لم يقدر على تطبيق باقى النبوة عليـه لخروجها عن اسـتطاعته إذ ليس فى وسعـه أن يكون ملكًا ولا منصورًا ولا قاطعًا لقوس الحـروب ولا له ملك يمتد من البحر أومن النهر إلى أقـاصى الأرض فما قدر عليه (وهو ركوب الأتان والجحش معًا) فعله وما لم يقـدر عليه سلم فيه الأمر لأتباعه ليقولوا فيه ما شاءوا والسلام هذا شئ مما يقوله ملحـدو النصارى فى أوربا الآن وغيره كثير جدًا لا يحصى ولولا القـرآن ومحمـد الذى يكرهه النصارى ويحـاربونه لقال (٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠) من البشر فى المسيح أضعـاف أضعاف ما يقوله ملحد وأتباعه واليـهود وغيرهم. فشكراً لله ولرسوله على أدبه العالى فى المسيح الذى أدب به المسلمين والحمد لله رب العالمين.

يحيى والمسيح

ولذلك تجد أن الأناجيل الأولى «نصت» على أن عيسى اعتمد من يحيى بن زكريا (مت ٣:١٣ - ١٧ ومر ١:٨ ولو ٣:٢١) وأن يحيى وإن كان يعلم أن المسيح المنتظر سيأتي بعده (مت ٣:١١ ومر ١:٧) وأن عيسى أفضل منه حتى امتنع عن تعميده أولاً ثم عمده (مت٣:١٤ و١٥) إلا أنه ما كان يعلم أنه هو المسيح المنتظر ولذلك - لما كان يحيى فى السجن وسمع من تلاميذه عن أعمال عيسى - أرسل إليه اثنين منهم يسألانه «هل هو المسيح المنتظر أم ينتظر غيره!» (مت ١١:٢و٣ ولو ٧:١٨و١٩) وهذا صريح فى أنه (حتى فى آخر حياته) ما كان يعلم أن عيسى هو المسيح المنتظر. ولكن إنجيل يوحنا (وكله غرائب) سكت عن تعميد يحيى لعيسى خوفًا من نسبة الذنوب إليه أو تفضيل يحيى عليه وادعى أن يحيى عرفه من أول الأمر بنزول روح القدس عليه وأنه كان يقول فى عيسى (إنه كان قبله فى الوجود ولو أنه أتى بعده، وأنه هو والجميع أخذوا منه النعمة والحق، وأنه هو الابن الوحيد الذى فى حضن الآب، وأنه هو حمل الله الذى يرفع الخطية عن العالم، وأنه هو فوق الجميع وابن الله الذى نزل من السماء، وأن أباه قد دفع كل شئ فى يده) الخ الخ (يو١:١٥ - ٣٨,٣: ٢٧ - ٣٦) ولو كان كاتب هذا الإنجيل يعتقد فى عيسى الألوهية الحقيقية لادعى أيضًا أن يحيى قال عنه إنه هو الله الأزلى الذى بيده كل شئ منذ الأزل بدل قوله إن الآب هو الذى دفع له الأشياء كلها. ولكن هذه الدرجة من الغلو ما كان الناس قد وصلوا إليها فى زمن تأليف الأناجيل.

كذب إنجيل يوحنا

فانظـروا ياقوم هل رأيتم رجـلاً يكذب على الله ورسوله إلى هذه الـدرجة ولا يستحى من كثرة اختراعاته وافتراءاته وينسب آراءه وأفكاره إلى غيره ويدعى تارة أن يحيى عليـه السلام كان يقولهـا فى عيسى!! وتارة أن عـيسى كان يقول مـثلها عن نفسـه!!أما كونها من اخـتراعاته فظاهر - من مـقابلتها بما فى الأناجـيل الأخرى - كالشمس فى رابعة النهار كما بينا.

ومن العجيب أن هذا الرجل الذى تغاضى عن ذكر قصة تعميد يحيى لعيسى لما بيناه من الأسباب وأتى فى هذه المسألة بالغرائب والعجائب أبقى فى إنجيله ذكر نزول روح القدس على المسيح فى شكل حمامة (يو ١:٣٢) مع أن هذا الشكل قد ذكره الإنجـيليون الـثلاثة الأولون (مت ٣:١٦ ومـر ١:١٠ ولو ٣:٢٢) ونصـوا على أن نزول هذه الروح كان عـقب تعميـد يحيى له، فـإذا كان ترك قصـة التعمـيد بالمرة فلماذا أبقى ذيولها؟ وإذا كان غرضه تكميل ما فات الأولين كما يدعون فلماذا كرر ما اتفقـوا كلهم على ذكره؟ الحق أنه تحاشا قصـة التعميد خوفـًا مما تؤدى إليه وذكر تشكل الروح بالحمامة ليظهر أن نزولها عليه كان أمرًا محـسوسًا مجسمًا لا شبهة فيه (انظر أيضًا لو ٢٢:٣) فـهو يذكر ما وافق غـرضه ولو ذكره الإنجيليـون كلهم قبله ويخترع ما يخترع ولو لم يروه أحد غيره ويـترك ما خالف غرضه ولو أجمعوا على ذكره كلهـم، ومما تركه أيضًا فى هذه الـقصة قـول لوقا (٣:٢١) إن يسـوع بعد أن اعتمد كان يصلى ولكن يوحنا يرى أن نسـبة الصلاة لابن الله غير جائزة فلذا ترك هذه المسألة وغيرها مع أنه لم يذكرها فى هذه القصة إلا لوقا، وأما تشكل الروح[1]

---

(١) الروح فى كتبهم

لِمَ لا تكون هذه الروح ملك عظيم مـخصوص من الملائكة التى كـانت تنزل على المسيح=

بالحمامة ورؤية الناس لها مجسمة فلا يهون عليه تركه ولو ذكره جميع العامين قبله!!.

وقد ذكرت الأناجيل الثلاثة الأولى (مت ١٩ :١٧ ومر ١٠ :١٨ ولو ١٨ :١٩) أن رجلاً نادى عيسى (ص) بقوله «أيها المعلم الصالح» فأنكر المسيح عليه ذلك تواضعًا وقال له: «لماذا تدعونى صالحًا. ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله».

غلو يوحنا فى المسيح

وأما يوحنا فلم يذكر هذه القصة مطلقًا كعادته وروى عن المسيح أنه كان يقول مرارًا (يو ١٠ :١١و١٤) «أنا هو الراعى الصالح» وأنه قال :(يو ١٠ : ٣٠) «أنا والآب

=(لو٢٢ :٤٣ ويو ١ :٥١) بدل قولهم أنها أقنوم إلهى؟ وتشكل الملائكة بأشكال جثمانية أمر معروف معهود عند الكتابيين (انظر = مثلا لو ٢٤ :٤) أما الحركة والتشكل فهى على الله محالة لأنها من صفات الحوادث التى تستحيل على القديم (راجع كتابنا: الدين فى نظر العقل الصحيح ص ٤ - ١٢) ولو جاز تشكل الله بصورة حمامة لكان تعالى محدوداً محصورا وهو ينافى قول سليمان ٢ أى ٦ :١٨(هل يسكن الله حقا مع الإنسان على الأرض؟ هوذا السموات وسماء السموات لا تسعك) راجع أيضاً تث ٤ :١٢ - ١٩ ولو كانت هذه الروح التى نزلت على المسيح هى الله فما حاجته بعد إلى الملك الذى نزل عليه ليقويه وإلى نزول غيره من الملائكة؟ فهل الله يحتاج إلى مساعدة مخلوقاته؟ (راجع أيضاً كتاب دين الله ص ٦١ - ٦٤) هذا ولعل روح القدس هذه (أى الروح المقدسة) التي ذكرت فى كتبهم هى الروح المذكورة فى القرآن الشريف فى مثل قوله ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا ﴾ [النبا ٣٨] وقوله﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ [القدر: ٤] أما كون المتبادر من عبارات كتبهم أن هذه الروح هى غير جبريل فهذا مسلم كعبارة (لوقا ١ :٣٥) وإن لم تكن نصا قاطعاً فى ذلك، وأما المراد بروح القدس فى القرآن فهو بلا شك الملك جبريل عليه السلام.

واحد» وغير ذلك كثير مما لم تروه الأناجيل الأخرى. وإن كانت العبارة الأخيرة التى رواها يوحنا ليست نصًا فى ألوهيته إذ حملها على المجاز سهل كما هو ظاهر (انظر مثلاً اكـو ٣:٨) وقد قال المسيح أيضًا نحـوها فى تلاميذه (يو ١٧ : ١٤-٢٦) إلا أن روح العظمة والكبرياء التى فى رواية يوحنا هذه لا تتفق مع روح التواضع التى ترى فى رواية الآخريـن عن المسيح. فإن كـان ما رواه يوحنا عنـه (مثل ٣ :١٣و ٨ :٥٨ و١٢ :٤٥ و١٤ : ١٠ و١٦ :٢٨ و١٧ : ٥) صـحيـحًا فـمن أقـبح النقص ومن أعظم أسباب تضليل الناس فى أمر المسيح أن يترك ذلك الإنجـيليون الثلاثة وخصوصًا لوقا الذى تعمد أن يكون إنجيله كـاملاً وجامعًا لجميع أخبار المسـيح وأقواله المهمة إذ قد تتبع - كما يقول عن نفسـه (١ :٣) - كل شئ من الأول بتدقيق. فلا يعقل أن مثل هذا الكتاب المدقق يترك كل أقوال المسيح المهمة فى مبحث ألوهيته ليكملها له يوحنا أو غيره كما يدعون وإن خالفوا قول لوقا نفسه وهو عندهم موحى إليه وكتب إنجيله بالإلهام الإلهى بعد نزول روح القدس عليهم جميعًا!! فلم إذا لم يوح إليه ما أوحى إلى يوحنا مع أن يوحنا لم يرد أن يكون إنجيله كاملاً كلوقا (يو ٢١ :٢٥) أم نسى الله أن يلهمـه هذا المبحث العظيم ولم يعلم أن ذلك سـيكون سببًا فى إنكار كثـير من الناس ألوهية عيـسى فى كل زمان ومكان وتكذيبهم يوحنا فيـما رواه وانفرد به دون جميع زمـلائه الآخرين حتى أن تسمـية المسيح «بالابن الوحيـد» و «بالكلمة» بالمعنى الذى أراده يوحنا لم ترد فى كتاب من كتب العهد القديم أو الجديد إلا فى المؤلفات المنسوبة إلى هذا الرجل. وما هى إلا فلسفة يهود الإسكندرية وغيرهم فى «الكلمة» سرت إلى المؤلف فطبـقها على المسـيح. والمسيح براء مما ينسبـه إليه، أو يرويه عنه، كما هو ظاهر من الأناجيل الأربعة.

مؤلف إنجيل لوقا موحد

فإن قيل: لعل لوقا أراد أن يكون إنجيله شخصيًا لأنه قدمه (لثاوفيلس) وربما أن هذا الرجل كان يعرف ألوهية المسيح وأقواله فى هذه المسألة وكما كان يشك فيها فلذا تحاشى لوقا ذكر كل ما يثبتها له من أقوال المسيح؟ قلت: إن الذى يفهم من إنجيل لوقا نفسه (١ : ٤) أن ثاوفيلس ما كان يجهل شيئًا مما جاء فى هذا الإنجيل وإنما كان الغرض من كتابته له تثبيته، فلماذا إذاً لم يثبته لوقا فى عقيدته فى لاهوت المسيح ولم يرو له ما قاله المسيح نفسه فى ذلك كما ثبته فى غيرها من الحوادث وإن كان يعرفها من قبل؟ وأى ضرر إذا ذكر لوقا أقوال المسيح فى ألوهيته حتى أنه تجنب ذكرها [1] فى إنجيله بالمرة؟ وسماه إنسانًا ونبيًا (لو ٢٤ : ١٩) ولو فرض أن (لوقا) لم

---

(١) لاحظ أن إنجيل لوقا (مع أنه أوفى الأناجيل وأدقها وأصحها) هو أيضًا أبعدها عن عقيدة النصارى فى ألوهية المسيح حيث إنه اعتبره إنسانًا من أول الأمر إلى آخره (انظر مثلاً لو ٢٢ : ٤٣ (٢٤ : ١٩) ولم يطلق عليه لفظ الرب (وهو فى جميع اللغات لقب تعظيم بمعنى السيد والمعلم ونحو ذلك كما فى (يو ١ : ٣٨ ومت ٢٣ : ٧و٨) لم يطلقه عليه إلا مرات قليلة وظهر لهم أن بعضها زيد فيه تحريفًا فى الأزمنة الأولى (كما فى إصحاح ٧ : ٣١ و٢٢ : ٣١ منه) . الديان ليس هو الله وحده وليس هذا فقط بل لم يجعل هذا الإنجيل المسيح ديانًا للخلائق جميعًا مجازيًا لهم بحسب أعمالهم كما فعل متى وغيره ولم يقل إن الملائكة هى ملائكة المسيح (قارن متى ١٦ : ٢٧ و٢٨ و٢٥ : ٣٢ و٣٣ و٢٤ : ٣١ بلوقا ٩ : ٢٦ و٢٧ و٢١ : ٢٧) ولم يذكر عبارة متى (٢٨ : ١٩) التى اتخذها النصارى إشارة إلى ثالوثهم. قارن أيضًا كلمات الوداع فى إنجيل متى (٢٨ : ١٨ - ٢٠) بها فى لوقا (٢٤ : ٤٦ - ٥٣) فأقرب الأناجيل لعقيدة النصارى هو إنجيل يوحنا ويليه متى ثم مرقس ثم لوقا. قارن أيضًا قول متى ١٣ : ٤١ (يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلى الإثم) قارنه بقول لوقا ١٢ : ٨ و٩ (وأقول لكم كل من اعترف بى قدام الناس يعترف به ابن الإنسان قدام ملائكة الله. ومن أنكرنى قدام الناس ينكر قدام ملائكة الله) ثم راجع سفر الأعمال وهو من تأليف لوقا أيضًا عندهم تراه يقول فيه عن لسان بولس أستاذه أن المسيح إنسان وأن الله هو الذى أقامه من الأموات=

يذكر إلا ما جهله (ثاوفيلس) فهل يعقل أن هذا الصديق العزيز للوقا (١ : ٣)

= (أع ١٧ : ٣١) انظر أيضًا (أع ٢ : ٢٤) وأما قول بولس فى سفر الأعمال هذا (١٧ : ٣١) إن الله سيدين المسكونة بهذا الرجل (يعنى المسيح) فهو لا يدل على أنه كان يعتقد ألوهيته لأنه سماه فى هذه العبارة نفسها رجلاً وقال إن الله هو الذى أقامه من الأموات (راجع أقواله فى المسيح فى ١تى ٢ : ٥ وأف ١ : ١٧ ورو ٥ : ١٥ و١ كو ٣ : ٢٣ وغل ٤ : ١٤) وأيضًا فإن تلاميذ المسيح أنفسهم سيدينون (بحسب هذه الأناجيل) أسباط إسرائيل الاثنى عشر (انظر مثلاً مت ١٩ : ٢٨) وقال عيسى لتلاميذه (مت ١٨ : ١٨) (الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطًا فى السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء) ولم يقل أحد من النصارى بألوهيتهم ولو أنهم كثيرًا ما سجدوا لصورهم ولصور غيرهم من القديسين والقديسات فى كنائسهم ، وهذه العبارة الأخيرة ونحوها كانت منشأ سلطة البابوات العظيمة ومن تحتهم من رؤساء النصرانية وربما أنهم هم الذين اخترعوها ونسبوها لعيسى وهو منها ومن أمثالها برئ، ومما يشعر بأن هذه العبارة هى من اختراع رؤساء النصرانية القدماء قولهم عن لسان المسيح قبلها (مت ١٨ : ١٧) (وإن لم يسمع (أى من أخطأ إلى أخيه) منهم (أى من الشهود) فقل للكنيسة. وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار) فأية كنيسة كانت فى ذلك الوقت يتحاكم إليها تلاميذ المسيح وهو لا يزال بينهم؟ فالحق أن هذه العبارة مما أضيف إلى الإنجيل بعد المسيح بمدة ويؤيد ذلك جواب المسيح الوارد فى إنجيل متى (٢٠ : ٢٣) لأم ابنى زبدى بأنه لا يقدر أن يعطى شيئًا إلا لمن أراده الله فكيف إذًا يتصرف تلاميذه فى الكون كما أراده؟ وقال بولس إنه هو والقديسين وسائر النصارى سيدينون العالم والملائكة!! فهل هؤلاء كلهم آلهة؟(أنظر ١ كو ٦ : ٢و٣) ومن ذلك يعلم أن المسيح ليس وحده عندهم ديانًا للخلائق بل هو أكبرهم وأعظمهم فهو كقاضى القضاة يوم القيامة.

«معنى كلمة إيلوهيم العبرية»

وإذا لاحظت أن اليهود كانوا يسمون قضاة الدنيا آلهة (وبالعبرية إلوهيم) وهذه اللفظة تطلق على المفرد وعلى الجمع فلذا كانت تطلق على الله تعالى وعلى عظماء البشر كما يفهما من (مز ٨٢ : ٦ و١ صمو ٢٨ : ١٣ ويو ١٠ : ٣٤ - ٣٧ راجع أيضًا خر ٢١ : ٦ و٢٢ : ٨ و٩) وربما كان إطلاقها على الله وهى جمع من بقايا أثر الشرك القديم والوثنية فى اللغة العبرية، إذا لاحظت ذلك وتذكرت أن بولس ويوحنا كانا يهوديين صميمين لم تستغرب تسميتهم المسيح - وهو عندهم ديان القيامة الأعظم بإذن الله ((يو ٥ : ٢٧) - مرة أو مرتين إلهًا كما=

والذى يعلم النصرانية من قبل (لو ١ : ٤) كان يجهل أو يشك فى وجود عيسى وفى جميع تفاصيل حياته وولادته من العذراء وفى صلبه وقيامته وصعوده إلى السماء حتى فصل له لوقا كل ذلك تفصيلاً؟ وإذا كان يجهل هذه المسائل أو يشك

= فى (رومية ٩: ٥ و١ يو ٥ : ٢٠) بعد أن وصفاه بصفات الحوادث مراراً ونصا على أنه أول مخلوقات الله تعالى (كو ١ :١٥ ورؤ ٣: ١٤) على أن عبارة بولس الواردة فى رومية (٩: ٥) اختلف فيها المفسرون والمترجمون فيرى بعضهم أن ما بعد قوله (حسب الجسد) جملة مستأنفة ومعناها هكذا «ومن على الكل هو الله مبارك إلى الأبد» أو «ومن هو الله على الكل يبارك؛ إلى الأبد» راجع الترجمة الإنكليزية المنقحة «Revised Version»

التوحيد فى القرآن وفى التوراة

ومما تقدم يعلم أن إدانة الخلائق والتصرف فى الكون ليس عندهم قاصراً على الله تعالى وحده كما هى العقيدة الصحيحة فى دين الحق ودين التوحيد الحقيقى القائل كتابه (يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا والأمر يومئذ لله) (مالك يوم الدين) (ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحدًا) وقال مخاطبًا محمدًا (ص) (ليس لك من الأمر شئ) وقال (إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) فأين هذه العقائد العالية من عقائد الشرك والتشبيه والتجسيم؟ وجاء فى سفر التثنية (وأوامر التوحيد والتنزيه فيه وفى غيره من كتب العهد القديم كثيرة جدًا) قوله ٣٢: ٢١ (هم أغارونى بما ليس إلهًا. اغاظونى بأباطيلهم. فأنا أغيرهم بما ليس شعبًا. بأمة غبية أغيظهم) وهى الأمة الإسلامية الناشئة بين الأميين الجاهلين مصداقًا لقوله تعالى (ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون، الذين يتبعون الرسول النبى الأمىّ) إلى آخر الآيات ثم قال سفر التثنية ٣٢: ٣٤ (أليس ذلك مكنونًا عندى مختومًا عليه فى خزائنى ٣٥ لى النقمة والجزاء. فى وقت تزل أقدامهم. إن يوم هلاكهم قريب والمهيآت لهم مسرعة ٣٦ لأن الرب يدين شعبه وعلى عبيده يشفق. حين يرى أن اليد قد مضت ولم يبق محجوز ولا مطلق ٣٧ يقول اين آلهتهم الصخرة التى التجأوا إليها ٣٨ التى كانت تأكل شحم ذبائحهم وتشرب خمر سبائكهم. لتقم وتساعدكم وتكن عليكم حماية ٣٩ انظروا الآن أنا أنا هو وليس إله معى. أنا أميت وأحى. سحقت وأنى أشفى وليس من يدى مخلص ٤٠ إنى أرفع إلى السماء يدى وأقول حى أنا إلى الأبد ٤١ إذا سننت سيفى البارق وأمسكت بالقضاء يدى أرد نقمة على أضدادى وأجازى مبغضى) فقارن هذه العبارات السامية الجليلة بأوهام النصارى فى العهد الجديد هداهم الله إلى سواء السبيل.

فيـها فكيف لـم يشك فى ألوهية المسـيح؟ وكيف علم ثاوفـيلس أقوال المسـيح فى ألوهيتـه ولم يعلم باقى تفاصيل قـصته التى فـصلها له لوقا مع أن هذه الأقـوال ما كانت منفـصلة عن حوادث حيـاته كما يفهم من إنجـيل يوحنا ومن علم هذه علم تلك فلم فصلهـا لوقا عنها وتركهـا؟ وإذا كان هذا الإنجيل شخصـيًا فلم لم يكتب تلميذ من تلاميذ المسـيح إنجيلاً عموميًا يكون وافيًا بجـميع المسائل؟ ولم إذا جعلتم إنجـيل لوقا عـمـوميًـا ونشـر تموه بين الناس فى كل زمـان ومكان وهو غيـر واف بالغـرض؟ وأى إنجيل عندكم أوفى منه؟ وكـيف يجب على البـشر الإيمـان بأكبـر معضلة فى العالم مـخالفة للعقل ولما نقل عن جميع أنبيـاء بنى إسرائيل وهى مسألة ألوهية المسيح كيف يجب الإيمان بها لمجرد رواية شـخص واحد خالف فيها جميع التلاميذ الآخرين وأتى بما لم يأتوا به؟ وهل نسيـتم أن من دعا لعبادة غير الله يجب قتله كما فى سفر التثنية (١٣ : ١- ٥) ولو كان مؤيدًا بالآيات والمعجزات؟ فكيف إذا يصدق يوحنا هذا وهو لم تتواتر عنه أية معجزة ولو تواترت لما عـافته من استحقاق القتل بنص التوراة .

على أن جميع عبـاراته فى هذه المسألة ليست نصًا قاطعًاكـما بينت من قبل فى هذا الكتاب وفى كـتابنا: (دين الله ص ٧٦ و٧٧) وهى كلهـا مما يمكن تأويله. ولا ندرى لم لم يأولوهـا وباعهـم فى التـأويل أطول من جـمـيع العـالمين، ولهم فى التعـسف والتكلف آراء تعجز عنها الجـن والشياطين ، فالحق أن لوقـا إنما لم يرو ما رواه يوحنا لأن كاتب إنجـيل يوحنا افتـجره من عند نفسـه افتجـارًا وليس هناك من سبب آخر غيـر ذلك فلا تجهدوا أنفسهم فى انتحـال الأعذار والأسباب ولا تكونوا فى كل شئ مكابرين، وعن الحق دائمًا معرضين.

جهل يوحنا بأرض فلسطين

وهناك مسائل أخرى كثيرة ذكرها علماء النقد تدل على أن كاتب هذا الإنجيل ليس يوحنا تلميذ المسيح بل ولا يهوديًا ممن يعرفون أرض فلسطين ولا هيكل أورشليم ولذلك وقع فى الغلط فى أثناء وصف تلك البلاد ومعبدها.

فمن ذلك: قوله ١ : ٢٨ (هذا كان فى بيت عنيا عبر الأردن حيث كان يوحنا يعمد) كما فى جميع النسخ القديمة وهى مدينة لا وجود لها فى هذا المكان ولم يعرفها أحد حتى ولا أوريجانوس المتوفى نحو سنة ٢٥٤ ولذلك أبدلوها فى نسخهم الحالية (ببيت عبرة) وقوله ٣: ٢٣ (وكان يوحنا أيضًا يعمد فى (عين نون) بقرب ساليم لأنه كان هناك مياه كثيرة) وهذ الموضع أيضًا ما عرف قط حتى ولا فى القرن الثالث وأقرب مكان يمكن أن يقال أنه هو المراد موضع فى شمال السامرة ولكن الذى يفهم من إنجيل يوحنا أنه فى اليهودية (٣: ٢٢ و٤: ٣) وقوله ٤ : ٥ (فأتى إلى مدينة من السامرة يقال لها «سوخار») وهى غير معروفة ويظن بعضهم أنها «شكيم» ويرد هذا الظن أن بئر يعقوب عند مدخل الوادى تبعد ميلاً ونصف ميل عن شكيم ولا يعقل أن المرأة السامرية كانت تذهب هذه المسافة البعيدة لجلب الماء مع أن الماء غزير بالقرب من المدينة (راجع قاموس بوست مجلد ١ ص ٥٩٢).

ومن ذلك أيضًا: قوله (يو ٢: ١٤ و١٥) إن البقر والغنم كانت تباع فى هيكل أورشليم وقد حقق العلماء أنه لم يكن لها موضع هناك بل كانت تباع فى سوق بعيدة عنه خارج أورشليم (راجع كتاب دين الخوارق) على أن هذه القصة ذكرت فى الأناجيل الأخرى المتأخرة عن الزمن الذى ذكره يوحنا (أنظر متى ٢١: ١٢ ومر ١١ : ١٥ ولو ١٩: ٤٥) والظاهر أن الحق معها فإن المسيح ما كان ليقدم على طرد الباعة وكب الدراهم وقلب الموائد وضرب الناس بالسوط (يو ٢: ١٥) وهو لا يزال

فى أول أمره فى السنة الأولى من بعثته قبل أن يعرفه الناس مع أنه كان بعد ذلك يذهب إلى أورشليم مختفيًا خوفًا من اليهود كما قال يوحنا نفسه (٧: ١٠ ١٣ و١١: ٥٣ - ٥٧).

ثم قصة بركة بيت حسدا (٥: ٢ - ٩). ومع أن هذه البركة الآن غير معروفة مطلقًا فمن العجيب أن يكون لها هذه الخاصية العظمى التى ذكرها يوحنا فى شفائها للمرضى الذين كانوا ينزلون أولاً فيها بعد تحريك الملك ماءها مباشرة ولا يذكرها يوسيفوس ولا غيره من المؤرخين فى ذلك العصر فهى قصة كاذبة ولذلك حاول النصارى حذفها من الإنجيل من قديم الزمان وهذا هو سبب حذفها فى كثير من نسخهم القديمة كالسينائية والفاتيكانية ولكنها موجودة فى الإسكندرية وغيرها فانظر إلى مقدار تصرف هؤلاء الناس فى كتبهم المقدسة!!

كتاب مذكرات الرسل

والخلاصة: أن هذه الأناجيل الأربعة ما كانت معروفة إلا فى أواخر القرن الثانى وكان هناك كتب أخرى كثيرة يستشهد بها المؤلفون غير هذه الأناجيل كمذكرات الرسل (١) المذكورة سابقًا وإنجيل العبرانيين وإنجيل الأبيونيين والأناجيل المنسوبة إلى بطرس وتوما والاثنى عشر وبرنابا ونيقوديموس وغيرها كثير وبعد ذلك صارت تشتهر الأناجيل الأربعة شيئًا فشيئًا حتى جعلت هى القانونية ورفض غيرها الذى ضاع أكثره وأعدموه تدريجيًا.

(١) قد بين كثير من علماء الأفرنج المحققين أن هذا الكتاب الذى كان ينقل عنه (يوستينوس) لا يمكن أن يكون هو هذه الأناجيل الأربعة بالمرة كما يدعى المبشرون الآن، وقد أثبتوا ذلك بعدة براهين يطول بنا إيرادها هنا فمن شاء الاطلاع على شئ من ذلك فليقرأ كتاب (دين الخوارق)« Religion Supernnatural » ص ١٨١ - ٢٦٧.

ولعل السبب فى جعلهم لها قانونية دون غيرها هو أنها أصح عبارة فى اللغة اليونانية وأقرب إلى غرض النصارى فى تلك الأزمنة وأقل تناقضًا وخطأ من غيرها وربما كان مروجوها بينهم أكثر وأمهر من مروجى تلك وأبرع منهم فى حسن السبك إلى غير ذلك من الأسباب المحتملة المتنوعة.

هذا وقد امتدت فلسفة اليهود فى «الكلمة» (Logos) أو «الحكمة» كما يسميها سفر الأمثال (٨: ١٢) وكتاب الحكمة ليشوع بن سيراخ (٢٤: ٩) امتد من الإسكندرية إلى آسيا الصغرى وهناك وجدت وسطًا صالحًا لنموها فامتزجت بآراء بولس وغيره فى المسيح وفى الفداء والخلاص وهى الآراء التى فشت فى النصارى وقتئذ ومن جموع ذلك صدرت الكتب المنسوبة إلى (يوحنا) من كنيسة (أفسس) وهى المدينة التى كان يوحنا فيها على ما يقال، ولذلك لم تعرف هذه الكتب (الأناجيل والرسائل) المنسوبة إليه بين النصارى الأقدمين إلا فى آخر القرن الثانى كما سبق.

قرب مجئ المسيح

فإن قيل: إذا كانت الأناجيل الحالية مما كتب فى القرن الثانى فكيف لم يحذف النصارى منها أقوال المسيح الدالة على قرب مجيئه وعلى أن ذلك يكون عقب خراب أورشليم مباشرة (راجع مثلاً مت ١٠: ٢٣ و١٦: ٢٨ و٢٤: ٣ و٢٩ - ٣٤ ومر ١٣: ٢٤ - ٣٠) مع أن ذلك لم يتحقق؟

قلت: إن هذه الأقوال كانت تعزية المسيحيين الكبرى على مصائبهم فى هذه الدنيا (١ تس ٤: ١٨) من عهد المسيح إلى أوائل القرن الثانى بعد موت يوحنا الذى كانوا يظنون أنه يبقى حيًا إلى مجئ المسيح عليه السلام (يو ٢١: ٢٣) فإذا صح أن

عيسى قال شيئًا منها فلابد أنهم لم يفهموا مراده الحقيقى فنقلوا عباراته محرفة حتى خرجت عن معناها الأصلى وشاعت بينهم على غير حقيقتها. والأرجح عندى أن اليهود الذين دخلوا فى المسيحية استنتجوا من كتبهم أن زمن عيسى هو آخر الزمان وأن القيامة قريبة جدًا منهم كما يفهم من سفر أشعياء (٢: ٢) وأرمياء (٢٣: ٢٠) والتكوين (٤٩: ١) ويوئيل (٢: ٢٨ - ٣٢) فانتشرت هذه الأقوال بين النصارى الأولين (راجع أيضًا أ ع ٢: ١٦ - ٢١) وفشت فيهم حتى نسبوها إلى المسيح نفسه وزعموا أنه قال إن القيامة ستقوم بعد خراب أورشليم مباشرة (مت ٢٤: ٣ و٢٩ - ٣٥) ولذلك قال سفر الأعمال أيضًا نقلا عن يوئيل ما يفهم منه أن خراب العالم سيكون عقب نزول الروح على التلاميذ يوم الخمسين (٢: ١ - ٢١) فكان النصارى فى القرن الأول وفى أوائل الثانى يظنون قرب مجئ القيامة فدخلت هذه الأقوال فيما كتب من الأناجيل إذ ذاك (كأصل إنجيلى متى ومرقس القديم) وتداولها الناس بينهم واشتهرت عندهم هذه النبوات وصاروا يرتقبون تحققها يومًا بعد يوم فلا يمكن بعد أن كتبت وشاعت أن يتلاعبوا فيها وأعين الناس كلهم متجهة إليها فى ذلك الزمن.

أما كاتب الإنجيل الثالث فالظاهر أنه كان فى زمن يئس فيه الناس من تحقق هذه النبوات وأمثالها فى القرن الثانى أو الجيل الثانى كما يفهم من مقدمة إنجيله فلذا شك فى رواية ألفاظها الواردة فى أصل الإنجيل الأول والثانى وحور عباراتها تحويرًا يجعلها أصلح للتأويل مما فى الإنجيلين الأولين ولم يذكر أقوال الأخرى الواردة فى إنجيل متى التى أشرنا إليها هنا (راجع لو ٢١: ٧ و٢٥ - ٣٢ تجد عبارته مخففة فى هذا الموضوع عن سابقيه) ولم يمنعه اشتهار ألفاظها الواردة فى الأناجيل التى قبله وشيوعها بين الناس واعتقادهم لها من هذا التحوير لجزمه بأخطاء روايتها وإلا لكان المسيح نفسه هو المخطئ فيها وهو غير جائز طبعًا.

وأما الإنجيل الرابع فتركها بالمرة وهو مما يدل على شدة تأخر زمنه وتحقق الناس من عدم صحتها ويأسهم منها يأسًا تامًا [(١)].

ولا يلزم من اشتهار هذه الأفكار والنبوات بين النصارى فى القرن الأول كله والثانى أن غيرها مما فى الإنجيل المنسوب لمتى ومرقس كان شهيرًا شهرتها ومعروفًا

---

(١) الصلب ونهاية العالم

لما كان النصارى فى القرن الأول يعتقدون قرب إنتهاء العالم كما بينا هنا وفى مقالة الصلب وأنهم آخر الدهور وأن الساعة قريبة جدًا منهم (رؤ ٢٢: ١٠) و (١ يو ٢: ١٨) و (١ كو ١٠: ١١) وأن بعضهم يبقى حيًا إلى مجئ القيامة (١ كو ١٥: ٥١ و٥٢ و١ تس ٤: ١٥ - ١٨)، لما كان هذا اعتقادهم كان المسيح آخر الزمان كما يزعمون ولكن الآن وقد مضى على البشر نحو عشرين قرنًا (ولا ندرى كم بقى من عمر العالم؟) لا أفهم لم حصل الصلب وجاء المسيح فى ذلك الزمن ولم يجئ فى نهاية العالم أو فى أول الأمر بعد عصيان آدم مباشرة؟؟ وحيث قد ظهر أن العالم لم ينته عقب المسيح مباشرة كما توهموا وقد وصل الرقى البشرى إلى درجة لم يصل إليها قبل المسيح، ظهر لنا عدم التناسب بين حصول الصلب والزمن الذى حصل فيه فكان الأولى عقلاً والأنسب أن يحصل قرب نهاية العالم حتى تختم جميع القرابين والضحايا به ويختم به الزمان أيضًا.

فإن قيل:- كلامك هذا صحيح إذا كان المسيح مجرد ذبيحة فقط ولكنه هو ذبيحة ومثال للبشر فى تقديم أنفسهم ضحية لأجل إخوانهم الآخرين فلذا جاء فى ذلك الزمن ليقتدى به الناس بعده فى أرقى العصور . قلت: الظاهر من صلوات المسيح ودعائه وحزنه وتقوية الملك له وطلبه النجاة من الله ومحاولته الدفاع عن نفسه وتصببه عرقًا وصراخه الخ - الظاهر من هذا كله كما بينا فى مقالة الصلب أنه لم يقدم نفسه باختياره بل أكره على ذلك إكراهًا وبذله الله بدل الناس ولم يشفق عليه كما قال بولس (رومية ٨: ٣٢) فهو ليس مثالاً حسنًا لتضحية الذات فى سبيل نفع الناس بإرادته رغبة منه واختيارًا (راجع أيضًا كتاب دين الله ص ٨٠) وعليه يكون صلب المسيح مجرد ذبيحة بشرية لإرضاء هذا الإله المحب لسفك الدماء البريئة وليس فيه شئ آخر يستفيد منه الناس فكان الأنسب أن يحصل صلبه فى نهاية العالم أو فى أوله وأما حصوله فى ذلك الزمن (من زهاء عشرين قرنًا) فلا أفهم له حكمة ولا أعرف له مناسبة!! فلعل المعجبين بعقيدتهم هذه من النصارى يهدوننا إليها. وفوق كل علم عليم.

بينهم مثلها فكاتباهما وإن تحاشيًا تحـريفها أو تحويرها لشهرتها إلا أن ذلك لا يضمن لنا صحة رواية الأشياء الأخرى التى ليست شهيرة بين الناس شهرة هذه النبوات.

هذا وعـدم علم (بابيـاس) المتـوفى بـين سنة ١٦٤ إلى ١٦٧ مـيـلادية بهـذين الإنجيلين (متى ومرقس) بحالتهما الحالية كما بينا يدل على أنهما لم يكونا بهذه الحالة فى زمنه أو لم يشتهروا بها إذ ذاك بل كان إنجيل متى عبارة عن مجموعة من أخبار المسيح وأقواله باللغـة اليونانية إلا أنها غيـر مرتبة كما سـبق بيانه وربما كان الذى منع التلامـيذ من الاعتناء بكتـابة الإنجيل هو توهمهم قـرب انتهاء العـالم فإذا صح أن نبوات يوم القيامة كانت فى أصل هذين الإنجـيلين فمترجم الأول ومرتب الثانى لم يجسرا على تحويرها أو تحـريفها نظرًا لشهرتها بين الناس أو لظنهمـا أنها ربما تحققت عن قـريب ولكن هذا السبب لم يكن عند كـاتب الإنجيل الـثالث كافـيًا لمنعـه من إصلاح مـا اعتقـد خطأه لتأخر زمنه ويأسـه وخصوصًـا لأنه كان كثـير الاجتـهاد والتدقيق كمـا هو صريح مقدمته ولم يقصد بكتـابة إنجيله أن يكون لجميع الناس بل لشخص صديق له يسـمى ثاوفيلس فلا يهمه إن قبـله الناس منه أو لم يقبلوه ما دام مقتنعًا بصحة ما استنتجه وكتبه وصدقه فيه صاحبه.

تحريف كتبهم فى القرون الأولى

هذا واشتهار هذه الأناجيل بعد ذلك فى آواخر القرن الثانى أو أوائل الثالث لم يمنع النصارى من محاولة تحريفها هى وغيرها من كتبهم فى بعض الأماكن التى لم ترق لهم أو التى كثر انتقاد الناس عليها كعبارة لوقا فى تقوية الملك للمسيح (٢٢ : ٤٣) (راجع كتابنا دين الله ص ٨٠) وكساعة الصلب فى إنجيل يوحنا (١٩ : ١٤) فجعلوها فى بعض النسخ «الثالثة» بدل السادسة [1] وغير ذلك كثير

(١) ساعة الصلب واختلافهم فيها

ذهب بعض مفسريهم الآن لرفع الخلاف بين إنجيل يوحنا ومرقس (١٥ : ٢٥) فى ساعة الصلب إلى أن ساعة يوحنا رومانية وساعة مرقس عبرية وقد رددنا على هذه الدعوى فى رسالة الصلب ونزيد الآن أن الباحثين فى تواريخ الأمم قد عرفوا خطأ هذه الدعوى مطلقًا فإن الرومانيين لم يكونوا يعدون ساعاتهم كما يعدها الإفرنج الآن وإنما كانوا يعدونها من شروق الشمس واليهود من الغروب كالعرب راجع كتاب «التوراة غير موثوق بها» تأليف (Walter Jekyll) ص ٨٦. وعليه فتفسيرهم لهذه المسألة منقوض من أوله إلى آخره ومبنى على الخطأ والجهل والقياس القديم بالحاضر فى عادات الأمم. وما دامت كتبهم مملوءة بالخطأ والتناقض والتحريف والتبديل والزيادة والنقصان فى المسائل الطفيفة وغير الطفيفة وما داموا يسلمون بخطأ النساخ الكثير فيها بل بالزيادة عمدًا حتى فى بعض العقائد المهمة (كما فى رسالة يوحنا الأولى ٥ : ٧ و٨) فكيف بعد ذلك يمكننا أن نقطع بشئ فيها أو نجزم بأنه من قول المسيح أو تلاميذه وأنه لم يزد خطأ أو عمدًا وخصوصًا لأن أقدم ما عندهم من النسخ لا يتجاوز على قولهم القرن الرابع (راجع كتاب صدق المسيحية لمؤلفه Tyrton ص ٣٠٩ و ٣١٠) ولا أدرى إذا كان الله يريد أن تكون هذه الكتب هداية للبشر فى كل زمان ومكان إلى يوم القيامة فلمَ لم يصنها عن كل ما حصل لها وما وقع فيها حتى تطمئن نفوس الناس إليها وخصوصًا أهلها الذين أصبحوا أشد الناس محاربة وإنكاراً لها!! فالحق أن الله لم يرد ذلك وإنما جعلها درجة تحضيرية تمهيدية للقرآن المصون من التحريف والتبديل (كما وعد تعالى قر ١٥ : ٩ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) والباقى إلى يوم القيامة (انظر كتاب دين الله ص ٨٢ و ٨٣) فما حفظه الناس من تلك الكتب إنما كان كافيًا لهم إلى زمن القرآن.

(راجع أيضًا رسالة الصلب» ص ١٦٢ وكتاب «دين الله» ص ٧٦ - ٧٨) وعبارة إنجيل لوقا المشار إليها هنا تدل على أن كاتبه إما أنه ما كان يعتقد فى المسيح الألوهية الحقيقية كباقى زملائه كتاب العهد الجديد (انظر مثلاً رؤيا ٣: ١٤) أو أنه لم يقدر الله حق قدره فلذا قال هذه العبارة، والوجه الأول هو الراجح عندنا كما سبق بيانه.

نبوات اليهود والمسيح

ومن العجيب أن المحرفين قد يضيفون بعض عبارات من عند أنفسهم كما فى إنجيل مرقس (١٦ : ١٧ و١٨) وينسبونها للمسيح كذبًا وإن أوقعهم ذلك فى إشكال عظيم مادام فى علمهم هذا تطبيق لنبوات قديمة على المسيح وأتباعه فإن هذا هو أكبر مقاصدهم بل مقصدهم الوحيد فى كل ما يكتبونه عن المسيح حتى أعماهم عن كل شئ آخر. ألا ترى أن كاتبى إنجيل متى ومرقس زعما أن المسيح صرخ وهو مصلوب قائلاً «إلهى إلهى لماذا تركتنى» (مت ٢٧: ٤٦ ومر ١٥ : ٣٤) رغبة منهما فى تطبيق المزمور (٢٢: ١) عليه ونسيا أن مثل هذا الصراخ يدل على العجز والضعف واليأس والقنوط من رحمة الله وعدم الرغبة فى تضحية ذاته فى سبيل خلاص الناس. ولكن رغبة الإنجيليين فى تطبيق نبوات اليهود على المسيح أنستهم كل شئ آخر، وكذلك ادعى متى ركوب المسيح الأتان والجحش معًا حينما دخل أورشليم تطبيقًا لنبوة زكريا عليه التى لم يفهما كما سبق بيانه، وتراهم مثلاً يقولون فى إنجيل مرقس وغيره (مثل يو ١٤: ١٢) إن الذين يؤمنون بالمسيح يخرجون الشياطين باسمه ويتكلمون بألسنة جديدة ويحملون الحيات ولا تضرهم السموم ويشفون المرضى مع أن هذه الأشياء لا نرى أحداً منهم الآن يقدر على فعلها، وإن زعموا أنها خاصة بتلاميذه مع أن النص عام، قلنا: ولماذا لا نشاهد هذه الآيات

والمعجزات الآن مع شدة احتياج العالم إليها وامتلاء قلوب العالمين بالشك فى الدين المسيحى على الخصوص وكثرة الطعن فيه وتكذيبه حتى ممن كانوا أتباعه؟

ولو جاز اتخاذ مثل هذه العبارات دليلاً على أن الإنجيليين ومن عاصرهم كانوا يرون بأعينهم المعجزات تعمل فى زمنهم على يد تلاميذ المسيح، لجاز أيضًا أن يقال إنهم كانوا يرون الجبال تنتقل من مكانها وتنطرح فى البحر بل كانوا يرون ما هو أكبر من ذلك يحصل بكلمة أى رجل منهم ولو كان إيمانه ضعيفًا كحبة الخردل كما قالوا فى أناجيلهم (مت ١٧ : ٢٠ ومر ١١ : ٢٣ ولو ١٧ : ٦) ومع أنه لم يشاهد أحد منهم شيئًا من ذلك قطعًا ولا انتقلت الجبال ولن تنتقل بأضعف الإيمان ولا بأكمله، فلم إذًا نسبوا هذه العبارات للمسيح وخطؤها واضح لا يحتاج إلى دليل؟ ألا يدل ذلك على أنهم كانوا يخترعون ولا يبالون، والناس لجهلهم يصدقون؟!

وإذا صح قول المسيح إن حبة خردل من الإيمان تفعل كل شئ فكيف بعد ذلك مباشرة (مت ١٧ : ٢١) اشترط الصلاة والصوم لإخراج شيطان (!!) من شخص قدم لتلاميذه فلم ينجحوا فى إخراجه منه؟ أفلم يكن عندهم قدر حبة خردل من الإيمان؟ وإن كانت عندهم فلم اشترط إذًا الصلاة والصوم وهو القائل قبل ذلك إن حبة خردل من الإيمان كافية لكل عمل حتى لا يكون شئ مستحيلاً [1] مع وجودها؟؟

أما السبب عندنا فى نسبة مثل تلك العبارات للمسيح فهو أيضًا ورودها فى النبوات القديمة كعادتهم وتوهم الكاتب بدون بحث ولا تحقيق - لشيوع الجهل إذ

(١) قارن عبارة المسيح هذه بقول القرآن (فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلا) ونحوها كثير فالقرآن أول كتاب نص على أن نواميس الكون لا تتبدل ولا تتغير فهى ليست خاضعة لصلاة فلان، ولا لدعاء علان، ولا لكلمة مخلوق مهما كان، حتى نفس «يسوع ابن الإنسان».

ذاك - قدرة الناس على هذه المعجزات لكثرة ادعائهم لها فى تلك الأزمنة بشئ من الشعوذة والحيل أو التأثير العصبى على عامة الناس ليثبتوا صدق النبوات الماضية القائلة بحصولها فى زمن أتباعه [١] فامتلاؤهم بروح القدس وتكلمهم بألسنة جديدة قال عنه يوئيل (٢: ٢٨ - ٣٠ راجع أيضًا أع : ١٦: ١٩) وعدم أذية الحيات وغيرها لهم وسلامتهم من كل سوء ذكره أشعياء (١١: ٨ و٦٥: ٢٥) والمزامير (٩١: ١٣) وغيرهما وشفاؤهم المرضى ذكره أشعياء أيضًا (٢٩: ١٨ و٣٥: ٥ - ١٠) ولما

(١) جاء فى تلمود اليهود أن أتباع عيسى كانوا فى أواخر القرن الأول وأوائل الثانى يشفون المرضى باسم (يسوع) ويبرئون لسع الحيات به أيضًا ويقول العهد الجديد إنهم كانوا يخرجون الشياطين باسمه. فهذه الأوهام كانت منتشرة بين الناس فى تلك الأزمنة القديمة حتى كان اليهود أيضًا يخرجونها باسم «سليمان» وإلى الآن نرى بعض عامة المسلمين يدعون الكرامات ويفعلونها باسم مشايخهم كالرفاعى وغيره فيأكلون النار والزجاج والثعابين ويطعنون أنفسهم بالسنان ويحملون الحيات ويخرجونها من مكامنها إلى غير ذلك من كراماتهم التى تشبه ما ذكر فى العهد الجديد عن النصارى. ومع أن النصارى كانوا يستعملون اسم (يسوع) لإخراج الشياطين على زعمهم (انظر مثلاً أع ١٦: ١٨ و١٩: ١٣ - ١٧) تراه هو نفسه يعترف بأنه إنما يخرجهم بروح الله (مت ١٢: ٢٨) وأن كل أعمالهم هى باسم الله (يو ١٠: ٢٥) وكان اليهود المعاصرون له لشدة جهلهم يقولون إنه يخرجهم ببعلز بول رئيس الشياطين (مت ١٢: ٢٤) لأنهم كانوا يظنون أن الأمراض التى كان عليه السلام يشفيها هى ناشئة عن الشيالطين.

فأمثال هذه الأوهام شائعة بين الناس الجهلة فى كل زمان ومكان وخصوصًا فى الأزمنة القديمة حتى يصدقها بعض الخاصة كيوسيفوس المؤرخ الشهير الذى روى أنه شاهد شخصًا يسمى اليعيزر (Eliezer) ا اليهودى يخرج الشياطين بالقسم عليها باسم «سليمان» فى حضرة الإمبراطور (فسباسيان) (Vespasian) الذى توج سنة ٦٩م وبحضوره أولاده وجيشه، وكان هذا الرجل يضع إناءً مملوءًا بالماء على بعد من المصاب ثم يأمر الشيطان بقلبه بعد خروجه من الإنسان وبذلك كان يظهر - كما يقول يوسيفوس - براعة سليمان وحكمته. وإلى الآن نرى بعض النساء فى مصر حتى المسلمات يزرن صورة مارى جرجس وقبره فى الكنيسة والنصرانيات قد يزرن بعض قبور أولياء المسلمين أيضًا والكل يزعمن أنهن شفين من أمراضهن وأوجاعهن وخرجت عفاريتهن.

كانت أغلب هذه الأمراض عندهم ناشئة عن تأثير الشياطين فلا عجب إذاً إذا جعلهم كُتّاب الأناجيل قادرين على إخراج الشياطين أيضًا، والحق أن سفر أشعياء هذا هو أعظم مصدر لقصص وعبارات العهد الجديد فجل ما حكوه فيه تجد أن الحامل لهم عليه هو تطبيق عبارات أشعياء على المسيح وعلى أتباعه ولو لم يقدروا على عمل شئ من ذلك الآن لإقناع الشاكين منهم فى دينهم.

وزيادة هذه العبارات فى مرقس (١٦ : ٩ - ٢٠) مسلمة عند كثير من علمائهم حتى من أشد المدافعين عن المسيحية المتعصبين لها كترتون (Turton) مؤلف كتاب «صدق المسيحية» (The Truth of Christianity) ص ٣٨٢ منه. فرغبة كتاب العهد الجديد فى تطبيق هذه النبوات القديمة كان أعظم سبب لضلالهم ووقوعهم فى الغلط الكثير الذى ملأ أكثر كتبهم. والذى منع النصارى فيما بعد عن إصلاح هذه الغلطات مع كثرة تلاعبهم فى كتبهم أمران:

١- اشتهار هذه الغلطات ومعرفة خصومهم لها من قديم الزمان وتعييرهم بها فلا يمكنهم والحالة هذه إصلاحها.

٢- شيوع الجهل بينهم فى الأزمنة القديمة، واعتقادهم أن الإيمان بدون بحث ولا تعقل فضيلة، وقلة عدد نسخ كتبهم وعدم ضم بعضها إلى بعض كما هى الآن وقلة المطلعين عليها حينئذ فلم يتنبهوا لهذه الغلطات إلا بعد أن وقف عليها الناس وعرفوها وحفظوها عليهم فى كتبهم فلا يصح جعل هذه الغلطات - كما يفعل بعضهم الآن - دليلاً على أمانتهم فى النقل، فكم من غلطات غيرها حاولوا إصلاحها أو أصلحوها فعلاً لعدم شهرتها وعرف ذلك أخيراً كما بينا بالمراجعة والبحث فى النسخ الحديثة والقديمة والكتب الأخرى غير المقدسة التاريخية والتفسيرية وغيرها ولولا خوف الفضيحة والعار لأصلحوا كل غلطات كتبهم الآن ليستريحوا من كثرة القيل والقال، ومع ذلك يتجدد لهم فيها كل حين تنقيح وتصحيح، وأخذ ورد، وتسليم ورفض، فلم يستقروا فى أمرها على حال إلى الآن.

تلاميذ المسيح المسمون بالرسل (١) وبولس

هؤلاء التلاميذ هم اثنا عشر رجلا: ثمانية منهم لم يكتبوا شيئا كما يقول النصارى وهم أندراوس، ويعقوب، وفيلبس، وبرتولماوس، وتوما (٢)، وسمعان القانونى، ويعقوب بن حلفى، ويهوذا الإسخريوطى، وهاك خبر الأربعة الباقين:

---

(١) الحواريون

يرى بعض علماء اللغات أن كلمة (الحواريين) فى القرآن هى معربة عن الحبشية ومعناها فيها (الرسل) أو (المرسلون) سماهم بذلك القرآن إما بحسب العرف الجارى فى ذلك الزمن بين نصارى العرب كما نسمى الآن دعاة النصرانية (بالمبشرين) وإما لأن المسيح أرسلهم فى حياته لدعوة اليهود إلى المسيحية كما فى الأناجيل (راجع متى ١٠ :١ - ١٥ ولوقا ٩ :١-٦و١٠: ١ - ١٢) وكذلك كان رسول الله ﷺ يرسل بعض أصحابه إلى بعض الجهات لتعليم الناس الدين والحكم بينهم وغير ذلك كمعاذ بن جبل الذى أرسله إلى اليمن. وكانوا يسمون أيضا «رُسُل رسول الله» والحكمة فى اختيار القرآن هذه الكلمة الحبشية دون مرادفها بالعربية هى منع الالتباس لتكون علما خاصا بهؤلاء التلاميذ الممتازين من أصحاب عيسى والظاهر من نصوص القرآن أن إيمان بعضهم (على الأقل) لم يكن كما يجب وخصوصاً بعد عيسى وأن الخلاف فى مسائل الدين نشأ منذ عصرهم (راجع قر ٣: ٥٢ - ٥٤و ٥: ٧٧و١١٢و١١٧ نفسه و١٩: ٣٧و٤٣: ٦٥ و٦١: ١٤) فطباعهم كانت كطباع أسلافهم قوم موسى، بل قد نص المسيح على أنه لم يكن عندهم إيمان مطلقا (مت ١٧ : ٢٠) وقال لبطرس أيضاً (مت ١٤: ٣١) «يا قليل الإيمان، مع أنه أعظمهم، فما بالك بغيره»!!

(٢) يقال إن توما هذا سافر إلى جزائر الهند الشرقية ومات هناك (قاموس يوست مجلد ١ ص ٢٩٥) ولعله كان فى رحلته هذه مصاحبا للمسيح عليه السلام فى هجرته الهندية التى ذكرناها فى مقالة الصلب وتوما هذا هو التلميذ الوحيد بحسب الأناجيل الحالية (يو ٢٠: ٢٥) الذى كان عارض التلاميذ فى قولهم بقيامة المسيح، وله إنجيل يونانى ذكر معجزة خلق الطين طيراً وغيرها مما ذكره القرآن ولكن النصارى يرفضون هذا الإنجيل.

بطرس وضعفه

١ - بطرس:

لم يكتب سوى رسالتين وكان ضعيفًا ولذلك أنكر المسيح وقت الصلب من شدة الرعب والجبن وسماه المسيح من قبل ذلك شيطانًا (مت ١٦: ٢٣ ومر ٨: ٣٢) وكان يرائى اليهود فى أنطاكية حتى زجره بولس (غلاطية ٢: ١١ - ١٤) فإذا سلم أنه هو الكاتب للرسالتين المنسوبتين إليه فلا ثقة لنا به وخصوصًا لأن بولس كان يؤثر عليه كثيرًا. وأما تسمية المسيح له ببطرس (أى الصخرة) فالظاهر أنها كانت فى أول الأمر عند ابتداء إيمانه كما فى يوحنا (١: ٤٢) أى قبل أن يحصل منه ما حصل فكان عيسى عليه السلام يحسن به ويغيره الظن كما هو شأن المخلصين الصالحين وكما أحسنه بيهوذا حتى وعده بالجنة (مت ١٩: ٢٨) هذا إذا صح أن المسيح نفسه هو الذى سماه بطرس. وأما قصة بناء الكنيسة عليه وإعطائه مفاتيح الملكوت (مت ١٦: ١٨ و١٩) فالأرجح أنها كغيرها من تاريخ بطرس زيادة من رؤساء الكنيسة الأقدمين فى هذا الإنجيل ليبنوا عليها سلطتهم التى كان منها ما كان مما لا ينساه تاريخ النصرانية من سفك الدماء وظلم الأبرياء ودعوى القدرة على غفران الذنوب للناس وغير ذلك. ومع كون هذه القصة لا تتفق مع تسميته بعدها مباشرة بالشيطان لم تذكر فى إنجيل آخر غير متى فالظاهر أن المحرفين خافوا الفضيحة فاقتصروا على إضافتها فى الكل وكما هى عادتهم غالبًا فى التحريف ليقال «إنهم لم يمسوا الكتب بسوء وإلا لأضافوها فى الجميع» كما يقول بعض مبشريهم الآن. ومع ذلك يوجد فى إنجيل يوحنا (٢٠: ٢٣) عبارة تشبهها إلا أنها ليست خاصة ببطرس وقصتها غير هذه القصة وزمنها متأخر عنها لأنها قبلت بعد قيامة المسيح، ولا يبعد أنها أيضًا من زيادتهم المتنوعة فى الأناجيل المختلفة باختلاف عقول المحرفين ومعلوماتهم.

متى

٢-متى:

روى أنه جمع بعض أقوال المسيح بالعبرية وما جمعه مفقود الآن كما سبق.

لباوس

٣- لباوس:

المسمى يهوذا كتب رسالة واحدة ليس فيها شئ يذكر من عقائدهم وفيها يستشهد بكتب غير قانونية عندهم (أبو كريفية) (عدد ٩ و١٤). ومن مضحكات براهين النصارى أنهم إذا وجدوا فى بعض الكتب القديمة قولاً من أقوال المسيح يشبه ما فى أناجيلهم الحالية زعموا أن المؤلف اقتبسه من أناجيلهم واتخذوا ذلك دليلاً على وجود هذه الأناجيل فى زمن المؤلف وعلى صحة نسبتها إلى من نسبت إليهم، ولا أدرى لماذا إذًا رفضوا كتاب (أخنوخ) وقالوا إنه موضوع مكذوب مع أن يهوذا (وهو موحى إليه عندهم) قد ذكره فى رسالته هذه واستشهد به ونص على أن أخنوخ هو القائل للعبارة التى استشهد بها فلماذا إذًا خالفوا طريقتهم فى الاستدلال على صحة هذا الكتاب؟!!

يوحنا. الشك فى كتبه وتحريفها

٤- يوحنا وانجيله:

مشكوك فيه كما بينا وقد زادوا فى إحدى رسائله أصرح عبارة عندهم فى عقيدة التثليث (١ يو ٥: ٧) فإذا سلمنا صحة نسبة هذه الكتب إلى يوحنا فكيف نأمن أن يكونوا حرفوها كما حرفوا هذه العبارة؟ ومن أين لنا صدق هذا الرجل وعصمته من الخطأ وما الدليل على أنه موحى إليه؟ وفضلاً عن ذلك فهو لم ينص

- فيمـا قالوا إنه كتبه - علـى الألوهية الحقيقـية للمسيح كمـا بيناه ولو سلم أنه دعا الناس إليها لاستـحق القتل بنص التوراة (تث ٣: ٥) ولو كان مؤيدًا بالمعـجزات فما بالك وهو لم تثبت له واحدة باليقين.

ومما تقدم تعلم أن الرسل لم يكتبوا شيئًـا هامًا عن تاريخ المسيح وتعاليمه!! فهل كتـبوا شيئًا غيـر ذلك لم يصل إلينا؟ لا ندرى. ولماذا تعرض للكتـابة سواهم من تلاميذ بولس ومريديه؟ حتى إنك لترى أن جل العهد الجديد ليس من عمل تلاميذ المسيح بل هو عمل بولس ومريديه!!

بولس

وإذا تذكـرنا مـشاجـرة بولس مع برنابا (أ ع ١٥: ٣٩) مع أنه هـو الذى قدمـه للرسل وجـعلهم يثـقون به (أ ع ٩: ٢٧) وعـدم وصول شئ لـنا من برنابا تثق به النصارى الآن مع أنه كان شـريك بولس والمخصص معه لدعوة الأمم غيـر اليهودية إلى المسيحية (غل ٢: ٩) ووصـول جميع كتابات بولس وذيوله [١] (تلاميـذه) إلينا وانتهار بولس لبطرس فى أنطاكية وكلام بولس القارص وتحامله وبغضه لأكثر تلاميذ المسيح كما هو صريح عباراته فى رسـالته إلى أهل غلاطية (أصحاح ١ و٢) وتهكمه بهم وترفعه بهم وترفعه عنهم (غل ٢: ٦ و٢ كو ١١: ٥ و٦ و٢٣).

(١) حاشية: لاحظ أن هذا الكلام وما يأتى مبنى عـلى فرض صحة نسبة هذه الكتب إلى من نسبت إليـهم كما فرضنا ذلـك فى مقالة الصلب. ولكن بعض علمـاء النقد فى أوروبا يرى الآن أن جل هذه الكتب أو كلها منسـوب إلى هؤلاء الناس كذبًا كصاحب الكتـاب «مصادر النصرانية» المستر توماس ويتاكر وغيره من محققى الأفرنج عديدون.

إذا تذكرنا كل ذلك تبين لنا كيف كان هذا الرجل مستبدًا فيهم مسلطًا عليهم غير ميال إليهم مستأثرًا بهذا مع أنه لم ير المسيح ولم يعرفه ولا آمن به فى عهده بل كان عدوًا له ولمن اتبعه طول حياته. ثم إنه كان يناقض نفسه بنفسه فى قصته كما فى سفر الأعمال حينما سمع صوت يسوع ورآه كما يزعم (راجع أ ع ٩: ٦ - ٨ و٢٢: ٩ و٢٦: ١٣ - ١٨) وكذلك يناقض برسالته الأولى إلى أهل تسالونيكى سفر الأعمال (قارن أ ع ١٧: ١٤ - ١٦ و١٨: ٥ مع ١ تسا ٣: ١ - ٢) وأيضًا فإن عباراته فى غلاطية (١ و٢) تناقض أخباره الواردة فى سفر الأعمال المذكور بينه (رينان) بالتفصيل فى كتابه عن الرسل (صفحة ٢١ و٢٢ منه) وذلك لتقلب هذا الرجل وتلونه فهو كما يقول عن نفسه يهودى لليهود (انظر أ ع ٢١: ١٨ - ٢٦ و١٦: ١ - ٣) ونصرانى للنصارى ووثنى للوثنيين (اظر ١ كو ٩: ١٩ - ٢٣) ليربح الجميع لمذهبه وتعاليمه التى يسميها الإنجيل.

والظاهر من رسائله أنه كان له إنجيل مخصوص يدعو الناس إليه ويزعم أن الله سيدين سرائرهم يوم القيامة بحسب هذا الإنجيل (رو ٢: ١٦ و١٦: ٢٥ و٢ تى ٢: ٨) ولا ندرى ما هو هذا الإنجيل؟ وأين ذهب؟ وقال إنه كان غير إنجيل تلاميذ المسيح المسمى بإنجيل الختان (غل ٢: ٧) - أى أن تعاليمه كانت خلاف تعاليم موسى وعيسى - وأنه وحده اؤتمن على هذا الإنجيل (١ تى ١: ١١) فهو فى الحقيقة الكل فى الكل وجميع العهد الجديد هو مؤلفه إما بنفسه أو بيد تلاميذه وشيعته كمرقس ولوقا إلا القليل جدًا منه وقد قضى على كل عمل لغيره تقريبًا من أعمال التلاميذ الأخر إلا اللذين وافقاه على آرائه وشايعاه فى سفر الرؤيا ولم يجاهر بذلك خوفًا من أتباعه الكثيرين من الأمم (رؤ ٢: ٢ و٩ و١٤ و٣: ٩) هذا إذا صح أن يوحنا هو الكاتب لسفر الرؤيا. وأما الذين تجاهروا بمخالفته من الحواريين فكان

يمقتهم ويدعى أنهم يريدون تحريف الإنجيل (غل ١ : ٧) وأنهم دخلاء فى المسيحية (غل ٢ : ٤) مع أنه هو الدخيل فيهم(١).

ومن شدة تأثيره فى الناس فى ذلك الوقت ولعبه بعقولهم أنه لما تشاجر مع برنابا وانفصل عنه مرقس (أ ع ١٥ : ٣٩) نبه على الكنائس بعدم قبول مرقس إذا جاءهم واعظًا ولما صالحه أرسل إليهم بقبوله، فكانوا طوع أمره دون غيره من الرسل، ومما

(١) أقوال الأبيونيى فى بولس

قال الأبيونيون (أى الفقراء) وجمهورهم عبرانيون وكانوا هم النصارى الحقيقيين فى القرن الأول والثانى (كما قال رينان غيره) قالوا:- إن بولس هذا لم يكن يهوديًا وكذبوه فى هذه الدعوى التى ادعاها عند من لم يعرفه فى رسائله لهم وقالوا إنه دخل فى اليهودية لكى يتزوج ببنت رئيس الكهنة واختتن فلما أبى رئيس الكهنة أن يزوجه ابنته دخل فى المسيحية وادعى أنه رسول المسيح إلى النصارى فلم يحب أن يرى فى النصرانية أثرًا من آثار الديانة الموسوية ولذلك سعى جهده فى إخراج المسيحيين عن الناموس وحنق على كل من قاومه (راجع رسالته إلى أهل غلاطية) وأبطل جميع شرائع موسى وتبعته الأمم الداخلون حديثًا فى المسيحية فى ذلك لأن ذلك كان أسهل بكثير من عبء الناموس (انظر كتاب دين الخوارق صفحة ٧٨) وبقى تلاميذ المسيح والنصارى الأولون محافظين على تعاليم موسى وعيسى ولذلك قال يوحنا فى رؤياه ٢ : ٢ (وقد جربت القائلين أنهم يهود رسل وليسوا رسلاً فوجدتهم كاذبين ٩ وتجديف القائلين أنهم يهود وليسوا يهودًا بل هم مجمع الشيطان ١٤ إن عندك هناك أقوامًا متمسكين بتعليم بلعام الذى كان يعلم بالاق أن يلقى معثرة أمام بنى إسرائيل أن يأكلوا ما ذبح للأوثان ويزنوا) والمراد بالزنا هنا عدم مراعاة البولسيين أحكام الشريعة الموسوية فى مسائلهم الزوجية وعدم اعتدادهم بها. والظاهر أيضًا أن كانت رسالة يعقوب كان من اليهود المتنصرين أو بعبارة أخرى كان من هؤلاء الأبيونيين ولذلك خالف فى رسالته هذه (ص ٢) بولس فى دعواه الخلاص بالإيمان وحده (انظر مثلاً رومية ص ٣ و٤ وغلاطية ٢ : ١٦ و٢١ و٣ : ٢ - ٢٩) وبين صاحب رسالة يعقوب أن العمل الصالح لابد منه مع الإيمان (انظر ٢ : ١٤ - ٢٦) ولم يذكر فى هذه الرسالة شئ من عقائد النصرانية المعروفة وكون هذا الكاتب من الأبيونيين (الفقراء) يظهر من عدة مواضع من رسالته هذه (مثل ١ : ١٠ و١١ و٢ : ٢ - ٧ و٥ : ١ - ٦) والراجح أن الكنيسة لم تقبلها - كسفر الرؤيا - إلا بعد بولس بمدة وربما كان قبولها لرغبتهم فى ضم أصحابها إليهم.

يدل على ذلك قوله فى رسالته إلى أهل كولوسى ٤ : ١٠ (ومرقس ابن أخت برنابا الذى أخذتم لأجله وصايا. إن أتى إليكم فاقبـلوه) ولولا هذه العبارة لما قبل مرقس أحد وربما ما كان يبقى الإنجـيل المسمى باسمه إلى اليوم كما حصـل لتلاميذ المسيح الذين أطفأ ذكرهم ولم يقف أحد لهم على أثر أو خبـر وخصوصًا المحافظين منهم على تعاليم موسى وعيسى وهم الذين كانوا قدوة لبـعض الفرق القديمة كالأبيونيين والناصـريين وغيـرهم ولذلك ذم ذمـا شنيـعًا فى الخطب المنسـوبة إلى أكليـمندس الرومانى.

مبالغات بولس فى رؤية المسيح

ومما انفرد به عن سـائر الناس قوله (١ كـو ١٥ : ٦) فى قيامـة المسيح من الموت (وبعـد ذلك ظهر دفـعة واحـدة لأكثـر من ٥٠٠ أخ أكثـرهم باق إلى الآن ولكن بعضهم قد رقدوا. . . . . وآخر الكل كـأنه للسقط ظهر لى أنا) ولا ندرى ولا غيرنا يدرى من أين له هذا الخبر، خبر ظهوره لخمـسمائة شخص ومتى وكيف كان ذلك ومن هم وأين ظهر لهم المسيح؟ وهل رأوا شخصه أو رأوا نورًا وبرقًا فظنوه المسيح كما ظنه بولس (قـارن أ ع ٩ :٣ و٤ و٧ و٢٢ : ٩ مع ١ كو ١٥ : ٨) وما دام بولس لم يعين أسماء هؤلاء الأشخاص الخمسمائة أو بـعضهم فما فائدة قوله «أكثرهم باق إلى الآن» فمن من الناس إذ ذاك يمـكنه أن يكذبه وهو لم يذكر اسم أحد مـعين؟ وكيف يتيـسر لأهل كورنثوس أن يسألوهم وهم بعيـدون عنهم ولا يعرفونهم على التعيين؟ وإذا سـألوا بعض المسيحيين عن ذلك الوقت فـهل نضمن أن لا يحملهم حب تأييد دينهم والرغبة فى الظهور والتشرف بهذه الرؤية والإغراب فى القول على الإخبار بما لم يبصروه أو تقرير ما لم يوقنوا به؟

وإذا تذكرنا كـثرة الكذب الآن فى نقل أخبار البـلاد القريبة منا والبعـيدة عنا مع

توفر جـميع الوسائل عندنا لنقلهـا إلينا (كالجرائد وغـيرها) ومع سهـولة المواصلات وسرعة نقل الأخبار بطرق مدهشة خارقة لعادة تلك الأزمان وارتقاء الناس فى العلم والعـقل - إذا تذكرنا كل ذلك أدركنا كـيف تكون حالة الإخـبار فى ذلك الـزمان ومبلغها من الصدق وخصوصًا أخبار مثل تلك الغرائب والعجائب.

وهل يبـعد على أهل تلك الأزمنة أن يكونوا هـم الذين افتـجروا هذه العـبارة ونسبوها إلى بولس بعد زمنه كما هى عادتهم وإلا إذا كان هذا الخبر صحيحًا فكيف تركته جميع الأناجيل مع أنه من الأهمـية بمكان عظيم كما لا يخفى؟ وإذا كان هذا الجم الغفير كله رأى المسيح فكيف لم يرو هذا الخـبر أحد منهم مطلقًا فى الأناجيل أو فى الرسائل أو غيرها وبقى سرًا مكتومًا بينهم حتى أفشته رسالة بولس هذه؟ وإن كان هذا الخبـر وصل إلى بولس بالوحى فلم لم يوح به إلى غيره ليـدونه؟ وما هذا الوحى الذى يكثـرون من ادعـائه لكل نصرانـى فى القرن الأول؟ وإذا كـانت روح القدس توهب لكل شـخص من المؤمنين (أ ع ٨: ١٤ - ٢٠ و١٩: ١ - ٧) بمجرد وضع اليد عليـه فما حـاجة الناس إذًا لهؤلاء الرسل الكثـيرين وكتـاباتهم ولرسائل بولس وغيره الطويلـة العريضة إذا كانوا كلهم أنبيـاء ممتلئين من روح الله؟ وإذا صح قول النصـارى فى نبوة دانيال (٩: ٢٤) أنهـا فى حق المسيح فلمـاذا لم تختم الرؤيا والنبوة به كما قال دانيال فيها؟ وكيف يكون جميع تلاميذ المسيح أنبياء بعده ملهمين من الله؟ وما معنى قول سفر الأعمال نقلا عن يوئيل ٢: ١٧ (يقول الله ويكون فى الأيام الأخـيرة أنى أسكب مـن روحى على كل بشر فـيـتنبأ بـنوكم وبناتكم ويرى شبابكم رؤى (جمع رؤيـا) ويحلم شيوخكم أحلامًا ١٨ وعلى عبـيدى أيضًا وإمائى أسكب من روحى فى تلك الأيام فيتنبأون).

وهو ينافى خـتم الرؤيا والنبـوة بالمسـيح!! وكيف رأى يوحـنا رؤياه المشهـورة؟ وكيف صـار بولس نبيًا مـوحى إليه من الله بعـد المسيح يحل ما يـحل؟ فهل نسى

صاحب كتاب الأعمال نبوة دانيـال أم هذه النبوة فى اعتقاده ليست فى حق المسيح؟ فـفى حق من إذًا؟ [(١)] وكيف أثرت الأنبياء إلى هذه الدرجـة بعد المسيح كما فى كتاب الأعمال حتى كان منهم أغابوس وغيره (أنظر أ ع ١١: ٢٧ - ٣٠ و١٣: ١ - ٣ و٢١: ١٠ - ١٢) الخ الخ. فلولا عـبـارة يوئـيل السـابقـة (٢: ٢٨ - ٣١) فى انسكاب روح الله على «كل بشر» وكـثرة تنبؤ الناس فى آخر الزمـان لما جعل كاتب سفر الأعمال جميع الـنصارى الأولين أنبياء، ولما صاغ كل هذه القصص فى نزول روح القدس عليـهم وتنبئهم، فـهو فى هذه المسألة أيضًـا لم يخرج عمـا ألفوه من عادة اختراع الحكايات لتطبيق النبوات عليهم.

فهل مثل هذه الكتب يـصح أن تعتبر تاريخيـة يؤخذ بما فيها ويعـول عليها وهى كما بينا مرارًا لم تخل فى كل ما كـتب فيها من الأهواء والأغراض؟ ولماذا لا تنزل عليهم روح الـقدس الآن؟ وأين ذهبت معـجزاتهم وآياتهم العـديدة وقد امـتلأت أوروبا وغيرها بالملحدين والمشككين وجـماعة العقليين (Rationalists) وغيـرهم؟ ولماذا لا تقدر النصارى على عمل الآيات والعجـائب الآن كما وعدهم المسيح على زعمهـم بقوله (مثلاً مـر ١٦: ١٧ وهذه الآيات تتبع المؤمنين. يخرجون الشـياطين باسمى ويتكلمون بألسنة جديدة ١٨ يحملون حيات وإن شربوا شيئًا مميتًا لا يضرهم ويضعون أيديهـم على المرضى فيبرأون) وما وجـه تخصيصـهم الآن هذه العبارات ونحوها (كـما فى يو ١٤: ١٢) بالحواريين وهى عـامة فى جميع المؤمنين كـما هو ظاهر منها؟ أليس لأنها لم تتحقق؟؟

(١) راجع «كتاب دين الله» ص ١٥ - ٢٨ لتعرف الجواب عن هذا السؤال.

ظهور المسيح

وهناك مسألة أخرى تبطل أيضًا دعوى بولس السابقة وهى ظهور المسيح لخمسمائة شخص وإليك بيانها:

جاء فى كتاب (صدق المسيحية) (The Truth of Christianity) فى صفحة ٣٨٥ منه ما مؤداه (أن ظهور المسيح لهؤلاء الخمسمائة كان فى الجليل لأنه لم يكن فى أورشليم قدر هذا العدد من التلاميذ كما يفهم من كتاب الأعمال ١ : ١٥) اهـ.

وهذا الرأى هو المعول عليه عند جميع علماء المسيحية وهو مبنى على قول متى (٢٨ : ١٠) أن المسيح أرسل إلى تلاميذه أمرًا بالذهاب إلى الجليل لكى يروه هناك (راجع أيضًا مرقس ١٧ : ٧) ولكن متى نفسه ذكر أن الذين ذهبوا هم الأحد عشر تلميذًا (٢٨: ١٦) وأن بعضهم شكوا حينما رأوه (عدد ١٧) والظاهر من ذلك أنهم رأوه على بعد فى الأفق ولذلك خرجوا إلى الجبل ليرتقبوا ظهوره هناك. فلم يقل متى ولا غيره إنهم كانوا خمسمائة. ومع ذلك فرواية الظهور فى الجليل هذه منقوضة بقول لوقا إن المسيح فى مساء اليوم الذى قام فيه قابل تلاميذه وقال لهم «أقيموا فى مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالى» (لو ٢٤: ١ و١٣ و٢٩ و٣٣ و٣٦ و٤٤ - ٤٩) ثم صعد إلى السماء ورجعوا هم إلى أورشليم (عدد ٥١ و٥٢) وبقطع النظر عن مناقضة لوقا نفسه بما كتبه فى سفر الأعمال حيث جعل الصعود بعد أربعين يومًا من أورشليم (أ ع ١ :٣ و٩) إلا أنه قال إن المسيح أوصاهم أيضًا فى آخر يوم أن لا يبرحوا أورشليم حتى تحل عليهم روح القدس (عدد ٤ و٨).

فيستفاد من ذلك أن المسيح من أول يوم إلى آخر يوم «أوصى تلاميذه بعدم مبارحة أورشليم إلا بعد حلول روح القدس عليهم» وهذه الروح لم تحل عليهم إلا يوم الخمسين أى بعد صعود بنحو عشرة أيام (أ ع ٢ :١ - ٤) وعليه فهم لم يبرحوا

أورشليم إلا بعد الصعود فكيف إذًا قال متى إن المسيح أمرهم بمبارحتها إلى الجليل وأنهم هناك رأوه؟ وكيف يمكن رفع هذا التناقض البين من بينهما؟ اللهم إلا بالتكلف البارد والتعسف الذى لا مزيد عليه!! وإن كان ظهر لهم فى أورشليم فالتلاميذ الذين كانوا فيها وأمروا أن لا يبرحوها من أول يوم إلى آخر يوم كانوا نحو (١٢٠ شخصًا) بنص كتاب الأعمال (١: ١٥).

وإن قيل لعلهم كانوا ٥٠٠ نسمة ولما ظهر لهم المسيح سافر أكثرهم وبقى الأقلون. قلت: وهل يعقل أن تلاميذه هؤلاء الذين رأوه بأعينهم بعد قيامته من الموت يكونون أول العاصين له المخالفين لأوامره حتى أنهم تركوا أورشليم بعد أن شدد عليهم ووصاهم مرتين على الأقل بعدم مبارحتها؟ وإن كانوا مطيعين له ولا مبالين بأمره ونهيه بعد كل هذه المعجزات فمن يثق بهم؟ أو يصدق ما يقررونه؟

هذا إذا كانوا شهدوا بأنهم رأوه فما بالك إذا كنا لم نسمع من أى واحد منهم أنه شهد بأن (٥٠٠) شخص رأوا المسيح حقيقة بل لم نسمع من أحد من تلاميذ المسيح ولا من غيرهم (ما خلا بولس) أن المسيح ظهر لكل هذا العدد من الناس الذين لم يعرفهم أحد قط!!

فإن قيل لعل المسيح ظهر لهم فى الجليل بدون علم أحد من التلاميذ الأحد عشر؟ قلت: ومن ذا الذى جمع كل هذا العدد من الناس فى ذلك المكان وعينه لهم وأخبرهم بأن المسيح سيظهر فيه وبوقت الظهور مع ملاحظة أن مثل هؤلاء الناس لابد أن يكونوا من الذين يئسوا منه وتركوه بعد حادثة الصلب ورجعوا إلى بلادهم شاكين فيه حائرين، فكيف إذًا اجتمعوا فى ذلك الوقت والمكان المعين؟ ولم لم يرو عن أحد منهم خبر هذه الرؤية؟ ولم فعلها المسيح بدون علم أعظم تلاميذه؟ ولم لم يخبر بها الرسل حين ظهوره لهم؟ ولم لم يخبرهم روح القدس بها بعد نزوله عليهم ليدونوها فى الأناجيل؟ وكيف يقول متى (٢٨: ١٦) إن الذين ذهبوا إلى الجليل ورأوه هناك كانوا هم الأحد عشر رسولاً ولم يشر إلى غيرهم بل

نص على أن بعض هؤلاء أيضًا شك فـى أن الذى رأوه هل هو المسيح أم لا؟ فكل هذه الأسباب تحملنا قطعًا على رد زعم بولس هذا وعدم الاعتداد به مطلقًا.

تناقض الأناجيل

ومن تناقض كتـبهم أيضًـا فى هذه المسألة غيـر ما تقـدم قول يوحنا (٢٠: ٢٢ و٢٣) أن المسيح وهبـهم روح القدس فى مسـاء اليوم الذى قام فيـه (عدد ١٩) مع قول لوقا إنها لم تنزل عليهم إلا يوم الخمسين (أع ١: ٤ و٥ و٢: ١ - ٤ ولو ٢٤: ٤٩).

ومن التناقض العجيب أن المسـيح يطلب ليلاً من تلاميذه بعد قيامـته أن يجسوه كما فى لوقـا (٢٤: ٣٩) مع أن يوحنا يقول إنه منع فى الصباح مـريم المجدلية من لمسـه بعلة أنـه لم يصـعـد بعـد إلى أبيـه وإلهـه (يـو ٢٠: ١٧) وفى إنجـيل مـتى (٢٨: ٩و١٠) يقول إنهـا هى ومريم الأخرى أمـسكتا بقدميـه وسجدتا فلم يمنعـها المسيح من ذلك بخلاف ما يقول يوحنا بل قال لهما «لا تخافا».

وجاء فى لوقا (٢٤: ٣٣) أن الأحـد عشر تلميذا كـانوا مجتمعـين فى مساء يوم قيامة المسيح فظهر لهم ووقف فى وسطهم (عدد ٣٦) وفى يوحنا (٢٠: ٢٤) أن توما أحدهم لم يكن مـوجودا فى هذا الاجتمـاع حينما جـاء المسيح فلم يكونوا إذاً إلا عشرة لا أحد عشر كما قال لوقا.

فانظر إلى مقـدار تناقضهم فى كل شئ حتى فى أبسط المسـائل لأنهم أخذوا ما كتبـوه عن الإشاعات المتضـاربة والروايات المتناقضة ولم يمـيزوا بين صحيـحها من باطلها فهل مثل هذه الكتب يصح أن يعول عليهـا؟ وهى كالثوب الخلق كلما رقعته من مكان اتسع الخرق عليك أو ظهر لك غيره حتى أصبحت بالية لا تصلح لشئ.

مبالغات أخرى

ومن كثـرة مبـالغة بولس وإغـراقه قـوله أيضاً ١ كـو ١٥ :٥ (وإنه ظهر لصـفا (بطرس) ثم للاثنى عشر . . . ٧ وبعـد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجـمعين) مع أن يهوذا أحدهم كان قد مات فى ذلك الوقت ولم تكن الرسل إلا أحد عشر فقط ولذلك قال مرقس ١٦ : ١٤ (أخيـرا ظهر للأحد عشر) ولكن رغبـة بولس فى تكثير عدد الذين رأوا هذه القيامة المزعومة أنسته موت يهوذا فقال ما قال.

أما بطرس فلم يرو عنه فى إنجيل من الأناجيل أنه قال إنه رآه أولاً وحده غير أن لوقا (٢٤ : ٣٤) قـال فى إنجيلـه إن اثنين من التلامـيذ مـجهوليـن يسمى أحـدهما كليوباس قالا (إن الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان) «بطرس» وصريح القصة أن هذه إشاعة نقلاها ولا ندرى عـمن روياها وكيف سكتت الأناجيل عن رواية هذه الرؤية الأولى لبطرس حتى نفس إنجيل لوقا الذى روى قصة كليوباس هذه.

رؤية المسيح والأناجيل

أما ظهـور المسيح للأحد عشـر فلا برهان عليه إلا رواية هذه الأناجـيل الأربعة التى أظهرنا لك قـيمتـها وقيمـة سندها على أنها لم تذكـر ذلك رواية عن كل فرد منهم وقد تضـارب الإنجيـلان المنسوبان إلى التلامـيذ (متى ويـوحنا) فى أمر هذه الرؤية، ففى إنجيل مـتى أن ملكا قال للمرأتين ٢٨ : ٧ (اذهبا سريعا وقـولا لتلاميذه إنه قام من الأموات. هاهو يـسبقكم إلى الجليل هناك ترونه - ١٦ فانطلق التـلاميذ إلى الجليل ١٧ ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضـهم شكوا) وليس فى إنجيل متى رؤية

أخرى غير هذه وهى التى شك فيها بعضهم [١] . أما إنجيل يوحنا فإنه يذكر أنهم

(١) إنجيل متى هو عند النصارى أقدم أناجيلهم الأربعة وليس فيه غير هذا الخبر عن رؤية المسيح بعد الموت كما قلنا فى المتن.

أما إنجيل مرقس فلم يذكر فيه أى خبر عن ظهور المسيح بالفعل لتلاميذه ورؤيتهم له بعد قيامته، وما فيه من ذلك (١٦: ٩ - ٢٠) إنما هو كما قلنا - باعتراف علمائهم الآن - زيادة ألحقها به رجل مجهول فى بعض القرون الأولى، فهى لا قيمة لها بالمرة من الوجهة التاريخية. ومن زاد هذه لا يبعد عليه أن يزيد غيرها فى الأناجيل الأخرى كعبارة متى المتقدمة.

وأما إنجيل لوقا ويوحنا: فهما متأخران وما فيهما فى هذه المسألة إنما هى أقاصيص راجت بين النصارى فى القرون الأولى، وهى لا شك مختلفة بدليل أنها لو كانت موجودة فى زمن الكاتب للإنجيل الأول أو الثانى لما تركاها بالمرة مع أنها فى غاية الأهمية عند النصارى بل لا يوجد عندهم أهم ولا أعظم منها لإثبات دعواهم قيامة المسيح من الموت على ما فيها من التناقض والتضارب الذى بيناه مرارا نحن وغيرنا من علماء الإفرنج المحققين فليس عندنا إذاً سوى رواية واحدة قديمة تستحق أن يُنظر فيها بشئ من العناية وهى رواية إنجيل متى.

متى ورؤية المسيح

إن كانت هذه الرواية ليست مما أضافوه إلى الأناجيل وصادقة فالذى يفهم منها أن ظهور المسيح لم يكن جليا ولا واضحاً، ولذلك لم تقتنع به نفس تلاميذه، فيجوز أن الذى رأوه كان برقا أو خيالا فى الأفق كالذى ينشأ مثلا عن انكسار أشعة النور فى طبقات الهواء كما هو معلوم فى العلوم الطبيعية أو كان شخصاً بعيداً يشبهه سائراً فى تلك الجبال لم يسهل عليهم الوصول إليه أو وصلوا إلى مكانه وكان الرجل قد غاب عن أعينهم فلم يعثروا عليه؛ ولذا لم يتحققوا إن كان هو المسيح أو غيره ولذلك أظهر بعضهم شكه فيه. ومن العجيب أن متى مع ذكره ذلك وحده لم يبين لنا صريحاً إن كان التلاميذ الشاكون زال عنهم هذا الشك حينما قرب منهم كما قال الشخص الذى نظروه على بعد أم بقوا شاكين بعد ذلك طول حياتهم مصرين على عدم التصديق؟ وإن كانوا اقتنعوا فبماذا اقتنعوا؟ وهل قرب منهم لدرجة تزيل الشك عنهم فيه أم لا؟ وكيف فارقهم وأين ذهب؟ وهل مدة مكثه معهم كانت طويلة أم قصيرة؟ وما كان موقفه بالنسبة إليهم؟ وهل كان واقفاً على الأرض أم معلقا فى الهواء؟ وهل أمره لهم بتعميد جميع الأمم (٢٨:١٩) سمعه جميع الحضور أم بعضهم فقط؟ وهل تكلموا معه فى غير هذه المسألة؟ وماذا كان موضوع كلامهم الآخر؟ وهل كان صوته عين صوت المسيح الذى يعرفونه وألفاظه مفهومة أو مبهمة؟ وهل بقوا ساجدين إلى=

رأوه فى أورشليم قبل الذهاب إلى الجليل مرتين وفى المرة الأولى منحهم الروح القدس (يو ٢٠:٢٠-٢٢) وفى الثانية أقنع توما الذى لم يره فى المرة الأولى وكان شاكا فيه وأراه يديه وجنبه حتى صدق كباقى التلاميذ (يو ٢٠:٢٠و٢٧) ولا ندرى لماذا لم يذكر متى كل ذلك؟ وإذا كان التلاميذ رأوه فى أورشليم المرة بعد المرة كما قال

= أن فارقهم أم رفعوا أعينهم إليه حينما اقترب وتأملوا فيه؟ وهل سجد الشاكون معهم أم لا؟ إلى غير ذلك من المسائل التى كان يجب على الكاتب تفصيلها حتى لا تبقى النفوس متعطشة للوقوف على الحقيقة، شاكة حائرة فى أعظم عقائد دينهم.

فالظاهر أن الكاتب تجنب مثل هذه التفاصيل لأنه كان قريب العهد بتابعى الحواريين وربما أنه خاف أن يكذبه أحد فهو لم يكن عنده من المهارة والجراءة والمعرفة بطباع الناس ما عند غيره، وأما الأناجيل الأخرى فلم تخش أحداً لأن زمنها أبعد عن الوقت الذى قيل إن هذه الحوادث حدثت فيه ولمعرفة كاتبيها بطباع أهل زمنهم أكثر من غيرهم فقالت ما قالت.

فيرى من ذلك أن أقدم رواية عندهم يحوم حولها شئ كثير من الشك، هذا إذا سلم أنها صحيحة صادقة. وأما إذا كانت مخترعة فقول الكاتب فيها (مت ٢٨:١٧)«ولكن بعضهم شكوا» يريد به - كعادة المزورين الخداعين- أن يظهر للناس أنه فيما قصه عليهم خَالٍ من كل غرض ويقول الحق ولو على نفسه. فهى طريقة من طرق حسن السبك معتادة بين القصاصين الأفاكين لأحكام تلفيقهم وإن كان كَاتِبُنَا هذا قد فاتته بعض أشياء لازمة لإتمام حسن السبك لبساطته وجهله.

وأيضا فإنه يريد أن يظهر أن التلاميذ لم يكونوا سريعى التصديق ولا ميالين لاعتقاد هذه المسائل بسهولة بل كانوا مدققين نقادين حتى لم يبالوا بالشك فى هذه المسألة، ولا بإظهار شكهم لإخوانهم الذين يريد الكاتب أن يصورهم بأنهم كانوا أحرار سمحاء فى معتقدهم يتحملون خصومهم بكل أناة وعقل ويقنعونهم بالحسنى والدليل فمن اقتنع منهم بشئ فهو لم يقتنع به - كما يريد الكاتب أن يقول - إلا بعد التثبت والتحقق منه بالبحث والفحص فهذه القصة هى كقصة شك توما واقتناعه بعد ذلك المذكورة فى إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٤ - ٢٩. فإن المراد بهما فى الحقيقة المغالاة فى بيان تدقيق التلاميذ بطريقة خفية وحيلة تافهة معتادة لا تدخل إلا على البسطاء المغفلين، ولذلك ترى المبشرين الآن وفى كل زمان يتخذون مثل هذه العبارة دليلا على أن كتبه الأناجيل كانوا مؤرخين صادقين لأنهم ذكروا هذه المسائل التى تدل على شك الحواريين وهى- كما يتوهم هؤلاء الناس أو يزعمون- لا تصدر إلا من المجردين عن الأغراض والأهواء الصادقين من المؤرخين!!

سفر الأعمال (١:٣) حتى اقتنعوا وزال عنهم كل شك وأعطوا الروح القدس فى أول يوم كما قال يوحنا أى صاروا أنبياء ملهمين فكيف بعد ذلك شكوا فيه لما رأوه فى الجليل على ما قال متى (١٧:٢٨) الذى يفهم منه أنها كانت أول رؤية لهم ولذلك شك بعضهم فيها!! وإذا كان المسيح هو الذى وهبهم روح القدس بنفسه قبل أن يفارقهم فما معنى قول إنجيل لوقا ٢٤:٤٩ وقول سفر الأعمال إن المسيح أوصاهم أن لا يبرحوا أورشليم حتى تحل عليهم وأنها حلت عليهم بعد صعوده يوم الخمسين كما هو صريح الأصحاح الأول والثانى من كتاب الأعمال كما سبق بيانه؟

وإذا صح تفسيرهم لعبارة البارقليط التى فى إنجيل يوحنا وأن المراد بها روح القدس هذه كما يزعمون فما معنى قول المسيح ١٦:٧ (لكنى أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى (البارقليط) ولكن إن ذهبت أرسله إليكم) فإذا كانت روح القدس لا تنزل عليهم إلا إذا انطلق ولا يرسلها إليهم إلا بعد ذهابه فكيف إذا أرسلها إليهم قبل صعوده كما قال نفس إنجيل يوحنا (٢٠:٢٢) الا يدل ذلك على صحة قولنا فى كتاب (دين الله) ص ١١٨ - ١٢٠ أن البارقليط هو غير روح القدس[1] وأن المراد به محمد ﷺ كما بيناه هناك؟ ولماذا

---

(١) انتصار النصارى للبار قليط فى القرون الأولى

كان أقدم فرق النصارى يعتقدون أن المراد بالبارقليط شخص يظهر بعد عيسى لا روح القدس (الأقنوم الإلهى عندهم) ومن هذه الفرق القائلة بذلك الغنوسيون Gnostics ومنهم الماركيونيون أتباع ماركيون Marcion من أهل القرن الثانى الذين ادعى بعضهم أن المراد بالبارقليط (بولس) راجع كتاب «مصادر النصرانية» لتوماس ويتاكر صفحة ١٤٤ وفى نحو سنة ١٥٦ ميلادية ادعى مونتانوس Montanus النبوة فى فريجية Phrygia- قسم من أسيا الصغرى - وقال إنه هو البارقليط وصدقه فى ذلك أناس كثيرون من النصارى وغيرهم إلى القرن الرابع وفى أيام (مانى) Mani كان النصارى ينتظرون مجئ البارقليط لذا ادعى هذا الرجل أنه هو، وكان ذلك فى سنة ٢١٥ - ٢٧٦. راجع قاموس تشمبرس Chambers وكتاب =

كان انطلاق المسيح ونزول الروح خيرا للتلاميذ من بقاء عيسى بينهم مع أنه لو بقى لأمكنه أن يعلمهم كل شئ علمه لهم روح القدس على حد سواء إذ كل منهما أقنوم إلهى يعلم كل شئ كما يدعون؟ أليس فى ذلك تصريح بأن الرسول الآتى سيكون خيرا للناس من المسيح وأنه أفضل منه؟ ولذلك كانوا يرغبون فيه أكثر من رغبتهم فى المسيح عليه السلام كما هو ظاهر من هذه العبارة. ولنرجع إلى ما كنا فيه:

أما قول بولس ١ كو ١٥ :٧ (وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين) فلا يوجد أيضا فى إنجيل من الأناجيل أنه ظهر ليعقوب هذا فلا ندرى من أين أتى بذلك بولس! وإذا كان حقيقيا فلماذا تركته الأناجيل ولماذا لم يروه متّى ولا يوحنا التلميذان ولا لوقا المدقق الذى تتبع كل شئ قبل كتابة إنجيله (١ :٣)؟

=«المسحاء الوثنيين» لروبرتسن Robertson صفحة ٢٦٨و٢٧٤ وكتاب «ملخص تاريخ الدين مجلد ٣ص ٢٣٦».

وقد بين صاحب كتاب «إظهار الحق» أيضاً أن النصارى كانوا فى زمن النبى ﷺ يتظرون تحقق بشارة عيسى هذه بنبى يظهر بعده فدعوى النصارى الآن أن المراد بها روح القدس وأنها منذ القدم فهمها الناس بهذا المعنى هى دعوى كاذبة وإنما اتفق عليها النصارى بعد محمد ﷺ الذى تحققت بعثته هذه النبوة فرارا من الإيمان به عنادا وحسدا «راجع أيضا كتاب «دين الله» ص ١١٨ - ١٢٠ ويؤيد ذلك أيضا أن إنجيل يوحنا صرح أن أهل الكتاب كانوا فى زمن عيسى عليه السلام منتظرين ثلاثة أشخاص لابد من مجيئهم بحسب الكتب المقدسة قبل يوم القيامة وهم إيليا والمسيح والنبى «انظر يو ١: ١٩ - ٢٦و٧: ٤٠و٤١» وصريح عبارات يوحنا المشار إليها هنا أنهم كانوا يفهمون من كتبهم أن المسيح غير النبى كما هو ظاهر لمن راجعها فدعواهم الآن أن المسيح الذى كانوا يتظرونه هو عين النبى دعوى مردودة بنصوص كتبهم وبالتاريخ أيضا كما بيناه هنا والظاهر أنهم اتفقوا عليها بعد ظهور محمد ﷺ كما قلنا، فالنبى المبشر به فى العهد القديم «انظر مثلا تث ١٨ :١٥ - ٢٢» هو هو البارقليط فى العهد الجديد الذى بشر عيسى بظهوره بعده وقد كان ذلك ولله الحمد فظهر محمد مصدقا لما عندهم عنه من التوارة والإنجيل «راجع أيضا فصل البشائر فى كتابنا دين الله».

سبب قول بولس بظهور المسيح للناس

الظاهر أن بولس إنما ذكر كل هؤلاء التلاميذ وخصوصا بطرس ويعقوب أخا يسوع فى قائمته هذه (أوجدو له) تملقا لهم فى أوائل أمره ليرضوا عنه وليعترفوا له بالرسالة. فإن دعوى الرؤية هذه كانت عندهم كالشهادة العظمى (دبلوما) لهم باستحقاق الرسالة [1] !! فمن منهم يتبرأ من هذه (الدبلوما) وينكرها أو يردها بعد أن أعطاها بولس لهم جميعا؟!

والذى يدلك على أن ظهور المسيح لأى واحد منهم كان يعتبر عندهم «شهادة بالرسالة» قول بولس ١كو ٩:١ (ألست أنا رسولا.... أما رأيت يسوع المسيح ربنا) وقوله ١كو ١٥:٨ (وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لى أنا ٩ لأنى أصغر الرسل أنا الذى لست أهلا لأن أدعى رسولا - إلى قوله- ١٠ ونعمته المعطاة لى لم تكن باطلة بل أنا تعبت أكثر منهم جميعهم) وهو صريح فى أن المسيح إنما ظهر له فى آخر الكل لأنه أصغر الرسل، وهذا التعليل يفهم منه أن المسيح لا يظهر إلا للرسل ووقت ظهوره لهم يختلف باختلاف مقامهم عنده فبولس وإن كان قال ذلك اضطرارا للتعليل عن ظهور المسيح له فى آخر الكل.

مدح بولس نفسه

إلا أن نفسه الفخور المعجبة المتكبرة عادت فرفضت هذا التواضع الظاهرى الذى اضطرت إليه أولا وقالت «أنا تعبت أكثر من الرسل جميعهم»!! وقال أيضا عن نفسه ٢ كو ١١:٢ (فإنى أغار عليكم غيرة الله لأنى أحسب أنى لم أنقص شيئا عن

---

(١) مسألة الرؤية هذه تشبه من بعض الوجوه رؤيا النبى ﷺ عند المسلمين فى المنام فإنهم أيضا يقولون إنه لا يظهر إلا للمؤمنين الصالحين وقد خيل لبعض متصوفيهم أنه رآه وكلمه يقظة أيضاً.

فائقى الرسل ٦ وإن كنت عاميا فى الكلام فلست فى العلم بل نحن فى كل شئ ظاهرون لكم بين الجميع ٢٣ أهم خدام المسيح. أقول كمختل العقل فأنا أفضل. فى الأتعاب أكثر فى الضربات أوفر. فى السجون أكثر. فى الميتات مراراً كثيرة ٢٦ بأسفار مراراً كثيرة بأخطار سيول بأخطار لصوص. بأخطار من جنسى. بأخطار من الأمم. بأخطار فى المدينة. بأخطار فى البرية. بأخطار فى البحر، بأخطار من إخوة كذبة ٢٧ فى تعب وكد. فى أسهار مرارا كثيرة فى جوع وعطش فى أصوام كثيرة فى برد وعرى ٢٨ التراكم علىَّ كل يوم . الاهتمام بجميع الكنائس ٢٩ من يضعف وأنا لا أضعف. من يعثر وأنا لا ألتهب ٣٠ إن كان أحد يحب الافتخار فسأفتخر بأمور ضعفى) إلى غير ذلك من مبالغاته وخيلائه وإعجابه بنفسه وافتخاره بأعماله ومنه على الناس وعلى الله (راجع أيضا كو ٢ : ١) كأن جميع الرسل الآخرين لم يسافروا ولم يدعوا أحدا قط إلى المسيحية ولم ينلهم شئ مما ناله من المتاعب ولم يعملوا عملا مثله مطلقا فهو - كما قلنا- يعتبر نفسه أفضل منهم وأنه الكل فى الكل، ولا عمل لأحد سواه! وقد بلغت به درجة حبه للظهور والفخر أنه كان يطلب بنفسه من أتباعه أن يمدحوه ولا يستحى من ذلك كما فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس (١٢ : ١١).

ومما تقدم تعلم أن ظهور المسيح كانوا يعتبرونه أعظم شهادة لاستحقاق الرسالة ولذلك كان بولس يذكر مراراً ظهور المسيح له كما فى سفر الأعمال وفى رسائله حتى ادعى أنه اختطف إلى السماء الثالثة وإلى الفردوس ورآه هناك وسمعه (٢كو ١٢ : ١-٤) [1] وأى برهان يمكن لمثله ممن لم ير المسيح فى حياته أن يقدمه للناس البسطاء على صحة رسالته سوى مثل هذه الدعاوى؟

---

(١) بولس مصاب بالصرع

إذا كان بولس صادقا فى حكاية هذه التخيلات وما ماثلها فالأرجح أن السبب فى حصولها له وهو كونه عصبى المزاج كثير التفكير والإجهاد لقواه العقلية والجسمية مع أنه كان مصاباً=

وربما كان هو الذى بث فى التلاميذ فكرة ادعـائهم رؤية المسيح بعد موته لينالهم

= بداء الصرع كمـا يفهم من عبارته عن نفسه الواردة فى (٢ كـو ١٢: ٧ - ٩) وأمثال هذه التخيلات معتادة عند أهل الصرع وغيرهم من ذوى الأمـراض العصبية ومن أشهر مشاهير رجال العالم العظام كنابوليون بونابرت ويوليوس قيصر من كان مصابا بالصرع مثله فإن ذلك لا ينافى كونه عاقلا ذكيا مدبراً.

ومن راجع من المطلعين على العلوم الطبية قصة ظهور المسيح له التى فى سفر الأعمال (٩: ٣ - ٩) اتضح له - لو صحت - أنها تشبـه النوب الصرعية شبها كبـيراً جداً ولذلك لم يحصل شئ مثلها لمن كانوا مسافـرين معه بل رأوه سقط من دونهم على الأرض أما هم فلم يروا أحدا (٩: ٧) ولم يسمعوا صوتا يكلمه (أ ع ٢٢: ٩) كما خيل له عند ابتداء النوبة وهو الشئ المعتاد فى مـثل هذه الأحوال ، وربما أن الـذى حرك عليـه الداء وأحـدث له هذه النوبة هو تعب السفر وحـصول برق ورعد شديدين فى ذلك الوقت (٩: ٣و٧) علـى أن الأصحاء فى تلك الأزمان كثـيرا ما كان يـخيل لهم تخيلات غـريبة عند حصول شئ من الحـوادث الجوية أو الأرضية لجهلهم إذ ذاك وغـفلتهم وقصر مداركهم كـما بيناه فى رسالة الصلب (ص١٠٣و ١٠٤) فما بالك بمن كان منهم مصابا بالصرع كبولس!

تنزيه محمد عن الصرع

أما قول بعضهم: إن ما كان يحصل للنبى ﷺ أثناء الوحى هو أيضاً صرع فيرده أن المصروع إذا أفاق من نوبتـه لا يمكنه - بإجمـاع الأطباء - أن يأتى فى الحال بكلام مـعقول سـام، أما النبى فكان يقوم من نوبـة الوحى ويلقى فى الحال بلا تكلف ولا تردد ولا عناء مـا أوحى إليه فى أثنائها من القرآن العالى المعجز ، وهو لا يمكن أن يكون عمله أثناء النوبة إن كانت صرعاً لأن فيها يكون الشعور مفقوداً بالمرة، ولا يمكن أن يكـون عمله بعدها مباشرة لأن القوى العقلية للمصاب تكون فى ذلك الوقت ضعـيفة، مرتبكة، بل فى كثير من الأحـوال مختلة أيضاً لا تأتى بشئ حسـن مطلقا فضـلاً عن البليغ المعجـز المشتمل على كـثير من المـسائل والعلوم والشرائع والقصص التاريخيـة والحكم والمواعظ وغير ذلك، ولو كان الصرع يأتى بمثل ذلك - وهو لم يقله أحد من الأطباء مطلقا - فأنعم به من صـرع صالح نافع للبشر ويا ليتنا كنا به مصابين، ومـاذا علينا حتى لو سموه جنونـا كما فعل مشـركوا العرب قبلهم مـا دامت فيه سعادة الدنيا والاخـرة، وأيضا لو كانت نوب الوحى هذه كلها صرعا وهى كـثيرة عديدة لما كان للنبى تلك الصحـة وذلك العقل المعروفين عنه طول حيـاته فإن ذلك لا يكون مطلقا إلا إذا كانت النوب قليلة جدا تفصلها فترات واسعة بحيث لا تتكرر مرات فى اليوم الواحد كما كان يحصل أحياناً للنبى ﷺ. .

شئ من الشرف الذى ناله بدعواه لها. ولا يبعد على مثل أولئك العامة من الناس الفقـراء الذين لا عمل لهم ولا علـم أن يوافقوه على ذلك ويـعترفـوا له بها كـما اعترف هو لهم جـميعا بهـا حتى ذكر فى رسالته ظهـور المسيح لخمسـمائة شخص ولجمـيع الرسل!! فكأنه فى سياسـته معـهم اتبع المثل العامى القـائل «حملنى وأنا أحملك».

ولكنه هو فاقهم فى ذلك كثيرا حتى جـعل الظهور لكل فرد من التلاميذ - فإن عددهم لا يمكن أن يزيد عن ٥٠٠ شخص - لـيرضوا عنه جميعـا. وأية خسارة عليه فى ذلك؟ بل أية فائدة له أعظم من مسالمتـهم واستجلاب رضاهم كلهم عنه؟ ولو فى أوائل أمره [1] قبل أن يعلم ماذا يكون من شأنه بينهم، ومقامه عندهم، ولو علم ذلك وعلم أنه سـيكون إمامهم وقـائدهم الأعظم فى كل شئ لما اعـترف لهم بشئ مطلقا كما تدل عليه سيرته معهم فيما بعد.

(١) لذلك ذكر رؤيتـهم للمسيح فى أول رسـالة كتبـها - كما يقـولون - بعد رسالتـيه إلى أهل تسالونيكى فـإن هذه الرسالة التى لأهل كورنثـوس كتبـها سنة ٥٧م حينمـا بلغه أن بعض الناس أنكروا بعثته وقـالوا إن تعاليمة تغاير تعاليم بطرس وغيره مـن التلاميذ فذكرهم جميـعا فيها تملقاً لهم لئـلا يخرجوا عليه ويكذبوه ويؤيدوا كـلام الناس فيه. وقد دارى فى رسـالته هذه أيضـاً (أبلوس) اليـهودى الإسكندرى البلـيغ الذى كان مـزاحـماً له (راجع ١ كـو ٣:٦ - ٩و١٦: ١٢ وأعمـال ١٨: ٢٤ - ٢٨) وأما رسالتـه إلى أهل غلاطية التى احـتد فيـها على التلاميذ كمـا بينا - فكتبها بعد ذلك سنة ٥٨م على ما يزعمـون ثم عاش بولس بعدها نحو عشر سنين لأنه مات سنة ٦٨ وكان وقتئذ قـد طار صيته بينهم حتى ملأ ذكره الآفاق لدهائه وسياسته وعلمه ونشاطه أكثر من سائر رفقائه.

عدم دعواهم ظهور المسيح للكفرة

هذا ولما كانت رؤية المسيح عندهم أعظم دليل على الرضا والاصطفاء والرسالة - كما قلنا - تحاشوا ادعاءها للكفرة والمعاندين إذ لا يمكن أن يتشرفوا بها مثلهم. ويثبت ذلك أيضاً قول بطرس منكرا على بولس «وكيف يظهر لك (يعنى المسيح) مع أن آراءك هى مضادة لتعليمه» كما فى الخطب (Homilies) المنسوبة إلى أكليمندس الرومانى وهى مكتوبة فى أواخر القرن الثانى أو بعده بقليل (راجع كتاب دين الخوارق ص ٣٢٠) وهذه الخطب وإن كانت منسوبة كذبا لأكليمندس إلا أنها تدل على أن النصارى كانوا فى أوائل المسيحية يعتقدون أن المسيح لا يمكن أن يظهر للمخالفين له المعاندين.

وهذا الاعتقاد هو أحد أسباب خلو كتبهم من هذه الدعوى بل هو أعظم الأسباب. وهناك سبب آخر لذلك وهو تحاشى النصارى فى القرون الأولى إثارة اليهود والرومانيين عليهم لكى لا يزيدوا فى احتقارهم والسخرية بهم وتكذيبهم وإيذائهم واضطهادهم وتنفير الناس منهم ومن دينهم فكانوا فى ذلك حقيقة حكماء وربما أنهم فعلوا ذلك أيضاً بإرشاد بولس وأضرابه من عقلائهم وساستهم.

ولكن مَنْ لم يفهم ذلك من النصارى بعدهم ادعى أن المسيح وعد اليهود بالظهور لهم بعد دفنه فى الأرض بثلاثة أيام وثلاث ليال فزاد هذه العبارة فى إنجيل متى (١٢: ٣٩و٤٠) فإن العدد (٤٠) منها لا وجود لمثله فى الأناجيل الأخرى وقد تكلمنا على ذلك فى رسالة الصلب صفحة ١٠٦ و ١٠٧ و١١٧ و١١٨ . راجع أيضا (لو ١١: ٢٩ - ٣٢ ومت ١٦: ٤ ومر ٨: ١٢) وجميع هذه النصوص المشار إليها هنا صريحة فى أن المسيح أجاب المقترحين للآيات مرة بقوله «لن يعطى هذا الجيل آية» كما فى مرقس ومرة بقوله «لن يعطيهم آية إلا آية يونان لأهل نينوى» كما

في لوقا وغيره. ولا يخفى أن يونان لم يعط أهل نينوى أية آية فكأن مراد المسيح أنه يجب أن يؤمنوا به بمجرد دعـوته لهم كما آمن أهل نينوى بيـونان لمجرد مناداته لهم (راجع لو ١٠ : ٣٢) ولمنكرى المعجزات أن يستدلوا بذلك على صحة دعواهم أنه لم يفعل شيئاً منها.

فالمسيح لم يظهر لأحد، ولا وعد اليهود بذلك كما ادعى المحرف للإنجيل ولولا أن عدم ظهور المسيح لأى أحـد من اليهود والرومانيين وغيـرهم من الكافرين كان معروفا شائعا متواترا بين النصارى الأولين لزاد المحرفون للأناجيل قولهم إنه ظهر لفـلان وعـلان منهم أيـضـاً ولكن مـثل هذه الزيادة لا يمكن أن تمـر على الناس بسهولة، ولا تدخل عليهم خفية بدون أن يشعروا بها كما دخلت عليهم الزيادة التى فى إنجيل مـتى (١٢ : ٤٠) لأن إدراك هذه الزيادة يحتـاج لشئ من الانتبـاه والتدبر ولذلك ترى النصارى يقرأون هذه العـبارة فى إنجيل متى صباح مـساء ولا يشعرون بأنها كانت وعدا لليهود بالظهـور لهم ولا بأنه وعد لم يتحقق، وإذا صح أن المسيح قالها لهم وجب عليه أن يُرِى نفسه لهم بمقتضـاها كما أرى نفسه لتلاميذه وإلا لكانوا معذورين فى عدم الإيمـان به وتكذيبه فإن نفس تلاميذه شكوا فيـه مرارا كما بيناه فى رسالة الصلب ولم يقنعهم إلا بمجهود.

نَصُّ الإنجيل علَى أنَّ التلاميذ عديمى الإيمان أشرارٌ

فهل كـان ينتظر منهم أن يكونوا أكثـر إيمانا به من نفس تلامـيذه حتـى يطالبهم بالإيمان بقيـامته من غير أن يروه لمجـرد سماع هذا الخبر من تلامـيذه الذين كانوا كثيرى الشك، عديمى الإيمان ، أشراراً بنص الإنجيل (مت ١٧ : ٢٠ ولو ١١ :١٣) فكيف أخلف المسيح إذاً وعـده لهم؟ وكيف يجب عليهم تصديق عـديمى الإيمان الأشرار؟ ولا يخفى أن من كـان كذلك لا يتحاشا الكذب وخصوصـا لمصلحته ولا يخشى الله، وأية مصلحة أكبر من أن يصبح أولئك الأشخاص الفقراء، المحتقرون، المستضعفـون، بعد موت سيدهم ويأسهم منه وابتداء تلاشيـهم - يصبحون رؤساء للناس ورسلاً لهم يشرعون لهم ما يشاؤون، ويأخذون من أموالهم ما يرغبون (أ ع ٢ : ٤٤ و٤٥ و ٤ :٣٢ - ٣٧ و ١ كـو ١٦ :١ - ٣ و٢ كـو١١ : ٨و٩) بـل كـانوا يقتسمون جميع الأموال والممتلكات بينهم بلا عمل ولا تعب سوى القول بأنهم رأوا المسيح بعـد موته حيا. كـما علمهم بولس وغـيره، وقد عاد إليـهم الأمل - لما بثه فيهم عـقلاؤهم ومفكروهم - بقرب رجـوع ملك إسرائيل إليهم حينمـا رأوا إقبال الناس عليهم وخضـوعهم لهم وهو الأمل الذى طالما خالج نفوسهم وكـانوا يرتقبون كل يوم تحققه من قديم الزمان (انظر أ ع ١ :٦).

آمال التلاميذ وأوهامهم

حتى إنهم اعتقدوا أنهم سيملكون فى الأرض مع المسيح ألف سنة (رؤ ٢٠ : ٤و٦) فى ذلك العصر الذهبى الذى كان يتوهمه اليهود وإلى الآن ينتظرونه، وأنه متى جلس المسيح على كرسى مجده يجلس التلاميذ الاثنا عشر [١] على الكراسى

(١) قدم الأناجيل

لو جارينا النصارى فى طريقتهم لإثبات قدم كتبهم لقلنا : إن عبارة جلوس التلاميذ على اثنى عشر كرسيا الواردة فى إنجيل متى تدل على أن هذا الإنجيل كتب قبل حادثة الصلب وقبل تسليم يهوذا (وهو أحد الاثنى عشر) للمسيح. وإلا إذا كان هذا الإنجيل كتب بعد ارتداد يهوذا لما ذكر كاتبه فيه إلا أحد عشر كرسيا تفاديا من نسبة الخطأ إلى المسيح . فلا أدرى لم لم يقولوا بذلك وقد كانوا يجدون لهم أنصاراً كثيرين !!؟ فهذا مثل من أمثلة براهينهم على قدم كتبهم!!

فإن قيل لعل الكاتب أخذ هذه العبارة عن بعض مكتوبات قديمة كتبت قبل حادثة الصلب ولم يصلحها لعدم التفاته أو لأنها تقبل التأويل حيث قد انتخب (متياس) بدل يهوذا (أ ع ١ :٢٦)

قلت: كذلك نحن نقول فى بعض عبارات كتبهم التى تدل على القدم فإن مؤلفى الأناجيل أخذوها أحيانا كما هى عمن قبلهم لعدم التفاتهم أو لأنها تقبل التأويل ولو مع التكلف الزائد كما فعل النصارى فيها بعد ذلك، وأحيانا حوروها لتكون أقرب للتأويل مما كانت أو حرفوها.

مثال ما فيها مما أولوه: قول متى عن لسان المسيح ٢٤ : ٣٤(الحق أقول لكم لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله) فإذا صح أن لفظ الجيل فى لغتهم قد يراد به الصنف من الناس كالأمة اليهودية كلها فالكاتب إنما استعمله بهذا المعنى وعليه فهو لا يدل على قدم الإنجيل. وإذا كان هذا اللفظ لا يراد به إلا الطبقة الموجودة فى زمن ما كان هذا القول دليلاً على أن هذا الإنجيل كتب قبل انقراض جميع معاصرى المسيح وحينئذ يكون عيسى نفسه مخطئا فى هذه العبارة. فهى إما أن تكون صحيحة والإنجيل ليس بقديم، وإما أن يكون الإنجيل قديما وعيسى مخطئا فأى الوجهين يختارون؟ وأما القول بأنها صحيحة وأنها تدل على قدم الإنجيل فهذا مما لا أفهمه!! والحق أنه لولا عدم التفات أولئك الكتبة لما وجد فى كتبهم ما وجد فيها من التناقض والغلطات التى لا تحتاج لكبير تأمل أو تفكر ولذا كان منهم من ناقض نفسه بنفسه فى الكتاب الواحد بل فى العبارة الواحدة!! راجع صفحة ٤٨ من هذه الرسالة.

ليدينوا أسباط إسرائيل الاثنى عشر (مت ١٩ :٢٨) وأن زمن رجوع المسيح قريب جدا وأنهم يبقون أحياء إلى وقت نزوله (١ نس ٤ :١٥ - ١٨) حتى قال لهم بولس «عزوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام» وليس هذا فقط بل قد وعدهم المسيح (كما فى مر ١٠ : ٣٠) بأن من ترك شيئاً لأجله يأخذ مائة ضعف فى هذه الدنيا وله الحياة الأبدية فى الآخرة، وأفهمهم بولس أيضاً بأنهم جميعا سيدينون العالم والملائكة (١ كو ٦ :٢و٣) وقد بلغ بالرؤساء منهم الغرور والجهل إلى درجة أن توهموا أو أوهموا الناس أن بيدهم غفران الذنوب [1] وأن المسيح عليه السلام قد أعطاهم

(١) خطايا التلاميذ

إن كان هؤلاء الناس معصومين من الخطايا فكيف راءى بطرس اليهود فى أنطاكية حتى قال عنه بولس «إنه كان ملوما أو مداناً وإنه هو ومن معه لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل» (غل ٢ :١١ - ١٤) وكيف أنكر المسيح وقت أخذه للصلب وأقسم أنه لا يعرفه (مر ١٤ :٧١)؟

وإن كانوا غير معصومين وهو الحق (كما يفهم من متى ٦ :١٤و١٥ ولوقا ١١ :٤و١ يو ٢ :٢ وغل ١ :٤) فكيف إذاً يغفرون للناس ذنوبهم وهم - فوق ما تقدم - عديمو الإيمان بل وأشرار كما قال لهم المسيح نفسه؟ (مت ١٧ : ٢٠و٧ :١١ ولو ١١ :١٣) أليس اليهود إذاً أفضل منهم لأنهم امتنعوا عن إدانة الزانية - حينما ذكرهم المسيح بخطاياهم - وبكّتْهُمْ ضمائرهم (يو ٨ :٧ - ١١) وأما هؤلاء فيدينون الناس (أ ع ١٣ :١١) ويمسكون خطاياهم (يو ٢٠ :٢٣) ويتحكمون فيهم وهم أنفسهم خاطئون مدينون!!

فلم ذلك وما حكمته وأين عدل الله؟ وهل هذا مما تسعه عقول النصارى أيضاً كما وسعت التثليث وغيره؟! وهل لا يزال البروتستنت منهم ينكرون أن مسألة الاعتراف، وبيع أوراق الغفران (Indulgences) والقطع من الكنيسة، والسلطة البابارية، وغير ذلك مما تسببت عنه مفاسد عديدة - يعرفونها - بين جميع النصارى منذ القدم إنما نشأت كلها من عبارات كتبهم هذه التى - فى الحقيقة - ما أضافها الآباء إليها إلا ليبنوا عليها سلطتهم بدعواهم أنهم خلفاء المسيح ورسله ونوابهم فيكون لهم من السلطلة والحقوق ما لأولئك سواء بسواء؟ وإذا كان للتلاميذ حق التصرف فى ملكوت السموات! فكيف أصبح البروتستنت ينكرون على الرؤساء الروحانيين (وهم خلفاء التلاميذ طبعا) حق التصرف فى هذه الأرض الصغيرة الحقيرة وهو الحق الذى يدعونه دائما لتبقى الناس فى أيديهم كالأنعام كما كانوا منذ القرن =

مفاتيح ملكوت السموات [1] بحيث إن كل ما يربطونه على الأرض يكون مربوطا في السماء وكل ما يحلونه على الأرض يكون محلولا في السماء!! (مت ١٦ : ١٩و١٨ : ١٨ ويو ٢٠ : ٢٣) الخ الخ.

فمن إذاً لا يقول بقولهم فى قيامة عيسى ليدخل فى زمرتهم حتى ينال ما نالوه أو سينالونه فى الدنيا والآخرة؟ مهما ناله من الأذى والاضطهاد المؤقت طمعا فيما سيحصل له ولأمته من صلاح الحال وحسن المستقبل والنعيم الدائم فى الدارين. ألا ترى أن القاتل يقدم على القتل طمعا فى المال مع علمه بأنه غالبا سيقع فى القصاص الذى يذهب بحياته كلها ولكن الأمل فى السعادة والطمع فى لذة المال يدفعه لارتكاب هذا الإثم الفظيع مهما كانت نتيجته . هذا إذا سلم أن التلاميذ ومن معهم من النصارى كانوا حقيقة يجاهرون على رؤوس الأشهاد بدعواهم قيامة

= الأول؟ أليس إنكارهم هذا أثراً من آثار العقائد الإسلامية التى وصلت إلى مصلحيهم من حيث لا يشعرون، أم هم يكابرون؟ وقد جاء بها النبى الأمى فى أزمنة الجاهلية والعالم كله فى الضلال المبين.

(١) صِغَرُ عقل من يعتقد عقيدة النصارى:
أى عقل أصغر! وأى إدراك أقصر! وأى علم أقل! وأية عقيدة أسخف! وأى وهم أكبر! وأى غرور أعظم! ممن يعتقد مثل هذه العقائد؟ فإن الأرض ومن عليها ليست إلا ذرة من ذرات هذا الكون الواسع الكبير العظيم كما أثبته علم الفلك الحديث. قارن عبارات كتبهم هذه بقول القرآن الشريف (ومن يغفر الذنوب إلا الله) وقوله: (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) وقوله: (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) فالبشر ليسوا أفضل من جميع مخلوقات الله تعالى كما كان يتوهم أولئك الواهمون المفتونون المغرورون ، فكيف إذاً يتصرفون فى ملكوت السموات؟! وما قدروا الله حق قدره، سبحانه وتعالى عما يتوهمون ويصفون ويشركون، هو الكبير المتعال ليس لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحداً، لا إله إلا هو الواحد القهار، رب السموات والأرض رب العرش العظيم، فله وحده الحمد والشكر أن طهر عقولنا بعقائد الإسلام، من تلك الأوهام، ورفع نفوسنا بالتوحيد، حتى لا نمتهنها بالذل والجبن والعبادة لأمثالنا من العبيد.

المسيح (انظر رسالة الصلب ص ١٤٩) وأنه نالهم جميع الاضطهادات التى تسمعها من قصاصى النصارى.

وإذا سلم ذلك فهل كانت كل هذه الاضطهادات بسبب هذه العقيدة وحدها؟ مع أنهم كانت لهم عقائد أخرى يخالفون بها غيرهم، وكان أكثر ما يتهمون به هو التهم السياسية لما عند الرومانيين من الحرية فى المسائل الدينية ولعدم وجود سلطة عليهم فى أيدى خصومهم اليهود وخصوصا بعد تشتت هؤلاء وخراب أورشليم سنة ٧٠م وقد اعترف مؤرخوهم بأنه لم يمس المسيحيين أذى فى أثناء حرب الرومانيين مع اليهود لأن المسيح كان أنبأهم بخراب أورشليم ووصاهم بهجرها.

أول شهداء النصرانية

ولا يخفى أن (استفانوس) أول شهيد فى النصرانية - لم تَرْجمْه اليهود إلا لأنهم اتهموه بالتجديف على موسى والناموس وعلى الله(راجع ا ع ٦:١١-١٤) وكان رجمه بعد أن ألقى عليهم خطابا طويلا كما هو مذكور فى الأصحاح السابع من سفر الأعمال وليس فى هذا الخطاب ذكر لقيامة المسيح من الموت ولا لرؤية أحد له بعد هذه القيامة المزعومة، بل قال: إن اليهود قتلوه كما قتلوا قبله أنبياء كثيرين (ا ع ٧:٥٢).

ومن عبارة (استفانوس) هذه يفهم أن بعض اليهود المتنصرين فى أوائل المسيحية لم يكونوا يعتبرون الصلب والموت مقللا من قيمة المسيح عندهم ولا مزلزلاً لعقيدتهم فيه بل كانوا يعدونه من مصائب الدهر التى أصابت المسيح وأصابت غيره من أنبياء الله السابقين الذين تعود اليهود قتلهم من قديم الزمان.

المبشرون وقيامة المسيح

فقول المبـشرين الآن أنه لولا قيامة المسـيح من الموت، ما قامت للنصرانيـة قائمة لأن صلبـــــه [1] وقتله زلزل عـقيدة تلاميذه فـيه وبرؤيتهم له بعد الموت انـتعشت نفوسهم، إنما هو قـول باطل لأن التلاميذ ما كـانوا يعتقدون استـحالة الموت والقتل عليه ولم يعتبروا حصول ذلك إلا شيئاً معتاداً بين الكثيرين من الأنبياء قبله فهو ليس بدعا من الرسل فى ذلك.

وهذا الاعتـقاد هو الذى كـان فاشـيا فـيهم قبل أن نـبههم بولس وأضـرابه من مفكريهم - البصيرين بحـال أمتهم ومستقبلها الغيورين عليـها - إلى حكمة لحصول الصلب والموت للمسيح وهى خلاص البشر به فبعدئذ أصبحوا ينظرون إلى الصلب بغير نظرهم إليه أولا واعـتبروه أكبر ما يشرف المسيـح ويرفع منزلته فى عيون الناس أجمعـين فصاروا بعـد ذلك يدعون إلى عقيـدتهم هذه فرحين مسـرورين (١ كو ١ :١٨) نعم يجوز أنه لولا أن تنبـهوا إلى هذه الحكمة لكان يمكن لليـهود أن يؤثروا فى بعض عامتهم الضـعفاء ويزلزلوا عقيدتهم فى المسيـح أو يحولوا بعضا منهم عن الإيمان به فالذى حمى النصارى من ذلك:

أولاً: هو علمهم بما حـصل للأنبياء قبله من الاضطهـاد والأذى والقتل والمرض وغيره من مصـائب هذه الحياة التى يجب ملاقاتها بالسكينة والصبـر والرضا بقضاء الله وقدره (انظر أ ع ٢ :٢٣).

ثانيا: هو الحكمة التى اخترعها لهم بولس وغيره أو نبهوهم إليها، ولو أن بولس جعل قيامـة المسيح من أكبر أسس هذه الحكمة إلا أنه كـان لاشك يمكنه الاستغناء عن القول بها لولا ميله الفطرى دائما إلى الغلو والإغراق فى كل ما اعتقده أو ارتآه

---

(١) هذا الكلام كله مبنى على تسليم قصة الصلب كما هى فى كتبهم.

كما هو ظاهر من رسائله ومن أعماله قبل دخوله فى المسيحية وبعدها فقوله بها إنما كان من زيادة غلوه فى تكريم المسيح [(١)] ومحقا لشماتة اليهود به وغيظا لهم واستمالة للوثنيين بتقليد عقائدهم فى مخلصيهم. وهو فى تحوله هذا السريع من بغض المسيحية واضطهاد أتباعها إلى محبتها ونصرتها يشبه عمر بن الخطاب فى تحوله فجأة من عداوة الإسلام وأهله إلى محبته ونصرته، فاعتقادهم أن هذا التحول الفجائى لبولس يعد من خوارق العادات هو جهل بطباع البشر وأمزجتهم هذا إذا سلمنا قصة بولس الواردة فى كتبهم وفرضنا أن ما نصره وأحبه هو المسيحية لا ديانة جديدة هو الواضع لها، ولكننا نرى أن علماء الأفرنج المحققين قد أصبحوا الآن يشكون فى كل ما رووه ونقلوه لما علموه عنهم من كثرة التحريف والاختلاق، وهو الأمر الذى قرره القرآن منذ نزوله (راجع مثلا ٢: ٧٥و٧٦) ولكنهم كانوا وقتئذ يكابرون ويكذبون.

---

(١) رفع موسى

كما تغالى بعض اليهود كيوسيفوس وغيره وقالوا: إن موسى لم يمت وإنما اختفى عن قومه أو رفع ولا يزال حيا، وكما تغالى النصارى فى مريم وقالوا: إنها رفعت بعد الموت إلى السماء بروحها وجسدها ولهم عيد (يوم ١٥ أغسطس) يحتفلون فيه بذكرى رفعها!! وكان الوثنيون يقولون برفع بعض آلهتهم إلى السماء (انظر مثلا كتاب «النصرانية والأساطير» لمؤلفة روبرتسن ص ٣٨٤) ويقول اليهود برفع بعض الأنبياء الآخرين إليها أيضا (راجع عب ١١: ٥و٢ مل ٢: ١١) فما كان يرضى بولس ولا غيره من اليهود المتنصرين أن يكون مسيحهم أقل من أولئك الناس المرفوعين كلهم وهو عندهم أول مخلوقات الله وأفضلها على الإطلاق ولأجله وبه خلقت كلها بإذن الله(رو ٣: ١٤ وكو ١: ١٦ و١ كو ١٥: ٢٧ و٢٨).

اضطهاد المسيحية

ومما تقدم أن القول بقيامة المسيح لم يكن - كما يزعم المبشرون الآن - الحصن الوحيد الذى وقى المسيحية من السقوط، ولا كان محتما لإنقاذ التلاميذ من هاوية اليأس والقنوط ومن أكبر ما حدث للنصارى بعد ذلك هو - كما زعموا - اضطهاد (نيرون) لهم سنة ٦٤ ميلادية وهذا الاضطهاد إذا سلم أنه وقع عليهم فهو بإجماع المؤرخين لم يكن سببه إلا سياسيا (أى اتهامه لهم بحريق رومية) ولم يكن لعقيدة قيامة المسيح أدنى دخل فيه (راجع رسالة الصلب صفحة ١٤٠ - ١٤٢) بل ولا فى أى اضطهاد من الاضطهادات الرومانية العشرة الشهيرة (من سنة ٦٤ - ٣١١م) وإلا فلينبؤونا من منهم أو من رسلهم قتل فيها من أجل «هذه» العقيدة؟

فقول المبشرين إنهم إنما اضطهدوا لمجاهرتهم بالقول بقيامة المسيح لا أساس له ألبتة من التاريخ وإذاً فقولهم إن النصارى إنما صبروا على كل ما أصابهم لوثوقهم من هذه القيامة قد خوى على عروشه واندكت دعائمه كما لا يخفى، إذ لو لم يقولوا بها مطلقا لا أصابهم ما أصابهم وهم قائلون بها ما داموا حزبا ناميا مخالفين لغيرهم فى كثير من أفكارهم وآرائهم وشؤونهم وسياستهم وأمانيهم وسائر أمورهم ولذلك أصيب اليهود فى بعض هذه الاضطهادات بما أصيب به النصارى لاختلافهم أيضا عن الرومانيين فى مثل ما تقدم، فالقول بالقيامة وعدمها سواء بالنسبة لاضطهادهم وصبرهم عليه. وكيف نسلم صحة كل حكايات الاضطهاد هذه بعد الذى علمناه عن النصارى من المبالغات والتحريف والأكاذيب والزيادات؟ (راجع أيضا رسالة الصلب ص ١٢١و١٤٠ - ١٤٢).

ومن الذى قال إن جميع القائلين بعقيدة القيامة هذه كانوا كذابين وإنهم ما كانوا معتقدين لها فى الواقع ونفس الأمر وإن كانوا فيها واهمين؟ وما يدرينا أن أكثر الاضطهادات التى يحكونها كانت تحصل لهؤلاء المساكين الصادقين فى عقيدتهم إذ

مثل هؤلاء هم الذين يندفعون عادة ويتعرضون للناس ويدعونهم إليها من غير أن يحسنوا السياسة معهم والرؤساء من ورائهم يحرضونهم سرا ويشجعونهم طمعا فى نجاحهم ونكاية بخصومهم وهم عن الأذى بعيدون؟ وهل حصول الاضطهاد لشخص اعتقد شيئا ما يدل على أن عقيدته هذه صحيحة؟ مع أننا نرى كثيرا من الناس يتوهمون شيئاً ويعتقدونه فينالهم أذى كثير فى سبيل ذلك ولا يتحولون عنه، وما من دين فى العالم أو أى مذهب إلا ونال أتباعه الأولين أذى كثير واضطهاد فظيع فهل جميع الأديان والمذاهب صادقة، وهى كلها متناقضة؟

ظهور المسيح للنساء

ولنرجع إلى أصل موضوعنا فنقول: من العجيب أن بولس يذكر كل هؤلاء الأشخاص الذين أريناك حقيقة أمرهم ويترك ذكر (مريم المجدلية) وهى أول من قالت إنها رأت المسيح (يو ٢٠ :١٨ ومر ١٥ :٩) ولها فضل السبق فى الذهاب إلى القبر وقد ذكرت الأناجيل الأربعة اسمها وهى فى الحقيقة البطل الأعظم لهذه الرواية ومع ذلك لا يذكرها بولس ويذكر أشخاصا آخرين لم تذكرهم الأناجيل فما السبب فى ذلك ياترى؟

السبب الأكبر فى ذلك هو أن بولس - ككل العقلاء الحريصين - يرى أن شهادة النساء فى مثل هذه الحالة لا قيمة لها وخصوصا لأنها كانت امرأة مختلة العقل ومصابة بالشياطين كما تقول الأناجيل (لو ٨ :٢) ولذلك قال بولس فى النساء ١ كو ١٤ :٣٤ (لتصمت نساؤكم فى الكنائس لأنه ليس مأذونا لهن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضا) وهو صريح فى بيان رأيه فى قيمة النساء عندهم خصوصا فى المسائل الدينية وكذلك نرى أن شهادتهن ما كان يعول عليها عند قومه

اليهود حتى ما كانوا يقبلونها فى محاكمهم، فلهذا ولعدم ضرورة التملق لهن لضعفهن وعدم الخوف منهن ترك بولس ذكر شهادة النساء فى مسألة القيامة. مع أن شهادة مريم هذه عند النصارى هى أول شهادة وأعظمها فى هذه المسألة!!

فمما تقدم يظهر لك شدة مبالغة بولس فى هذه المسألة التى هى أصل دعواه وأساس دعوته كما قال هو نفسه (١ كو ١٥ :١٤) وذكره أشياء فيها - سياسة منه كما بينا - لم يذكرها أحد قبله ممن رأوا المسيح وشاهدوا أعماله وهو مع ذلك لم يقل إنه رواها عنهم بل قال فى رسالته إلى أهل غلاطية (١ :١٧ - ١٩) إنه بعد إيمانه بالمسيح لم يصعد إلى أورشليم إلى الرسل بل ذهب إلى بلاد العرب ثم رجع إلى دمشق وبعد ثلاث سنين ذهب إلى أورشليم ولم يقابل فيها أحداً من الرسل إلا بطرس ويعقوب. وجاء فى سفر الأعمال (٩ :١٩و٢٠) أنه كان فى دمشق «يكرز» بالمسيح أى قبل ملاقاة الرسولين. فهل كان إذاً «يكرز» بقيامته أم لا؟

دعوى بولس الوحى

فالظاهر أن كـرازته هذه وأخباره بمسألة القيـامة والرؤية بعدها مبنـية على دعواه لنفسه الوحى بهـا لا لسبب آخر (وهيهات أن يثبت ذلك له) ولذلك قـال فى رسالته إلى أهل غلاطية (١ : ١١و١٢) إن إنجيله لم يأخـذه عن أى إنسان بل بإعلان يسوع المسيح!! فهذه هـى قيمة شهادته من الوجهـة التاريخية فهو لم يكـن راوياً شيئاً فى هذه المسألة وغيرها عن تلاميذ المسيح باعترافه بنفسه[1]!!

---

(١) المسيح وديانته الجديدة:

أعلم أن الذى اضطره إلى هذا التـصريح هو أنه وجـد أن بعض الناس وخصـوصا اليـهود المتمصـرين يفضلون «الرسل» عليه ولا يذعنون له ولا يتـقون بتعاليـمه إلا إذا سألوا الرسل عنها وأقروها فأثار ذلك حقده وغضبه حـتى لم يقدر أن يكظم غيظه فكتب فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس ما يظهر به أنه أفـضل من هؤلاء الرسل الذين اتخذوهم حجة عليه وأن أتعـابه أكثـر وأعمـاله أعظم (٢ كـو ١١ : ٢٢ - ٣٣) ولما وجد أن هذا الكلام لم يجـد مع مخالفيه نفـعاً وأنهم لم يزالوا يعتبرون الرسل فوقه ويحكمـونهم فى أقواله وأعماله اضطر أن يظهر فى رسالتـه إلى أهل غلاطية أنه لا يبالى بهؤلاء الرسل مهـما كانوا (٢ : ٥و٦) وأن كل من خالفـه منهم أو من غيرهم وأتى الناس بـتعليم آخر غـير تعليمه لـهم ولو كان ملكا من السماء يكون ملعونا مطروداً من رحمة الله(غل ١ : ٨و٩).

وأن تعاليـمة لم يأخـذها عن أى أحد منهم بل هى - كـما ذكـرنا - بوحى يسوع المسـيح إليه (١ : ١١و١٢) الذى قال إنه رآه فى السمـاء الثالثة وفى الفردوس وسمعـه وكلمه (٢ كو ١٢ : ٢ - ٤) منذ سنين فلا يجوز لهم إذا أن يحكموهم فى أقـواله وهو لم يقل إنه أخذ شيئاً عنهم أو إنه كان تلميـذا لهم بل قال إنه تلميذ المسيح بالوحى ورسوله إلى الأمم كـافة وأنه أفضل من جمـيع الرسل (٢ كو ١١ : ٢٣) بعد أن كان يقـول فى رسالته الأولى إلى أهل كـورنثوس أنه أصغرهم وأنه ليس أهلا لأن يسمى رسولا (١٥ : ٩) فانظر وتعجب!!

ومما تقدم تعلم أنه لم يكن على وفاق تام مع الرسل ولا مع أتباعهم الحقيقيين وخصوصا بعد أن علمت مخالفة يعقوب له فى رسالته وذم يوحنا له فى رؤياه كما سبق بيانه.

والظاهر من كتبهم القانونية أن بطرس كان مـسالما له، وذاك لخوفه منه وضعف مواهبه عنه ولكن

فمبالغاته السابقة فى رؤيته هو وغيره للمسيح لا يعول عليها فإنً من يدعى ويقول لأهل غلاطية (فى آسيا الصغرى) إن المسيح صلب بينهم ورأوه بأعينهم أمامهم مصلوبا (غل ٣ :١) لا يبعد عليه أن يقول ما شاء وشاء هواه ما دام الناس

= يقال فى خطب(أكليندس) (　(الرومانى) أن بطرس هذا كان أيضاً يتبعه ويحاربه ويكذبه وكذلك قيل فى «رسالة بطرس ليعقوب» (راجع كتاب دين الخوارق ص ٣١٨و ٣١٩) وكان كثير من آباء النصرانية الأقدمين يمقتونه ويرفضون رسائله وكذلك الأيبونيون كافة.

فالسبب الحقيقى فى شهرته بين النصارى بعد هو اتباع الأمم غير اليهودية له وسرورهم بتعاليمه لسهولتها عليهم بسبب خلوها من جميع التكاليف الموجودة غيرها ولموافقة عقيدته فى الخلاص بالمسيح لعقيدة الوثنيين فى آلهتهم المتجسدة النازلة إلى الأرض لخلاص الناس. لذلك تهافتت تلك الأمم الرومانية واليونانية على هذه الديانة البولسية فنجح معهم بولس فى ذلك نجاحا كبيراً.

نعم كان بعض خاصة اليونانيين طلاب الحكمة (الفلسفة) لا يبالون بعقيدته فى الخلاص بيسوع ويهزأون بها (١ كو ١ :١٨و ٢٣) ومن كان منهم يعتقد مثلها فى بعض آلهتهم اليونانية كان يسخر من بولس لجعله مخلص العالم رجلاً من قومه اليهود وهم قوم محتقرون عندهم. ولكن عامة اليونانيين وجماهير الأمم الأخرى الوثنية كانت عقائدها تشبه من كل وجه عقيدة بولس فى الخلاص بالصلب والموت وإن كان مخلصوهم غير مخلص بولس (راجع مثلا كتاب «ملخص تاريخ الدين» ص ١٠٨ وكتاب «المسحاء الوثنيين» ص ٢٠٦ وكتاب «شهود تاريخ يسوع» ص ٦٧) فسهل عليهم لذلك قبول أفكاره فى يسوع وراجت بين الرومانيين شيئا فشيئاً حتى عمتهم تقريبا وانتقلت إلى بعض الخاصة أيضاً وما زالت هذه الديانة البولسية تنتشر بين الناس شيئاً فشيئاً لملائمتها لذلك الوسط الرومانى اليونانى الوثنى إلى أن صارت هى الديانة الرسمية للدولة الرومانية بعد مضى نحو ثلاثة قرون عليها، ولولا أن «مخلصها» من اليهود المحتقرين عندهم لكانت أسرع انتشارا من ذلك بينهم لعدم مباينتها لعقائدهم إلا فى أشياء طفيفة قليلة ولاشتمالها على بعض مبادئ اشتراكية (أ ع :٣٢) وإباحية (كو ٢ :١٦) أسهل بكثير مما فى بعض الشرائع الأخرى كالموسوية ونحوها التى لا خلاص فيها بالإيمان وحده بل بأعمال شاقة كثيرة معه. ومنذ ذلك الحين صاروا يضطهدون الناس بعد أن كانوا مضطهدين، وكان منهم ما كان مما تتفطر لذكراه قلوب الراحمين، فزادت أيضا بهذا القهر والإكراه انتشاراً، وإلى الآن تراهم على الضعفاء غالباً معتدين قاسين، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم!!

لجهلهم وغـفلتهم لا يقوون على تكذيبـه حتى فيمـا خالف حسهم. فـإن قيل: إن المراد بهذه العبـارة التى تشير إليها هو أنهم رأوا رسمــه وصورته مصلوبا [١] كــمـا ترجموها فى النُسخ العربية أو المراد تصويره لهم وصفاً وتعبيراً.

قلت: وما فائدة هذا الكلام إذاً وما قيمتـه؟ وأية حجة فيه على أهل غلاطية أو غيرهم الذين سمـاهم أغبياء لأنهم خالفوه ولم يذعنوا له؟ وهـل مثل هذا التصوير الكلامى أو الكتابى يكفـى لإقناع الناس بمسألة الصلب أو بصدقـه فيما يدعـيه؟ إن هذا الأمر عجاب!! ولماذا أضاعه النصارى إن كان مقنعا للناس لهذه الدرجة، الحق أقول: إن النصارى فى دينهم واهمون، وعـن طريق الصواب ناكبون، هداهم الله إلى الطريق القويم، والصراط المستقيم.

(١) إذا صح أن المراد من هذه العبارة صـورة المسيح ورسمه فلماذا إذا ينكر البـروتستانت على الكاثوليك والأرثوذكس وضع الصـور فى كنائسهم ويدعون أنه لا مـسوغ لهم فى ذلك من كتبهم!!

تذييل للفصل السابق
إشراك النصارى غير الله به

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة : ٣١].

جاء فى إنجيل يوحنا (يو ٢٠:٢٣) أن المسيح حينما قابل تلاميذه بعد قيامته من الموت قال لهم «من غفرتم خطاياه أغفر له. ومن أمسكتم خطاياه أمسكت» ولم يأت فى عبارته هذه بقيد ولا شرط غير ما تراه فيها من تفويض الأمر كله للتلاميذ!! فلنسأل هنا الأسئلة الآتية:

(١) هل إذا غفروا لمذنب لم يتب تغفر ذنوبه أم لا؟ فإن غُفِرتْ فأين إذا العدل الإلهى وقد ساوَوا الطالح بالصالح بكلمة منهم واحدة؟ وأية فائدة للتوبة والاستقامة ما دام الأمر موكولا لهم يهبونه لمن شاءوا ومتى شاءوا ولو لم يستحقه؟ وهل لا يحمل قول المسيح هذا - إذا صح - النفوس على ترك كل عمل من أعمال البر والتقوى والسعى فقط فيما يرضى هؤلاء التلاميذ ونوابهم كالملق لهم أو دفع مال أو غير ذلك وترك ما يرضى الله تعالى ما دام الأمر فى يدهم لا فى يده تعالى؟ فأية إباحة للشرور والمفاسد أعظم من ذلك؟ وهل لا تعذر النصارى الذين عبدوا هؤلاء القديسين من قديم الزمان بعد أن علموا - من نصوص كتبهم - أنهم يمكنهم أن يفعلوا بهم مالم يفعله الله نفسه فيغفروا ذنوبهم ولو كانوا على العصيان والشر مقيمين؟ وأية قدرة أكبر من ذلك؟ وإن لم تغفر ذنوب المذنب إلا بالتوبة إلى الله والعمل الصالح فلم لم يشترط ذلك المسيح فى عبارته هذه وجعلها مطلقة كما ترى؟ وإذا اشترط ذلك فما تكون إذاً فائدة غفران تلاميذه وأى فرق

بين وجوده وعـدمه وما مزيتـهم على غيرهم؟ وهل لا تكون هذه العـبارة عبـثا ظاهراً وقـدرة موهومـة أعطاها لتلامـيذه؟ وكـيف يصل علم هؤلاء التلاميذ إلى أسـرار نفوس الناس والوقوف على حقيقـة أمرهم حتى يعلموا إن كانت توبتـهم صادقة صحـيحة يستحـقون لأجلها الغـفران أم لا ؟ فهل أصبـحوا آلهة للعـالم بكلمة المسيـح هذه؟ فغفـرانكم أيها الآلهة غـفرانكم للعاصين مثلى الكافرين بكم!!

(٢) وإذا لم يغفروا لمذنب تاب ورجع إلى الله وحده فهل يغـفر أم لا؟ فإن غفر الله له فما حاجة الناس إذاً إلى طلب الغفران منهم؟ وكيف قال المسيح «من أمسكتم خطاياه أمـسكت»؟ وإن لم يغفر الله له فكيف وعد التـائبين (راجع مثلا حز ١٨ : ٢١ - ٢٤) بالغفران ولم يشترط شيئا آخر غير التوبة والصلاح فى جميع كتب الأنبياء السابقين أى حتى قبل عمل الكفارة المزعومة بصلب المسيح؟ فهل لم يعلم الله فى تلك الأزمنة بأولئـك الآلهة الذين أشركهم - بزعمهم - المسـيح معه فيما بعـد حتى استقل بالعمل وحـده بدون مراعاة رضاهم عـن التائبين، فـماذا يفعـل إذا هم خالفوه فـى ذلك يوم القيـامة؟ وكيف تكون التـوبة قبل هذه الكفارة أسـهل منها بعدها فـإنها كانت قـبلها قاصرة على إرضاء الإله وحده وأما بعدها فلابد من إرضاء غيره معه وهم كثيرون؟ تعـالى الله عما يشركون! وكيف لا يقدر الله الغـفور الرحيم (مز ٨٦ : ٥ وخر ٣٤ : ٦) على الغـفران بدون إذنهم حـتى تكون مشيـئتـه تابعة لمشيئتهم، أمـا مشيئتهم هم فنافذة - بمقتضى وعـد المسيح هذا - كالسهام بحـيث لا تقف أمامـها إرادة الله نفـسه ! فـهم إذاً أقدر منه تعـالى وأولى بالعبادة دونه وأحق! فـأى باعث على الشرك وعبادة البشـر أكبر من ذلك؟ فالآلهة إذاً عندهم ليـسوا ثلاثة فقط بل هم كثـيرون متعددون، فـما معنى توحيدهم وأية فائدة منه بعد ذلك؟ وأى ذلٍ واستعباد للناس أكبر من ذلك؟

وأى مبادئ أشد حَضاً من مبـادئهم هذه على استبداد رؤسائهم الروحانيين (وهم خلفاء التلاميذ ونوابهم فى الأرض) استبدادهم بالمرؤوسين وطغيانهم وتصرفهـم فيهم كما يشـاؤون؟ وكيف بعد ورود هذه العبـارة ونحوها فى الأناجـيل ينكر مبـشرو البـروتسـتنت الآن أن كل ما حـصل فى أوربا فى القرون الخالـية من مظالم رجال الكهنوت وغيـرهم من رؤسائهم (انظر رو ١٣ : و٢) وأكلهم أمـوال الناس بالباطل ومـفاسدهم واسـتبـدادهم وسفك الدماء والمذابح المظلمة والشقاق الدائم بين فرق النصارى وغير ذلك إنما هو كله كان من النتائج اللازمـة لتلك المبادئ التى قررتها كتبهـم التى يقدسونها إلى الآن!! وكيف يعقـل أن عبارة المسيح السابقـة هى من الله؟ أليست هى مما اختلقـته شياطينـهم ونسبوه كذباً لعـيسى عليه السـلام، وهو منها ومن أمثالها والله لبرئ [1] وإلا فكيف تتفق هذه العبارة مع قوله عليه السلام لمن

---

(١) البروتستنت والعشاء الربانى

يعتقد البروتسـتنت أن المسيح قال حقيقة هذه العبـارة، وأنه هو أيضا الذى وضع لهم فريضة العشاء الربانى التى قال فى أثنائها لهم «خذوا كلوا هذا هو جـسدى (مشيراً إلى الخبز) وأخذ الكأس وأعطاهم قـائلا: اشربوا منها كلكم لأن هذا هـو دمى» (مت ٢٦: ٢٦- ٢٨) فبنى النصارى جميعا من قديم الأزمان على العبارة الأولى وما ماثلها (مت ١٨ :١٨) سلطة رجال الدين ووجوب الاعتراف لهم بالذنوب وقدرتهم على غفرانها الخ.

وعلى العبارة الثـانية أن الخبز والخمر يستـحيلان فعلا إلى جسـد المسيح ودمه وأنهم إنما يأكلون حقيقة إلهـهم (يسوع) ويشربون دمه فى هذا القربان كما يفعل الوثنيـون ببعض آلهتهم. فلذا قست قلوب النصارى على بنى البشر - من باب أولى - ما دام دينهم يأمرهم بأكل إلههم وشرب دمه! ولا أدرى لماذا غضب على اليهـود وعد عملهم به إساءة له مع أنه كان يطلب منهم ويود أن يأكلوا جسده ويشربوا دمه!! (انظر يو ٦ :٥٢ - ٥٩) وكان ما فعلوه به أقل مما طلب. ولماذا لا يغضب علي أتباعه الذين يفعلون به ذلك مرارا إلى اليوم؟

أتى البروتستنت فى العصـور المتأخرة وكذبوا النصارى جميعـا فى هذه المسائل وغيرها وأولوها لهم بغير مـا عرفوه عن أقدم آباء النصرانيـة ولكننا نعجب غاية العجب كيف أن جـميع أتباع =

سألته أن يجلس ابنيها واحدا عن اليمين وواحدا عن اليسار فى مجده قوله لها «وأما الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبى» (راجع متى ٢٠:٢٣ ومرقس ١٠: ٣٧-٤٠) فإذا كان هو نفسه لا يمكنه أن يعطى شيئاً إلا لمن أراده الله فكيف إذاً تعطى تلاميذه الغفران لمن شاءوا ويمنعونه عمن شاءوا؟ إن هذا الأمر عجيب.

=المسيح حتى أحدثهم به عهدا لم يفهموا مراده من تلك العبارات - إذا صح أنه هو قائلها - وبقوا على الضلال فيها إلى القرن السادس عشر!؟ فلم يسمع عن أحد منهم ما يقوله البروتستنت فيها الآن.

فإذا جاز عند البروتستنت أن يصل ضلال جميع النصارى فى دينهم إلى هذه الدرجة وأن لا يفهموا مراد المسيح الحقيقى طول هذه القرون التى كانوا فيها يتخبطون فى أعمالهم وعقائدهم فكيف لا يجوز أنهم ضلوا فى غير ذلك - كما نقول- وكانوا من الواهمين؟

إصلاح الإسلام للعقائد

وكيف إذا ينكرون حاجتهم إلى بعثة رسول الله وإلى ما جاء به من الإصلاح الكامل الذى سبق به جميع مصلحيهم حينما كانوا لا يخطر على بالهم أنهم فى دينهم واهمون، وفى الضلال هائمون ؟ مع أنه لولا أن جاء عليه السلام ما اهتدوا إلى هذا الإصلاح، أو لتأخر رقى العالم فى العلم والدين والمدنية إلى زمن أبعد وقرون أكثر فإنه هو وأمته هم الذين نشروا كل ذلك فى العالم القديم أجمع وأيقظوا النصرانية من سباتها العميق الطويل، فلو لم يكن مرسلا من الله فهل يعقل أنه تعالى الحكيم الرحيم بعباده يتركهم ضالين فى أمورهم، حيارى فى دينهم، ظالمين مفسدين، أغبياء جاهلين، لا يعرف أحد منهم للصواب والحق اليقين والعلم سبيلا حتى كان أكبر قادتهم (بولس) يمدح الجهل والجهال ويذم الحكمة والحكماء ويقبل الناس ذلك منه على أنه وحى من الله مقدس (انظر مثلا ١ كو : ١٧-٢٥و٢٧) فتركوا العلم وحرموا أنفسهم من استعمال العقل فى كل شئ حتى ضلوا بعيدا فلذا جاء القرآن بعكس ذلك وذم فى أكثر صفحاته الجهل والجهال والتقليد ومدح العلم والعقل والتفكر وأوجب النظر فى ملكوت السموات والأرض والبحث فى آياتهما كما هو معلوم للمطلعين عليه فنهض بالعقل البشرى نهضة لم يسبقها كتاب ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾.

وإذا كان النصارى يعتقدون قدرة التلاميذ على التصرف فى الكون (مت ١٦ : ١٩و١٨ : ١٨) وغفران الذنوب ودينونة الخلائق والملائكة يوم القيامة (١ كو ٦ : ٢و٣) وأن كلمة أحدهم تنقل الجبال ولا يستحيل عليها شئ كما سبق (مت ١٧ : ٢٠) فأى شئ أبقوة لله تعالى بعد ذلك كله سوى عمله بحسب مشيئتهم وانقياده لأوامرهم ونواهيهم؟ وهل هذا هو التوحيد الذى جاء به عيسى وجميع الأنبياء قبله؟ وهل إلى هذا الشرك والوثنية يدعون المسلمين الموحدين ولا يخجلون؟ فأى عقل أسخف من هذا؟ ومن الذى جن حتى يقبل ذلك منهم؟

بعثة محمد صلى الله عليه وسلم و آثارها

ومما تقدم هنا تعلم حكمة بعثة محمد ﷺ فى ذلك الزمن الذى بعث فيه ومقدار حاجة العالم إليه وقتئذ وحكمة إكثاره قبل كل شئ من الدعوة إلى التوحيد الحقيقى والتنزيه بعد أن امتلأ العالم كله بالشرك والوثنية والتشبيه والتجسيم، فهو إمام المصلحين وسابق المتأخرين منهم جميعا الذى أزال غياهب الباطل وظلماته ونشر الحق فى الأرض ودعا لعبادة الله تعالى وحده، فخلص الناس من الذل والاستبداد والاستعباد وساوى بين عباد الله أجمعين فمحق بذلك الظلم ورفع النفوس إلى أعلى ذروة من الكمال البشرى وأطلقها من أسر التقليد والأوهام والخرافات للعمل النافع والتعقل والتفكر فى الدنيا والآخرة (راجع القرآن ٢ : ٢١٩) فانتشر فى العالم بسرعة خارقة للعادة العلم والحرية الصحيحة والرخاء والمساواة والإيمان بالحق

والمدنية الراقية التى كانت أساسا لمدنية أوربا الحالية [١] فلله دره وما أكبره من مصلح عظيم، ونبى كـريم، ورسول مـن الله أتى بالخيـر العمـيم، عليـه أفضل الصـلاة والتسليم، فلولا وحى الله إليه لما أمكنه الإتيان بعشر ما أتى به وهو ربيب الجاهلين المشركين الوثنيين ولم يغب عن قومه غيـبة تمكنه من تعلم القليل فضلاً عن الكثير، وأية بلاد كان فيها جميع ما أتى به الإسـلام من الحقائق، والعقائد الراقية، والمبادئ الصحيحة، والأصول القويمة، للدين الحق الكامل فى كل شئ؟ مع أن بعض هذه الأشـياء لم تقف علـيهـا أرقى علمـاء الغرب أو لم يجـزمـوا بها إلا فى الأعـوام الأخيرة! وقد كانوا من قبل ظهور الإسـلام إلى مئات من السنين بعده كالأنعام لا يهتـدون إلى العلم والحق سبـيلا، يسـوم بعضهم بـعضا سـوء الظلم والاستـبداد والاستعـباد والاضطهاد حتى أضاء لهم قـبس من نور الإسلام فى الشرق فكان له هادياً وللرقى دليلاً، سنة الله فى كل مـن اتبع مبادئ دينه القويمـة، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا.

---

(١) بين الإسلام والمسيحية

يقول بعض العلماء الباحثين : إن الإسلام أوجد قديماً حـينما كان الناس متمسكين بتعاليمه - أكبر دول فى العالم وأعظمها علماً ورقياً ومدنية وأنتج فى كل علم كثيراً من كبار العلماء والفلاسفة والحكماء المفـكرين وأما تعاليم المسيحية المعروفة فـما زالت تفت فى عضد الدولة الرومانيـة وهى دولتها الوحيـدة إذ ذاك حتى قضت عليـها ولم تنتج فى مئـات من السنين عالماً واحداً من كـبار المحققـين بل كان رجال الدين منهم يمـقتون العلم ويضطهـدونه اضطهاداً شديداً وكلمـا ظهر بينهم أحد بدا عليه شئ من العلم والـتفكر ثاروا عليه وأخمـدوا أنفاسه بأقطع طرق الإعداد بحـجة مخالفتـه للدين أو نصوص كتابهم المقـدس وكل ذلك معروف مشهور فلا حاجة لنقل شواهده هنا وكيف لا تضطهد ديانتهم هذه العلم والعلماء وهى فى كل عقائدها وتعـاليمها مناقضـة للعقل الصحيح والفطرة البـشرية على خط مستقـيم كما لا يخفى ، وما ارتقت أوروبا إلا بعد أن تركـتها بتاتاً وأخذت بتعاليم أشبـه بتعاليم الإسلام من كل شئ آخر وما نبغ بينهم الآن عالم محقق وفيلسوف كبـير إلا وهو للمسيحية عدو مبين، أما فلاسفة المسلمين فكانوا فى كل زمن أشد الناس حباً للإسلام، وتمسكاً به، وغيرة عليه. فهل تستوى الظلمات والنور؟!

الإسلام امتداد للأديان الحقة

ولا يتوهمن القارئ مما ذكرناه هنا أن أحداً من المسلمين يقول إن «جميع» ما أتى به الإسلام لم يكن معروفا عند الأمم الأخرى قبل نزول القرآن. كلا فإن هذه الدعوى لم يدعها أحد من المسلمين ولن يدعيها كيف وقد قال القرآن الشريف نفسه ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣] وقال ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣] وقال ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ [طه: ١٣٣] وقال ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩] وقال ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦) وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل ٧٦، ٧٧] وغير ذلك كثير.

العوامل المشتركة بين الإسلام والأديان الأخرى

فما في القرآن مما يوجد مثله في الأديان الأخرى نوعان:

(١) إما أن يكون مما أوحاه الله إليهم وأبقاه الإسلام لما فيه من المصلحة للناس.

(٢) وإما أنه من الأشياء المستحسنة الصالحة التي وصل إليها الناس بعقولهم وكانت موافقة لحالتهم ونافعة لهم فأقرها الإسلام ولو لم تكن في الأصل وحياً فإن

الغرض من نزول القرآن وغيره من الكتب الإلهية هو «الإصلاح» لا محو كل شئ موجود من قبل ولو كان صالحا نافعا فإن الأنبياء مصلحون لا إعداميون. ولذلك قال المسيح (مت ٥: ١٧) «ما جئت لأنقض بل لأكمل» وقال الله تعالى على لسان شعيب ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [هود: ٨٨] ولا شئ أكثر موافقة لحال الناس مما وصلوا إليه بأنفسهم كما لا يخفى.

فائدة الوحى

ففائدة الوحى إذاً إلى الأنبياء هى:

أولاً: إرشادهم إلى أصلح الموجود وأنفعه لأممهم ليبقوه وليمحوا الفاسد الضار من بينهم، ولو اعتمدوا على العقل وحده فى هذا العمل لوقعوا فى الخطأ والضلال من حيث يريدون النفع ولذلك قال القرآن فى الآية السابقة ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [هود ٨٨].

ثانياً: هى الإتيان بأشياء جديدة لم تكن تعرفها الأمم السابقة وقد بينا بعض ما أتى به الإسلام مما لم يسبقه أحد فى بعض كتبنا ورسائلنا فلا حاجة للتكرار هنا فما فى القرآن موافقاً لما عند الأمم الأخرى إنما هو لصحة ذلك عن أنبيائهم أو لصلاحه ونفعه وما فيه مخالفا لها هو لفساده وخطئه وضرره لتحريف كتبهم على ممر الأزمان فإن القرآن جاء ليبين لهم ما كانوا فيه يختلفون.

استمداد المسيحية من مواريث الأمم السابقة

ولو كان وجود أشياء فى الدين المتأخر مما فى الدين المتقدم يدل على كذب نبى الدين المتأخر لكان موسى مثلا من الكاذبين فإن بعض شريعته يوجد مثله - مع

اختلاف طفيف جدا - فى (شريعة حمورابى البابلى) التى اكتشفت سنة ١٩٠٢ وهى أقدم من التوارة بنحو عشرة قرون ولكان عيسى أيضاً كاذباً لأن جُلَّ نصائحه وتعاليمه - إن لم نقل كلها - كانت موجودة حرفاً بحرف فى كتب اليهود من قبل كما بينه كثير من علماء الإفرنج (راجع مثلا كتاب «النصرانية والأساطير» ص ٤٠٣ - ٤٢٣ وكتاب «شهود تاريخ يسوع» ص ٢٣٥ - ٢٨٨).

بل إن بعض حكم المسيح ونصائحه يوجد مثلها أيضا فى كتب حكماء اليونان والهند والصين الأقدمين مثل (كونفيوشس) الصينى الذى مات سنة ٤٧٩ قبل الميلاد حتى أن حكمة عيسى عليه السلام الذهبية التى يفتخرون بها صباح مساء وهى قوله مت ٧: ١٢ (فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم بهم لأن هذا هو الناموس والأنبياء) قال مثلها تماما كونفيوشس المذكور وأرسطوا أيضاً فى منتصف القرن الرابع قبل المسيح وغيرهما كثيرون (راجع كتاب «لغز العالم» تأليف إرنست هييكل ص ١٢٤).

وجاء فى سفر (طوبيت) من أسفار اليهود غير القانونية قول كاتبه ٤: ١٦ (ما لا تحب أن يفعله بك أحد لا تفعله بغيرك) .

وفى التلمود: قول هيلل (Hillel) (ما لا تحبه لا تفعله بقريبك، فإن هذا هو التعليم كله).

فإن قيل :إن هذه العبارات اليهودية بصيغة سلبية وهى لا شك أقل فضيلة من عبارة المسيح السابقة الواردة بطريقة إيجابية.

قلت: إن عبارة المسيح هذه كانت أيضاً بطريقة سلبية فى نسخ الأناجيل القديمة ولكن النصارى حرفوها فيما بعد لتكون أكمل وأرقى (راجع كتاب «شهود تاريخ يسوع» ص ٢٦٧).

وجاء في سفر اللاويين ١٩ : ٣٤ الأمر بمحبة الغريب النازل في وسط اليهود كمحبة النفس وفي سفر الخروج ٢٣ : ٤و٥ ورد الأمر بمساعدة العدو . راجع أيضاً أمثال ٢٤ : ١٧و٢٥ : ٢١و٢٢ وأيوب ٣١ : ٢٩ وغير ذلك كثير وفي التلمود قوله (أحب من عاقبك) وقوله(خير لك أن يسيئك غيرك من أن تسئ) وقوله (الأفضل أن تكون من المضطهدين (بالفتح) لامن المضطهِدين).

أما قول المسيح مت ٥ : ٤٤ (باركوا لأعينكم، أحسنو إلى[1] مبغضيكم) فلا وجود له مطلقا في أقدم نسخ الأناجيل كما ذكره العلامة (أرثر دروز) في كتابه عن «شهود تاريخ يسوع» ص ٢٦٩ وإذا فهو من مخترعاتهم، على أن قول عيسى (أحبوا أعداءكم) ليس بأحكم مما نقلناه هنا عن كتب اليهود لأنه تكليف بما لا تطيقه النفس البشرية فهو من الغلو لا يمكن لأحد العمل به مطلقاً لأن قلب الإنسان لا يمكن إرغامه على مثل ذلك.

وهل من العدل والعقل أن يساوى الإنسان بين الصديق والعدو فيضعهما في قلبه وينزلهما منزلة واحدة؟ وهل لا يحمل هذا بعض الخبثاء الأشرار على الاسترسال في الأذى وعدم الكف عن الطغيان؟ ولماذا لا يفعل أحد من النصارى بهذه الأوامر ولا دولة من دولهم؟

---

(١) تذكر قول القرآن: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [الرعد ٢٢] وقوله ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] ولكن ذلك ليس بمحتم بل الأمر في الآية للندب لا للوجوب لقوله تعالى ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١] إلى قوله ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى ٤٣].

بين المسيح والحكماء السابقين

وهنا نسأل المبشرين: هل أولئك الشارعون والحكماء - أمثال حمورابى ملك بابل، وكونفيوشس حكيم الصين، وغيرهما ممن ذكرنا وممن لم نذكر - هل وصلا إلى ما وصلا إليه بالعقل أم بالوحى؟ فإن كان وصلا إليه بالعقل لكانا إذاً أعقل وأرقى من موسى وعيسى اللذين ما وصلا إلى ما وصلا إليه إلا بعون الله ووحيه كما يقول المليون، وخصوصاً لأن شريعة حمورابى أكمل مما فى هذه التوارة باعتراف القس روس (Rouse) الإنكليزى وغيره فى كتابه «نقد العهد القديم بنور العهد الجديد» ص ٦٤.

وإذا كان من مبطلات وحى القرآن عندهم وجود بعض أشياء فيه موجودة عند الأمم الأخرى فلم لا يبطل ذلك أيضا وحى التوارة والإنجيل؟ ولم خص الله بنى إسرائيل - كما يزعمون - بالوحى والنبوة وهم من أقل الأمم عقلا ومن أكثرهم ميلا للضلال والكفر حتى أنهم كثيرا ما ارتدوا هم وبعض أنبيائهم وعبدوا الأصنام مع كثرة المعجزات فيهم وتعدد الأنبياء بينهم لدرجة مدهشة؟ وقد انتهى أمرهم أنهم أنكروا المسيح وصلبوه وقتلوه وبقى اليهود مصرين على كفرهم به إلى اليوم؟ فهل من الحكمة والعدل أن تكثر الأنبياء بينهم إلى تلك الدرجة المعروفة ويحرم الله أمم جميع العالمين قاطبة من رسل إليهم منهم أو من غير أمة اليهود المعاندين المرتدين الكافرين؟ فكيف يؤاخذ الله تلك الأمم ويلزمهم بالإيمان بما لا يؤمن به اليهود أنفسهم الذين كثرت بينهم الأيات والمعجزات وتعددت منهم الأنبياء والرسل؟ وكيف تكون جميع نعم الله تعالى على عباده فى هذا العالم مقسمة بين جميع الأمم على شئ من المساواة (التامة أو الناقصة) ويحرم بالمرة جميع الناس ماعدا اليهود من أكبر نعمه وهى نعمة التجلى لهم والقرب منهم بالوحى والنبوة والإرشاد الإلهى الأكبر ويعطى ذلك كله لليهود وحدهم؟!

جهل «يهوه» وظلمه

والأغرب من ذلك أن يكون اليهود هم المقصودين أولا وبالذات من بعثة عيسى حتى ما كان يجوز له ولا لرسله دعوة غيرهم من الأمم إلا إذا رفض اليهود الدعوة كما سنبينه (انظر مثلا مت ١٥ : ٢٤ و أ ع ١٣ : ٤٦و١٨ : ٦ورو ١ : ١٦) فكأن جميع الأمم عند رب العالمين «كلاب» وقد سماهم المسيح نفسه بذلك فقال مت ١٥ : ٢٦ «ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب» !! وإذا قارنا اليهود بمن فى السموات والأرض من ملائكة وأناسيّ ودواب وجن وغير ذلك بما فيهم من صالح وطالح ومهتدٍ وضالٍ، وعلمنا - بحسب دين النصارى - أن الله لم يهتم بغير اليهود، حتى تجسد ونزل إلى الأرض وحبس فى هذا الجسد الإنسانى إلى الأبد من أجلهم أولاً، فرفضوه وأهانوه وقتلوه، أدركنا كيف أن إلههم قد وضع الشئ فى غير محله وأخطأ المرمى مرارا وظلم غيرهم بعدم اعتنائه بهم عنايته باليهود مع احتياج جميع المخلوقات إلى هدايته مثلهم ورعايته وتدبيره لهم؛ ولكنه أهملهم وبعد ذلك كله لم يعرف كيف يخلص اليهود أنفسهم بل أوقعهم فى الهلاك الأبدى بصلبهم له وحكم عليهم بالنار الدائمة فهو إذاً إله جاهل ظالم عاجز قاس حتى لم يعمل هو نفسه بما ألزم به الناس - عندهم - من «وجوب» درء السيئة بالحسنة والبغض بالمحبة (مت ٥ : ٣٩ - ٤٨) فصار منتقما حقوداً حتى على مختاريه اليهود!! فكيف يوجب على الناس بعد ذلك مالم يقدر عليه هو نفسه؟ وكيف جهل كل هذه النتائج السيئة ولم يعدل بين مخلوقاته العدل الممكن.

تعدد العوالم فى القرآن وعلم الفلك

قارن هذه العقائد بقول القرآن الشريف ﴿وَمَا من دَابَّة فِى الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّه رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦] وقوله: ﴿وَمَا من دَابَّة فِى الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ من شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقوله: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩] وقوله: ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ [السجدة: ٥] وقوله: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ (١) فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩] وقوله: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ﴾ [الشورى: ١٩] وقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾ [فصلت: ٢٩] الخ الخ.

فأين الثريا من الثَّرى وأين السماء من الأرض!! فانظر رعاك الله إلى هذه الحقائق الدينية العلمية السامية التى جاء بها الأمى وهى ما كانت تخطر على بال واضعى دينهم ومؤلفى كتبهم المقدسة، بل إن وجود دواب فى السموات كما فى الأرض ما كان يعرفه أحد من العالمين وخصوصا مؤلفى كتبهم الذين كانوا يتوهمون أن العالم عبارة عن المملكة الرومانية فقط (راجع ص ١٤ من هذه الرسالة).

---

(١) كان الأب مراكى (Marracci) وغيره من علماء النصارى يطعنون فى القرآن لقوله بتعدد العوالم فى هذه الآية وغيرها مثل قوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢] (راجع ترجمة سيل للقرآن هامش ٢ لسورة الفاتحة) وقد أصبحت الآن هذه المسألة حقيقة علمية فلكية لا شك فيها والدابة تطلق على كل حيوان يدب (أى يمشى) ولو كان عاقلا كما يفهم من قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [النور: ٤٥].

ولنرجع إلى ما كنا فيه: وإن كان وصل أولئك الحكماء الفضلاء المصلحون للأمم إلى ما وصلوا إليــه بالوحى الإلهى فلم إذاً أخذ المبشرون ينكرون علــى القرآن مثل قوله ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] وقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ [(١)] ﴾[النحل ٣٦] وقوله :﴿وَرُسُلاً

(١) أما النبوة ونسل إبراهيم

قول القرآن الشريف فى إبراهيم ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [عنكبوت: ٢٧] فيجوز أن الألف واللام فيه للعهد أى النبوة والكتب المعــهودة المعروفة عند العرب المخالطيين وهى أرقى وأشهــر ما أعطى الله تعــالى للناس بعده فــلا ينافى ذلك أنه أعطى لغيــر أولاد إبراهيم من الوحى والكتاب مــالم تعرفه العــرب ولم تسمع به وإن كان فى الغــالب أقل درجة مما أعطى لأولاد إبراهيم ويجوز أن ذريته كثرت وانتشرت فى سائر بقاع الأرض مع القبائل الرحل فى تلك الأزمنة وامتزجت بجميع الأمم امتزاجاً تاماً حتى صارت منهم، ومن هذه الذرية كانت جميع الأنبياء الذين أتوا بعد إبراهيم حتى من ظهر منهم فى أمريكا فقد كانت متصلة بالعالم القديم فى سالف الزمان، ولا تنس أننا لا نعلم تاريخ وجود إبراهيم باليقين.

وهذا التفسير الأخير يساعده ما يتبادر من قوله تعالى بعد ذكر بعض أولاده الأنبياء ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعــام: ٨٧] إلــى قــوله ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام: ٨٩] ويوافق أيضا التوارة الحالية (انظر مثلا تك ٢٢:١٧و١٨).

أما تغلب الكفر والوثنية، والجــهل والشر على تلك الأمم فى عصور مختلفة كثيــرة فهو كتغلب المرض على الصحة فى الأحياء جميعاً حــتى يقتلها وكتغلب الضعف والاضمحلال على الدول حتى يذهب بها، وكطروء النسيان على الذاكرة فــيمحو ما علق بها من المعلومات، سنة الله فى خلقه ليكون العالم فى حركة دائمة مــا بين صعود وهبوط، وأخذ وعطاء وعلم وجهل، وصحة ومرض، وحياة وموت، وتقدم وتأخر إلى غير ذلك من الصفات الملازمة لكيان هذا العالم واللازمــة لإظهار كل نوامــيس الوجود وإبراز جــميع مواهب الإنســان وغيــره لميدان العمل، وهى أدل دليل على حدوث هذا الكون ووجود خالقه الأزلى تعالى. وكل أمر من ذلك ســيــسْــتــقــر ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد:١٧] وهذه الآية الشريفة تنطبق على العلوم الطبيعية وغيرها الحديثة القائلة بتنازع البقاء وبقاء الأنسب وسير كل ما فى العالم فى سبيل الارتقاء والكمال، فإن العالم كالنهر الجارى =

﴿قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء ١٦٤]؟ أما عدم علمنا بكل أولئك الرسل فلا يطعن فيما قرره القرآن - لغموض التاريخ القديم ونقصانه واختلاطه كثيرا بالباطل - كما لا يطعن فى صحة قصص التوارة وغيرها عن وجود بنى إسرائيل فى مصر وخروجهم (١) منها وغرق المصريين وآيات موسى

= ترتفع أمواجه وتنخفض ولكن ذلك لا يوقف سيره ولا يمنع تقدمه للأمام، فتبارك الله أحسن الخالقين.

(١) تاريخ بنى إسرائيل فى القرآن موافق لأقدم الروايات التاريخية

جاء فى كتاب «الأصول البشرية» ص ٨٨ لمؤلفة لينج أن يوسيفوس المؤرخ اليهودى الشهير نقل عن (مانيثو) هذه الرواية المصرية القديمة التى ملخصها «أن موسى بعد أن هزم فرعون مصر - الذى فر إلى بلاد الحبشة - حكم مصر ١٣ سنة وبعد ذلك عاد إليه فرعون هو وابنه ومعهما جيش عظيم فقهروه وأخرجوه منها إلى بلاد الشام » وجاء فى قاموس الكتاب المقدس لبوست مجلد ١ص ٤١٠ أن هيرودتس وهو المؤرخ اليونانى الشهير فى القرن الخامس قبل الميلاد قال«إن ابن (سينسوسترس) ضرب بالعمى مدة عشر سنين لأنه رمى رمحه فى النهر وقد ارتفعت أمواجه وقت فيضه بسبب نوء شديد إلى علو غير اعتيادى » أ هـ.

ويقول المؤرخون إن ابن (سينسوسترس) هذا (وهو منفتاح الثانى) هو فرعون الخروج ويتخذون هذه العبارة إشارة إلى غرقه فى زمن موسى. ولكن يرى القارئ منها أنها لو كانت إشارة إلى الغرق لكان الغرق فى النيل، ومن الرواية الأولى يعلم أن موسى حكم بعد فرعون ١٣ سنة فى مصر.

وهاتان الروايتان هما من أقدم الروايات المصرية وأصحها وربما كانتا الوحيدتين فى هذه المسألة، ولعل المصريين استغاثوا بمملكة الحبشة فأرسلت إليهم جيشاً فأوحى الله إلى موسى بالخروج حينئذ من مصر وتركها لهم، وعليه يجوز أن المصريين تكتموا خبر غرق ملكهم واستبدلوه بدعوى تقهقره إلى الحبشة وقالوا إنه هو الذى عاد بعد ذلك وأخرج موسى بالقوة ستراً لخزيهم وخذلانهم وإرضاء لملوكهم وأسر هؤلاء الملوك وربما أنه لولا عظم هذه الحادثه وشهرتها بين الناس لأنكروها بالمرة.

ومن ذلك نعلم أن الخروج لم يكن عقب غرق المصريين مباشرة كما يفهم من التوارة ولم يكن السبب فيه هذه الحادثه التى غرق فيها فرعون وجيشه بل كان بعد ذلك ببعض سنين.

بينهم الخ. لا يطعن فى ذلك عدم وجود ما يؤيدهما الآن من الآثار المصرية

= ويرى المطلع على القرآن الشريف أن هاتين الروايتين صادقتان فى مسألة غرق فرعون فى النيل ومسألة حكم موسى في مصر ١٣ سنة. أما الغرق في النيل فيفهم من قول القرآن مثلا في سورة طه ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ﴾ [طه:٣٨, ٣٩] ثم قوله فى آخر هذه القصة ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه:٧٨] فالمتبادر من ذلك أن فرعون غرق فى نفس اليم الذى ألقى فيه موسى وهو النيل ومثل ذلك أيضاً ما جاء فى سورة القصص وهو قوله: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص:٧] ثم قوله فيها بعد ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص: ٤٠] أما مسألة حكم موسى فى مصر والتمتع بها هو وقومه مدة من الزمن بعد الغرق فهو أيضاً المتبادر من نحو قوله تعالى ﴿فَأَرَادَ (أى فرعون) أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ [الإسراء ١٠٣، ١٠٤] وقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء ٥٧: ٥٩] ويجوز أن الشريعة أعطيت لموسى فى الطور قبل تركه حكم مصر.

وفى زمن موسى أعطى الله بنى إسرائيل - بدلا عن مصر التى أمرهم بتركها - الممالك التى فى شرق الأردن كما فى كتبهم، وفى زمن يشوع أعطاهم كل أرض كنعان إلا بعض أجزاء منها (يش ١٣ : ١) وهذه الأرض التى أعطيت لهم هى من أخصب أراضى العالم وأحسنها وهى المسماة عندهم بأرض الموعد لأنهم كانوا وعدوا بها من قبل.

فأين لمحمد ﷺ على ما بيناه من ذلك التاريخ وهو أجنبى عنه وعن قومه ومغاير للتوراة ومخالف لما يعتقده جميع اليهود والنصارى من قديم الزمان ولكنه موافق لأقدم الروايات المصرية وأصحها التى لا يعرفها - حتى الآن - إلا واسعو الاطلاع من محققى المؤرخين؟

أما مانيثو (Manetho) المذكور هنا الذى وافقت روايته ما جاء فى القرآن الشريف فكان كاهناً لمعبد من أقدم المعابد وأشهرها، وقد كتب تاريخ مصر بأمر بطليموس فيلادلفوس فى القرن الثالث قبل المسيح وكان من أدق مؤرخى القدماء وأصدقهم وقد أخذ بأوثق المصادر وأصحها فى كتابة تاريخه، إلا أن هذا التاريخ فقد مع ما فقد فى حريق مكتبة الإسكندريه ولم يبق منه سوى مقتطفات فى بعض الكتب القديمة اليونانية وقد أيد أكثر هذه المقتطفات ما اكتشف حديثاً من الآثار المصرية والمكتوبات العتيقة مع أن آباء النصرانية كيوسيبيوس حرفوا -كعادتهم - كثيراً مما نقلوه منها لتطابق نصوص العهد القديم كما ذكره العلامة (لينج) فى كتابه «الأصول البشرية » ص ١١ منه.

القديمة (راجع كتـاب «صدق المسيحية» ص ٢٠٤و٢١٢ وكتـاب «الأصول البشرية» ص٨٨و٨٩و٩٢.

على أن العلماء المحققين قد أصبحوا الآن يشكون فى أكثر ما فى التاريخ القديم من الحوادث والحكايات لتعذر الوصول إلى حـقيقته حتى أنهم شكوا [1] فى وجـود مؤسسى الأديان المعروفـة كموسى وعيسى ما عدا محمـد عليهم الصلاة والسلام (راجع مثلا كتاب«المسحاء الوثنيين» ص ٢٣٨و٢٣٩ وكتاب «شهود تاريخ يسوع» ص ٢٩٤و٢٩٥).

ومما تقدم تعلم فـساد - بل هذيان - ما فى كتب المبـشرين مثل كتـاب (مصادر الإسلام) وكتاب (علم الأعلام فى حقيقـة الإسلام) وغيرهما فإن وجود أشياء فى القرآن مثل الموجودة عند الأمم الأخرى مما يؤيد صحة قوله (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا) ونحوه مما سبق ذكره فى كتـبهم هذه يصح أن يكون حجة للقرآن لا عليه فليتدبروا فى ذلك إن كانوا يعقلون وللحق والهدى يطلبون.

---

(١) سبب شك علماء أوربا فى العهد القديم

من أكبر أسباب شك علـماء أوربا المحققين فى حوادث كتب العهد الـقديم وغيرها: هو ما جاء فيـها من تعيين الأوقات والسنين، والأمـاكن وعدد الرجال، وغير ذلك من التـفاصيل التى كلما تعمـقوا فى البحث فيها وطبـقوها على الآثار والمكتوبات القديمة ونحـوها رجعوا بالخيبة والفشل فلا أنكروا هذه القصص بحذافيرها (راجع مثلا الفصل السادس والسابع من كتاب «الأصول البشرية» تأليف صـمويل لينج) ومن ذلك تعلم الحكمة فى ترك القرآن أمثال هذه التفاصـيل لأنه إن ذكرها كما هى فى كتب أهل الكتـاب لكانت خطأ وإن ذكرها على حقيقتها وخالف كتبهم فيها كلها لظنه الناس فى تلك الأزمنة الجاهلة مخطئاً خطأ كثيراً فاحشاً وضحكوا منه وسخروا وشك أكثرهم فى صدقه فكان تركها عين الحكمة ولذلك بقى القرآن إلى الآن بعيداً عن أكـثر مطاعن علماء النقد من هذه الوجـهة فيالله ما أحكمـه من كتاب، ولولا وحى الله لظن الأمى صحة كل مـا فى كتب أهل الكتاب ونقل عنهم شيئـاً كثيراً من هذه التفاصيل المغلوطة.

فصل فى بعض آيات القرآن فى هذه المسائل السابقة والمقارنة بينها وبين ما جاء فى كتبهم عن المسيح وغيره

نص القرآن على فساد الأناجيل

مما تقدم فى الكلام عن الإنجيل نعلم الحكمة فى كون القرآن الشريف لم يقل فى موضع مّا منه أن النصارى حرفت الإنجيل كـما قال مثل ذلك فى اليهود مراراً لأن النصارى لم يكن عندهم فى وقت مـن الأوقات (إنجيل عيـسى) فحرفوه كـما كان عند اليهود (توراة موسى) فحرفوا بعضـها ونسوا البعض الآخر منها فلذا قال تعالى فى اليهود ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾. أما النصارى فلم يكن عندهم من الإنجيل إلا بعض أقـوال قليلة كما بين سابقا ونسـوا أكثر فلذا قال تعالى فيهم ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٤] أى عقب المسيح مباشرة كما يدل عليه العطف بالفاء.

وهذه الأقوال القليلة التى حفظوها عن المسيح تناقلوها أولا بالروايات الشفهية ثم كتبوها وضمنوها فى كتب كانت تراجم لحيـاة المسيح سموها بالأناجيل وضموا إليها ما شـاءوا من الأقوال والحوادث المختـرعة والحقيـقية ونسبـوها كلها للمسيـح عليه السلام حتى اخـتلط عندهم الحق بالباطل بحيث يتعـسر الآن أو يتعذر تمييـز جميع أقوال المسـيح الصحيحـة عن الأقوال المنسوبة إليـه كذبا وقد اعـترف يوحنا بأنه لم يكتب عن المسـيح كل شئ (يو ٢١: ٢٥) فلم يكن الإنجـيل موجـودا وحرفـوه بل أضاعوا كثيراً منه كما قال تعالى ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٤] أى جزءاً عظيمـا منه وما بقى اختلط بـكثير من الآراء المتنوعـة والمذاهب المختلفة باخـتلاف الأهواء والأغراض والعقول فقد توخى كل من كتب منهم إنجيلا فى الأزمنة الأولى لتأييد غرض أو مذهب مخصوص أدته إليه معلوماته أو فلسفته كما سبق.

لذلك قال تعالى للنصارى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا

وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧] وقال في أهل الكتاب عموما ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨] وقال ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

ولعل الحكمة فى إرادة الله تعالى اختلاف آراء النصارى ومذاهبهم فى عقائدهم وغيرها هذا الاختلاف المعروف قبل البعثة المحمدية: هى إشباع العقول من كثرة البحث والتفكير (١) وتوسيع معلومات الناس وتكبير مداركهم وترقيتها بذلك حتى تتهيأ لقبول العقائد والتعاليم الإسلامية بعد تشويقها إلى معرفة الحقيقة وتطلبها الوقوف عليها حتى إذا عرفتها - بعد هذا التعب الشديد والضلال عنها وإن كانت سهلة كما هو شأن الحق دائماً - عضت عليها بالنواجذ وما فرطت فيها الزمة المحمدية تفريط من قبلها كبنى إسرائيل الذين أوحى إليهم الحق فلم يعرفوا قيمته .

---

(١) رفض النصارى لأحكام العقل

لما آلت إلى النصارى السلطة الدنيوية ورأوا أن البحث العقلى يؤدى الناس إلى رفض عقائدهم التى أكرهوهم عليها كما سيأتى حاولوا إخماد ميل الفطرة البشرية إلى ما تشرئب إليه فحرموا من قديم الزمان استعمال العقل فى مسائل الدين واعترفوا - ولا يزالون يعترفون - بانه لا يمكن للعقل البشرى إدراكها وأنه لا يجوز له رفضها وإن خالفته وناقضت أحكامه ولا أدرى كيف بعد ذلك يثبتون صحة أصل دينهم مع أن دلالة المعجزة على النبوة أساسها العقل؟ وليس هذا فقط بل كان رؤساؤهم يمنعون الناس من الاطلاع على كتبهم الدينية بأنفسهم قبل الإصلاح البروتستنتى لئلا يقفوا على عيوبها وتضاربها ومناقضتها للعلم والعقل فسدوا بذلك كل منفذ للبحث والتفكير بين أشياعهم ولكن لما أباح البروتستنت قراءة هذه الكتب بفضل ما وصلهم من دين المسلمين وكتبهم اشتغل الإفرنج بالبحث فى هذه الكتب وهم الآن على وشك أن يرفضوها كلها. وإن كان بعضهم قد نبذها فعلا وراء ظهره قبل الآن بقليل إلا أن المحامين عنها لا يزالون كثيرين!! ولله فى خلقه شؤون.

ولو ضلت الأمة المحمدية كلها عن الحقيقة وهى آخر الأمم لاحتيج إلى وحى جديد ولكن أراد الله أن يختم بمحمد النبوة لارتقاء البشر فى عهده وكفاية العقل والقرآن لهدايتهم فلذا كان ما كان وصان القرآن.

ولو أراد الله بقاء كتبهم للعمل بها إلى يوم القيامة كما يزعمون لصانها كما صان القرآن الشريف من التحريف والتبديل والضياع، ومع ذلك فقد أبقى الله تعالى فيها من العقائد الصحيحة والحكم والنصائح العالية ما فيه هداية للمفكرين، وما به إظهار كذب أهل الكتاب ودسهم على أنبيائهم ما لم يأتوا به وما لم يقولوه ولذلك نجد - إذا تأملت - ما دسوه قلقا مضطرباً لا يتفق مع تعاليم الأنبياء الأصلية كما سبق تفصيل بعض ذلك فى هذه الرسالة، ولكن لا يدرك كل الناس الفرق بين الحق والباطل فى هذه الكتب ولا يزالون فى أمرها مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم.

وما الأديان فى هذا العالم إلا كباقى الأشياء الأخرى قابلة للتبدل والتغير الذى به تسترد شبابها وقوتها. الا ترى أن الأشجار مثلاً تذبل وتسقط أوراقها كل سنة فى زمن الشتاء حتى تصير كالميتة، ثم إذا ذهب الشتاء انتعشت، وأورقت وأزهرت وأثمرت، وصارت أقوى وأبهج مما كانت، فلا يعيق ذلك الذبول المؤقت صحتها وقوتها بل تكتسب به شباباً جديداً فى كل سنة فكأنها تكتسب من الضعف قوة ومن الذبول والتغير صحة وشبابا ورقيا [1] فكذلك سنة الله فى الأديان وغيرها فهى وإن

(١) الوثنية والعقائد المسيحية

لما لاحظ القدماء ضعف الشمس فى زمن الشتاء وذبول الأشجار وسبات بعض الحيوانات أو موتها المجازى فى ذلك الفصل وبعبارة أخرى موت الطبيعة وجزئياتها التى كانوا يعبدونها اعتقدوا جواز الموت على الآلهة وقالوا إنه بسبب هذا الموت يحصلون على حياة أقوى وأرقى كما يسترد الإنسان قواه بعد النوم فلما عبدوا البشر واتخذوا منهم آلهة قالوا أيضاً بموتهم وقيامتهم (بعثهم) وارتفاعهم إلى سماء الكمال والجلال وتغلبهم على الموت الأدبى والحقيقى.

ومن ذلك نشأت عقيدة النصارى فى موت المسيح وقيامته وصعوده وتغلبه على الموت كما=

تبدلت وتغيرت فى بعض الأوقات إلا أن ذلك يكسبها قوة وتقدما ورقيا بنهوض العقل البشرى للبحث والتفكر فيها وبما يوحيه الله للناس من جديد فتعود إليها صحتها ويرجع إليها شبابها وتصير أحسن مما كانت بعمل الأنبياء والمصلحين الذين يكونون لها كالشمس والماء للأشجار .

= تتغلب الشمس والأشجار وغيرهما على موت الطبيعة (الكون) بعد أن تخضع له مدة الشتاء وهى ثلاثة أشهر، فجعل النصارى فى مقابلة ذلك مدة موت المسيح ثلاثة أيام لأنه أرقى من تلك الآلهة فتكون مدة خضوعه أقل لتناسب مقامه وعظمه ولكنهم حافظوا على أصل العدد (أى الثلاثة) ومما زاد رغبتهم أيضاً فى جعل هذه المدة ثلاثة أيام بدل ثلاثة أشهر وورود بعض عبارات فى العهد القديم أرادوا أن يجعلوها رمزاً أو نبوة عن مدة موت المسيح (راجع هوشع ٦ : ٢ ويونان ١ : ١٧ مع متى ١٢ : ٤٠).

وإلى ذلك المعنى السابق فى أصل هذه العقيدة أشار يوحنا (١٢ : ٢٤) فى إنجيله بقوله عن لسان المسيح «الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها ولكن إن ماتت تأتى بثمر كثيرومع ما فى ظاهر هذا المثل من الخطأ العلمى كما بيناه فى كتاب «دين الله» ص ٢٢٠. فإنه يدلنا على منشأ بعض أفكار النصارى وعقائدهم ولذلك جعلوا يوم ٢٥ ديسمبر - وهو يوم ميلاد الشمس عند الوثنيين أى انقلابها الشتائى أو رجوعها الظاهرى من عند مدار الجدى - جعلوه يوم الميلاد للمسيح (انظر رسالة الصلب ص ١٣٨) وجعلوا عيد قيامته فى أول الربيع وهو وقت قيامة الشمس والأشجار والحيوانات من موت الشتاء أى يوم عيد قيامة آلهة الوثنيين الذى يتغلبون فيه على سلطان الظلمة والبرد وموت الطبيعة فقالوا: إن المسيح تغلب فى نفس هذا اليوم على الشيطان وظلمة القبر وعلى الموت الروحانى والجسمانى فخلص هو نفسه من الموت الطبيعى وخلص أتباعه من الموت الروحانى وجعلوا قيامته فى يوم الأحد وهو يوم الشمس (Sunday) ايضا الذى كانت تعبد فيه. وقد أفاض علماء الأفرنج فى هذه المباحث وبينوا اشتقاق عقيدة النصرانية فى المسيح من تلك الأفكار الوثنية فانظر وتعجب !! «راجع مثلا كتاب الأصول البشرية» ص ٦٢ وكتاب «حكايات من العهد الجديد» لمؤلفة جولد ص ١٢٨ - ١٣٠ .

مصطلح الأب والابن فى القرآن!!

هذا وإنما استعمل الله لفظ (الأب) فى التوارة والإنجيل فى حق الله ولفظ (الأبناء) فى حق المخلوقين (كما فى مت ٥: ٩ ويو ٢٠: ١٧ وغيرهما) إذا صحت رواية اليهود والنصارى - ولم يستعمل ذلك فى القرآن لأن الناس كانوا فى تلك الأعصر الأولى صغار العقول حتى إنهم قل إن يفهموا شيئا بدون ضرب الأمثال والتشبيه لهم فلذا كثرت فى كتبهم [١] فلأجل أن يعرفوا أن الله رؤوف رحيم بهم محب لهم كما يحب الأب أبناءه، بل أكثر سماه أنبياؤهم لهم (أباً) وسموهم (أبناءه) ولكن بعد زمن المسيح بقليل أى بعد انقطاع الأنبياء من بينهم الذين كانوا دائما يحذرونهم من الوثنية، صار الناس يحملون كلا من لفظ (الأب) و (الابن) على معناه الحقيقى وادعوا (كما فى كتابات بوستينوس الشهيد [٢] المتوفى نحو سنة

---

(١) ومن ذلك قولها استراح الله، وحزن، ونزل، ومشى، وصارعه يعقوب، وقاومه الخ الخ.

(٢) بوستينوس الشهيد

كان (بوستينوس) هذا يونانياً خاضعاً للرومان ووثنياً وبعد دراسة طويلة للفلسفة اليونانية اعتنق المسيحية مصبوغة بالصبغة اليهودية واليونانية لأن أكثر آرائه الفلسفية كانت مستمدة من كتابات (فيلو) اليهودى الإسكندرى وللاطلاع على أقواله فى ولادة الله تعالى ابنه قبل جميع المخلوقات راجع كتاب «دين الخوارق» فى الإنكليزية ص ٤٥٦ - ٤٦٠ والحق أن هؤلاء الوثنيين المتنصرين هم الذين حملوا إلى المسيحية وثنيتهم القديمة فبدلوا دين المسيح الحق وأفسدواه ومنهم انتقل إلى ذراريهم محرفاً مبدلا فاسداً .

إكراه الناس على النصرانية

واعلم أن أول من أخذ بعقيدة الثالوث من قياصرة الرومان هو (ثيودوسيوس) (TheodoSius) الذى جلس على سرير الدولة سنة ٣٧٩ ومات سنة ٣٩٥ ومنذ جلوسه أخذ فى إكراه الناس على هذه العقيدة إكراهاً شديداً حتى زال التوحيد الحقيقى من بين النصارى، وهو الذى كان فاشياً وقتئذ فى نفس عاصمة الدولة (القسطنطينية).

وبعد موته مباشرة انقسمت الدولة بين ولديه إلى قسمين ، وفى سنة ٤٧٦ ضاع القسم الغربى من دولة الرومان وانتهى أمره. فنرى من هذا أن النصرانية الحالية لم تنتشر بسرعة بين الناس =

١٦٦ ميلادية وغيره كثيرون) أن الله تعالى ولد (الابن) ولادة حقيقة أى أنه جزء خرج منه! وفهموا ما جاء فى سفر المزامير (٢:٧) ورسالة العبرانيين (١:٥)[1]

=كما يزعم المبشرون ولم تدخل عقيدة الثالوث رسمياً فى الدولة الرومانية إلا فى أواخر القرن الرابع مع وجود أمثالها عند كثير من الأمم الوثنية ولم يكن انتشارها بين النصارى الأولين إلا بالإكراه والجبر الشديد، ومنذ دخول هذه النصرانية فيهم أخذت دولتهم فى الضعف والاضمحلال كما قلنا حتى تلاشى قسمها الغربى سريعاً بعد ذلك ثم تلاشى القسم الشرقى أيضا بأخذ المسلمين (القسطنطينية) سنة ١٤٥٣.

ولولا قوة الدول الأوروبية الآن التى بلغتها بأسباب عمرانية اجتماعية عديدة متنوعة لما قامت لهذه العقيدة قائمة، ومع ذلك ترى أكثر العلماء فى أوربا الآن قد أصبحوا ينبذونها نبذ النواة ويسخرون منها ومن معتقديها الذين جلهم من العامة أو من رجال الدين الذين لا صناعة لهم إلا الاحتراف به.

(١) معنى ولادة الله

إن شئت أن تعرف ماذا كان كتبة العهدين يريدونه فى أكثر المقامات (بالولادة من الله) فاقرأ مثلا «بع ١:١٨وا يو ٤:٧ و٥:١ و٤و٥و٣:٩و٥:١٨و١٩وا بط ١: ٢٢و٢٣ وإنجيل يوحنا ١:١٢و١٣) ومن أكبر المصادمات للبداهة العقلية فى عقائد النصرانية (وكلها مصادمات) قولهم من غير أن يستندوا على شئ من كتبهم المقدسة إن أقنوم الابن قديم ممتاز عن الأب امتياز الأشخاص بعضها عن بعض منذ الأزل ثم قولهم بعد ذلك كما فى كتبهم إنه مولود منه قبل جميع المخلوقات (كو ١:١٥ ومى ٥:٢) فلو كان امتياز شخصه أزلياً لما كان مولوداً ولو كان مولوداً لما كان له وجود مستقل بشخصه منذ الأزل!! وإلا فما معنى الولادة إذاً وكيف تكون منذ الأزل؟ وما معنى «اليوم» فى قول كتبهم (أنا اليوم ولدتك) فإن كان شخصه مستقلا أزليا فكيف ولد فى ذلك اليوم؟! وما معنى خروجه منذ الأزل كما قال ميخا (٥:٢) أفلم يكن فى الخارج ثم خرج؟ وإذا جاز ذلك فكيف تكون ذات الله عندهم غير قابلة للتفرق والانقسام؟ وكيف يبقى بعد ذلك جوهر الابن وجوهر الأب واحدا؟

(راجع أيضا كتاب دين الله ص ٥٠) وإذا كان الابن قديما والله أب له منذ الأزل فكيف قال بولس عن لسان الله فى حقه (عب ١:٥) «أنا أكون (أى أصير) له أبا وهو يكون لى ابنا» كما قال ذلك بعينه فى سليمان (٢ صم ٧:١٤) وكيف يقول بولس أيضا (عب ١:٤) (صائرا أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسما أفضل منهم) فهل مثل هذا الكلام يليق أن يقال فى حق الله تعالى وهل تصح مقارنته بالملائكة وإظهار أيهما أفضل؟!=

ونحوهما فهماً خطأ ولهم فى ذلك سخافات اتصلت إليهم بعد أنبيائهم من الوثنيين

= الأناجيل ووحدة الوجود

ألا يدل ذلك وغيره كما قلنا سابقا على أن كتبة العهد الجديد ما كانوا يعتقدون ألوهية المسيح «الحقيقية» بل ولا وجوده منذ الأزل بمعنى أنه لم يسبق بعدم إلا إذا كانوا يريدون أن جميع المخلوقات صادرة عن ذات الله تعالى أى أنها جزء من جوهره كأصحاب القول «بوحدة الوجود» (Pantheism) وذلك حقيقة هو ما يفهم من كثير من نصوص كتبهم إذا قورنت معا مثل (كو ١ : ١٥ ورؤ ٣ : ١٤ وأف ٤ : ٦ و ١ كو ٨ : ٦ و ١٥ : ٢٨ وأ ع ١٧ : ٢٨ ورو ١١ : ٣٦ وغيرها) وبناء عليه يكون لفظ الولادة فى اصطلاحهم مرادفاً للفظ الخلق فى هذا المقام ويكون المسيح فى اعتقادهم هو أول المولودات أو الأنباء أو المخلوقات على حد سواء وهو وحيد (يو ١ : ١٨) فى الأولية والعظم والمقام والقدرة وغير ذلك مما أوتيه دون سائر العالمين على ما يزعمون، فكأن الأبناء الآخرين (تك ٦ : ٢ و٤ وتث ٣٢ : ١٩ و ٢٠) لا يعدون بجانبه شيئاً لأنه هو خالقهم المسيطر الذى سلطه الله عليهم جميعا كما يدعون (مت ٢٨ : ١٨ ويو ٣ : ٣٥ و ١ كو ١٥ : ٢٧).

وعندهم من هذا القبيل أيضا تسمية إسحاق فى التوراة بابن إبراهيم «الوحيد» (تك ٢٢ : ٢ و ١٦) مع وجود ابنه الآخر إسماعيل ولكنه ابنه من هاجر جارية سارة التى طردتها واعلم أن أمه مريم لم تسم «أم الله» (Theotokos) إلا منذ زمن أوريجانوس أى فى القرن الثالث. وقد حارب هذه الفكرة فى القرن الخامس كل من القس (أناسطاسيوس) و (نسطوريوس) أسقف القسطنطينية ولكن لا يزال بكل أسف هذا الاسم مستعملا إلى الآن عند الكاثوليك الذين يصلون لها ويعبدونها إلى اليوم!! (راجع كتاب «الحقيقة عن يسوع الناصرة» ص ٩٩ و ٢١٠).

عبادة المسيح

قال بعض ظرفاء اليهود من الأفرنج : «لم لا يتيه اليهود عجباً على سائر الأمم ونصف العالم المتمدن يعبد يهودياً والنصف الآخر يعبد يهودية؟!» فليضحك القارئون! ولكن من تذكر أن الناس عبدت الحجر والشجر، لا يعجب من عبادتهم البشر، فان وثنية هؤلاء لا شك أنها أرقى من وثنية أولئك فليهناوا بها وليبقوها لهم ليعرض الموحدون عن الضحك منهم، ولازدراء عقولهم، فيريحون، ويستريحون، وإلا فليبشروا بالخيبة والفشل فى إجابة دعوتهم إلى يوم القيامة، فإن عقول البشر الآن ليست كما كانت فى أزمنة الجهل والغفلة.

أنا اليوم ولدتك

وجاء فى إنجيل لوقا (٣ : ٢٢) أن الصوت الذى سمع من السماء بعد معمودية عيسى هو =

والفلسلفات الأجنبية كفلسفة (سقـواط) و(أفلاطون) اللذين قالا بعقيدة (الكلمة) قبل

= «أنت ابنى الحبيب سررت» وفى إنجيل العبـرانيين زيادة هذه العبارة «وأنا اليوم ولدتك» ونقل يوستـينوس هذا الصوت عن الـكتاب الذى كان فى زمنـه يسمى «مذكـرات الرسل» هكذا «أنت ابنى أنا اليوم ولدتك» وذكر القديس أوغسطين (المتوفى سنة ٤٣٠) أن بعض نسخ إنجيل لوقا فى زمنه كـانت فيها أيضـا العبارة هكذا (٣:٢٢) «أنت ابنى أنا اليـوم ولدتك» بدل قوله الموجود الآن «أنت ابنى الحبيب بك سررت» ولا تزال العبارة الأولى توجد بصورتها المذكورة هنا فى نسـخة بيـزا (Bezae) وفى الترجمـة الإيطالية القديمة توجد عبـارة تقرب منها فى المعنى.

فمن ذلك يعـلم أن العبارة كـانت فى الإنجيل كـما نقلهـا يوستينوس عن «المذكـرات» ولكن لما استدل بها الموحدون مِنَ النصارى عـلى أن المسيح ليس أزليا بدليل القول (أنا «اليوم» ولدتك) - الذى كان فى نسخ إنجيل لوقا القديمة وفى الأناجيل الأخرى الأولية وهو يفيد ولادته فى يوم المعمـودية لا منذ الأزل كمـا يزعمـون - كره النصارى المثـلثون هذه العبـارة وأبدلوها فى الإنجيل بقولهم «أنت ابنى الحبيب بك سررت» (راجع كتاب دين الخوارق ص ٢٠٢ و ٢٠٤) فـإن قيل إذا صـح قولك هذا أن أصل الـصوت كـان فى الأناجـيل «أنت ابنى، أنا اليـوم ولدتك» كما فى رسالة بولس إلى العبرانيين ١ : ٥.

فلماذا حرفوه فى الأناجيل ولـم يحرفوه فى هذه الرسالة؟

قلت: لما كانت هذه الرسالة مكتوبة للعبرانيين (أى اليهود) كان الغرض من ذكر هذه المسائل فيـها بيان نبـوات العهد القـديم الواردة فى المسيح الذى كـان ينتظره اليهـود وتطبيقـها على عيـسى، كمـا هو ظاهر من الأصحاح الأول مـن هذه الرسالة، وجملة «أنـا اليوم ولدتك» الواردة فى هذا الأصحاح المراد بها الإشارة إلى ما فى المزمـور (٢ : ٧) فإذا حرفها النصارى فى هذه الرسالة ضاعت قيمتها لأن لليـهود حيتئذ أن يقول لهم «إن هذه الجملة لا وجود لها فى كتـبنا فهى ليست حـجة علينا لأنها مـن اختراعاتكـم» فلذا تركها النصـارى فى الرسالة العبرانية وحرفوها فى الأناجيل لأنها فيـها ليست إشارة إلى هذه النبوات القديمة ولو حذفوا هذه العبارة من الرسالة بالمرة (وكان هذا العمل فى الحقـيقة خيرا لهم من إبقائها لو أمكنهم) لقال اليـهود إن المزمور الثـانى عندنا هو من أهم النبوات عن مسـيحنا فأرونا أيهـا النصارى كيف تطبقونه على مـسيحكم؟ وأيضا ربما أن هذه الرسالة كانت كثيرة التـداول بين العبرانيين المتنصرين وغيرهم من الفـرق الموحدة وهؤلاء ما كانوا يعتقدون فى المسيح الألوهية الحـقيقية فلذا لا يهمـهم تحريفهـا بأنفسهم فى هذا الموضع ولو حـرفها لهم آخـر فيه بالحـذف لخاف الفضيحة منهم واتضح لهم أمره وغشه. =

المسـيح بقرون كـما اعتـرف بذلك (يوستـينوس) نفـسه فى بعض كـتبه وإن كـانت عقيدتهما طبعا أبسط من عقيدة النصارى المعروفة.

وقد كان الرومانيون وغيرهم يعبدون بعض قياصرتهم فى حياتهم ويؤلهونهم بعد موتهم (راجع ص ٤٤ من كتاب «التوارة غير موثوق بها» لمؤلفه ولتر جيكل Walter-jekyll وكانت عبـادة البشر [1] وتأليههم شائعـة فى المملكة الرومانية فى ذلك الزمن كما يفهم ذلك أيضا من نفس سفر الأعمال (١٢ : ٢٢ و ١٤ : ١١و٢٨ : ٦) .

= المسيح النجار

وكان بعض النصارى فى بعض القرون الأولى يكرهون أيضا وصف المسيح بأنه نجار كما فى إنجيل مرقس (٦ : ٣) فحذفوا ذلك منه فى كثـير من النسخ حتى كان «أوريجانوس) فى القرن الثالث يقول: إن المسيح لم يسم نجارا مطلقا فى أى إنجـيل من الأناجيل التى كانت مستعملة فى الكنيـسة فى زمنه، وكذلك توجـد بعض نسخ خطية من إنجـيل مرقس خـالية من هذه التسـمية ولكنها توجـد فى جميع ما عـثروا عليه من النسخ الأقـدم من هذه النسخ الخطية المحذوف منها هذا الاسـم (انظر كتاب «دين الخوارق» فى الإنكليزيـة ص ١٩٩) فيعلم من ذلك ومما تقدم كله: أن نسخ كتـبهم كانت قليلة جداً لا توجـد إلا عند بعض الرؤساء حتى باعتراف متعصبيهم (انظر مثلا «كتاب علم الأعلام فى حقيقة الإسلام» ص ٦٥) وأنهم كانوا فى كل عصـر يتصرفـون فيها بحـسب ما يبدو لهم من الآراء والأهواء، إلا إذا خـافوا فى بعض المواضع الشهيرة جداً أن يفتضح أمرهم فيتركونها زمنا ما وهم على مضض منها حتى تتيـسر لهم فـرصة لإزالتهـا وتحريفـها سرا أو تدريجـاً ، فلا حول ولا قـوة إلا بالله العلى العظيم.

(١) عزير واليهود

لذلك لا تستبعد على يهود العرب أنهم كانوا يعتقدون أن عزيرا (أو عزرا) هو ابن الله تعالى كمـا حكاه القرآن الشـريف عنهم (٩ : ٣٠) فقـد كان (فيلو) اليـهودى الإسكندرى المعـاصر للمسيح وهو من أكبر فلاسفتهم يعتقد أن لله ابنا هو كلمته التى خلق بها الأشياء كما سبق. فلذا قال القرآن الشريف - بعد أن حكى عنهم قـولهم فى عزرا - «يضاهئون (أى يشابهون) قـول﴿ **قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ**﴾ولا تنس ميلهم القـديم للكفر والارتداد وعبادة الآلهة الباطلة من قديم الزمان كما تشهد به كتبهم» (راجع أيضا كتاب دين الله ص ٣٩).

الله وتصوير القرآن له

فلما فشا في الناس ذلك المعنى الضار في الأب والابن بتأثير الوثنية أبطل الله هذه الاستعمالات المجازية في القرآن الذى هو آخر الكتب بعد أن حصل الناس على الغرض منها وأصبحت لا فائدة فيها لهم سوى أنها قد تجر بعض سخفاء العقول كما جرتهم من قبل إلى الغلو فتوقعهم في الشرك والوثنية مرة أخرى بعد ختم الوحى والنبوة فلذا استبدلها الله تعالى باستعمالات أخرى أقرب إلى الحقيقة، وأبعد عن الضرر، وتكفى الناس في ذلك الزمن لفهم المراد ما كفتهم تلك في الأزمنة الأولى والبشر في طور الطفولية، فبين تعالى في كتابه العزيز أن الله رؤوف، رحيم، ودود لعباده، وأنه يحبهم ويحبونه (قرآن ٣ :٣١و ٥ :٥٤ و١٦ :١٨ و٨٥: ١٤وغير ذلك كثيرا) وأنه وليهم (٢ :٢٥٧) وهم أولياؤه (١٠ :٦٢) وبدأ كل سورة منه ببسم الله الرحمن الرحيم.

وبين رسوله أن الخلق عياله، وأنه أشفق عليهم وأرحم من الأم بولدها؛ وبذلك ونحوه حصلوا على فهم ما فهمه الأولون من الأب والأبناء بدون أن يلحقهم ما لحق أولئك من الشرك والوثنية، فإن البشر في زمن البعثة المحمدية كانوا أرقى ممن سبقهم فكانت تكفيهم كما قلنا هذه العبارات لفهم المراد من محبة الله لهم بدون تشبيه ولا تمثيل. ولا تنس أن محمداً هو خاتم النبيين وأمته أرقى الأمم فلذا تركت هذه الاستعمالات المجازية في القرآن لعدم حاجة البشر إليها في فهم المراد ولأنه إذا وقع بعضهم بسببها في الوثنية تعسر إبعادهم عنها بعد ختم الوحى والنبوة.

هذا وفي قول القرآن الشريف ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [بينة: ٨] وقوله ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٣] من التكريم الإلهى والتحبب واللطف ما لا يخفى على متأمل، فكأن الله تعالى ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ﴾ [الروم: ٢٧] ساوى عباده به حتى صار يطلب رضاهم عنه وحبهم له كما يطلبون هم ذلك منه، وهو الذى بدأ - كما في هذه الآيات - بالرضا عنهم والحب لهم.

فأى رفع لنفوس البشر وجذب لقلوبهم - بعد أن أماتها الشرك والوثنية - أكبر من ذلك؟ فهم وإن كانوا عباده إلا أنه لا يعاملهم معاملة السيد لعبيده بل معاملة الأخلاء بعضهم لبعض كما هو ظاهر من عبارات القرآن هذه، وهى لا شك أدعى لرفع نفوس الناس وتشريفهم وجذب قلوبهم إلى الله تعالى من قول الإنجيل (أبانا الذى فى السموات) فإن الفرق بين درجة الأب مع ابنه، ودرجة النظير مع نظيره لا يحتاج لتوضيح.

وقول القرآن: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقوله ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[ق:١٦] ليس كقول الإنجيل هذا أنه فى السموات إذ دلالة الأول على القرب لا تقارن بدلالة الثانى عليه، وشتان بين من يدعو الذى فى السموات وبين من يدعو الذى هو أقرب إليه من حبل الوريد، وفرق بين النصرانى الذى ينتسب إلى الله ويقول إنه أبوه وبين المسلم الذى يتقرب إليه الله نفسه ويقول له: إنى أقرب إليك من أجزاء جسمك الداخلية، ويخاطب نفسه بقوله لها ﴿ارْجِعِى إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِى فِى عِبَادِى (٢٩) وَادْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٨ , ٣٠].

أما قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ [المائدة: ١٨] فليس المراد به إنكار تسميتهم أبناء الله بمعنى أحبائه بل المراد إنكار اختصاصهم بذلك - كما ادعت اليهود والنصارى وبعناية الله وبالوحى والنبوة والخير الأكبر وغير ذلك دون سائر العالمين فبين تعالى لهم أنهم عنده كسائر الناس خصوصا فى زمن البعثة المحمدية التى ساوت بين جميع العالمين، وإن كانوا فضلوا فى بعض الأشياء وفى بعض الأوقات عن غيرهم، إلا أن ذلك لم يكن لكل زمان ولا فى كل شئ، ورد عليهم دعواهم المحبة لله بأنهم يعصونه، والمحب لمن يحب مطيع فهم كاذبون أيضا فى دعوى محبتهم له، ولو كان لهم عنده مزية على غيرهم لما ساوى بين

الناس جميعا فى العـقاب الدنيوى والأخروى، ولذلك قال ﴿يُعَـذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة: ١٨] أى كباقى الناس.

فالمراد أن الخلق كلهم عـياله تعالى وأنه محب لهم جـميعا ولم يبق مـزية لكتابى على جـاهلى ولا لأبيض على أسـود ولا لعربى على عـجـمى بل الكل عند الله سواء ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ويجوز أن مذهب «وحدة الوجود» كان فاشـياً فى نصارى العرب ويهودهم كما كان فاشياً فى أسلافـهم الأولين فيكون مرادهم بقولهم إنهم أبناء الله أنهم مولودون منه حقيقة أى أن ذواتهم هى من ذات الله تعالى، فكذبهم القرآن فى هذه الدعوى وبين أنهم مخلوقـون محدثون هم وسـائر الناس بقدرته وصنعـه لا مولودون منه، فيـجوز عليـهم كل ما جاز علـى سائر الأحيـاء المخلوقة كـالآلام والذل والعذاب وغيره، ولا يعقل أن الله يهين نفـسه ويعذبها لو صح قولهم إن ذاتهم هى من ذات الله تعالى، بل له ملك السموات والأرض بالقهـر والإيجاد لا بكونهما أجزاء منه. والوجه الأول - عندنا - أقرب إلى ظاهر الآية فإن المتـبادر منها أن العطف فى قوله (نحن أبناء الله وأحبـاؤه) هو للتفسير، فـمقصودهم أنهم وحـدهم أحب الناس إليه كأنهم أبناؤه لأن ولد الإنسان أحب إليه من كل من سواه كما لا يخفى.

واعلم أن الله تعالى منزه عـن الانفعالات النفـسية والجولات الـفكرية والتأثرات القلبية ونحوها من صفات الحوادث فوصفه تعالى بالحب والرأفة والرحمة وغير ذلك هو أيضاً لا ينطبق تماما على صفاته القديمـة وإنما هى ضرورة التعبير ألجأتنا إلى هذه الألفاظ ونحوها لنفهم منها فضله علينا.

معنى حب الله عندنا

أما الحب عندنا فى جانب الله فمعناه [(١)] إفاضته الوجود وما يلزم له من النعم العديدة التى لا تحصى على جميع المخلوقين ولو كانوا به كافرين مشركين، ودوام هذا التفضل والإنعام على عباده المؤمنين إلى الأبد من غير أن يعود عليه تعالى أقل نفع له منهم جميها أو أدنى فائدة ترتجى له إذ هو الغنى عن كل ما سواه المفتقر إليه كل من عداه ، قال تعالى ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨] فحبه تعالى يمتاز عن حبنا فى كونه صفة أزلية له تعالى وإن تعلق بالموجودات بالفعل فى وقت وجودها فهو كباقى الصفات الأخرى فإن تعلقها بالحوادث هو فى غير الأزل مثل القدرة على الخلق، وأيضا فحبه أكبر وأعظم لأنه يهبنا مالا يقدر على هبته لنا غيره، ولا يشوب حبه هذا أدنى شائبة من الحاجة إلينا أو المنفعة - كما قلنا - لا كالمعتاد الغالب فى حبنا مهما خلص، وهو يشمل جميع مخلوقاته حتى أعداءه منهم، بالمعنى الذى بيناه هنا وهو دائم أبدا لعباده المؤمنين الذين يمدهم بالخير العظيم، والفضل العميم، والإحسان الكبير، من غير أن يكون شئ من ذلك واجبا عليه تعالى بل هو كله محض فضل منه ورحمة، وأيضاً فقد ينشأ عن حب بعضنا بعضا شئ من الضرر كحب الأم الجاهلة لولدها حتى تمنعه من كل عمل فيه مشقة ولو كان نافعا أو ضروريا، وأما حب الله لنا فهو خال من كل ضرر ولا ينشأ عنه إلا النفع المحض، والله تعالى عندنا غفور رحيم للمذنبين مهما كثرت جرائمهم بشرط التوبة الصحيحة بدون انتقام ولا سفك دم، ولا يكلف الإنسان ما لا يطيق.

---

(١) المنار: هذا التفسير غير ظاهر والصواب أن كل ما أطلق على البارى تعالى من الصفات يوصف بها الناس والأفعال التى تسند إليهم فإنما تفسر مع التنزيه بروح المعنى المستعمل فنفهم من حبه للصالحين من عباده أنه يعاملهم معاملة المحب لمحبوبه من الرعاية والعناية التى يميزهم بها على الكفرة الفجرة الذين جحدوا فضله وخالفوا شرائعه وسننه مع تنزيهه عما لا يليق به كما أشار إليه الكاتب فحبه تعالى لخلقه شان من شؤونه اللائقة بما يترتب عليها مما ذكر فهو أخص من الفضل العام.

معنى الحب عند النصارى

أما أرقى أنواع الحب عند النصارى فهى التى تؤدى إلى الانتحار لخلاص الناس (انظر مثلا كتاب «صدق المسيحية» لمؤلفة ترتون ص ٢٨٣) ولكن مثل هذا الحب هو من شأن الضعفاء العاجزين المختلين الذين لا يقدرون على خلاص محبوبهم فلذا ينتحرون والله أقدر من ذلك وفوق ذلك، على أن مثل هذا الحب مشاهد بين الناس، فكثيراً ما ينتحر العاشق فى سبيل معشوقه، والأم لأجل ولدها مثلا، فحب الله على قولهم هذا لا يمتاز عن الحب المعتاد بين ضعاف المخلوقين وشرارهم.

سبب فشو الانتحار والخمر

ولعل من أسباب كثرة الانتحار بين الأفرنج : هذه العقيدة إذ من مقتضاها أن الانتحار ليس بعار ولا عيب فيه، ما دام ربهم نفسه قد ارتكبه ولو أن الحامل له عليه غير الحامل لأكثرهم، ولكن الانتحار على كل حال هو مظهر من مظاهر اليأس والضعف والجبن وقلة العقل والحيلة تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً. (لاحظ أيضاً أن إلههم هو الذى أباح لهم شرب الخمر وشربها معهم وناولهم إياها بيده كما سنبينه (مت ٢٦: ٢-٢٩ ومر ١٤: ٢٣ - ٢٥ ويو ٢: ١-١١) (راجع كتاب دين الله ص ٩٨) فلذا فشا فيهم الانتحار وشرب الخمور وهما من أكبر الموبقات ومع كل ما تقدم فالله تعالى باعترافهم لم ينتحر هو نفسه لخلاصهم بل ضحى (بالإنسان يسوع) الذى أكرهه على ذلك إكراهاً كما بيناه فى مقالة الصلب وغيرها وظلمه وهو برئ ولم يشفق عليه ولم يرحمه كما قال بولس (رومية ٨: ٣٢) فأين الثريا من الثرى وأين السماء من الأرض؟ فإذا لم يحمل الناس على حب الله خلقه لهم وتفضله عليهم بجيمع أنواع النعم الصغيرة والكبيرة وهدايته لهم بدون مقابل ورحمته بهم وعفوه عنهم بلا انتقام وعدم تكليفهم ما لا يطيقون فهل يحملهم على حبه صلبه البرئ (يسوع) لأجل خطيئة آدم وخطيئتهم وهم لم يقعوا فى العصيان إلا بعلمه

وإرادته وتقديره؟ ومهما بالغ بعضهم فى إرادة الإنسان واختياره فإن ذلك مخالف لما فى كتبهم (راجع يو ١٢: ٣٩ - ٤١ ورو ٩: ١٧و١٨و١١ :٧و٨و١٢: ٣ وخر ٤: ٢١و٩: ١٢و١٠: ١ و ١ صم ٢: ٢٥ ورتث ٢: ٣٠ واش ٦: ١٠ ويشوع ١١: ٢).

عقيدة الفداء والرد عليها

وقد كان يمكنه أن يمنع وقوع الإنسان (آدم) فى هذه الخطيئة أو يمنع نسله من التأثر بخطأ أبيهم الذى أدخل بزعمهم الخطيئة فى العالم كما قال بولس (رومية ٥: ١٢) مع أنه لولا خلقه آدم بطبيعته ميالا من قبل للشر والعصيان لما عصاه وخالف أمره (راجع رسالة الصلب ص ١٢٣ - ١٢٥) ولو أراد أن ينجيهم من العقاب تفضلا منه ورحمة لما عارضه أحد ولما نافى ذلك عدله كما يزعمون وإلا فهل صلب البرئ بدون إرادته فداء للمذنبين هو الذى لا ينافى ذلك العدل الذى ما فهموه؟ (راجع ص ١١ - ١٣ من كتابنا «دين الله») وهل إيقاعهم فى العصيان بخلق آدم ميالا للشر وخلقهم كذلك ومؤاخذتهم بذنبه وذنوبهم (انظر مثلا تك ٣: ١٥ - ١٩) وعدم العفو عنهم مطلقا إلا بسفك الدم هو الذى يحملهم على حبه؟ ولا يحمل المسلمين ما ذكرنا على حب الله الرؤوف بهم الرحيم المنعم عليهم بكل شئ الغفور لذنوبهم جميعا بدون سفك دم أحد متى صحت توبتهم ورجعوا إليه وحده مستغفرين خاضعين مطيعين، وهو الذى لا يسأل أحداً منهم إلا عما اكتسبته يداه، فتأملوا فى ذلك أيها العاقلون واحكموا بيننا وبين القوم الظالمين.

وليس غرضنا بما قلنا البحث معهم هنا فى (مسألة القضاء والقدر) فقد وفيناها حقها فى بعض أعداد المنار السابقة (م ١٠ ص ٧٣١) وإنما الغرض مقارنة العقيدتين وبيان أيهما أشد حملا للناس على حب الله وإذا كان المسيح باعتبار ناسوته من نسل آدم لأنه مولود من مريم ومتكون فى رحمها من دمها فهو كباقى أولاد آدم واقع فى الذنب فهو أيضا يحتاج إلى الكفارة مثلهم وإذاً يكون غير طاهر ولا معصوما من الذنوب كما تزعمون لأنه «ابن الإنسان» الخاطئ وناسوته مخلوق من

مريم بمقتضى التولد الجثماني وإن كان لم يتلوث بذنب آدم فلم تلوث غيره (رومية ٥: ١٢و١٧ و ١ كو ١٥: ٢١ و٢٢).

وكلنا من نسل آدم وطبيعتنا هي من طبيعته؟ وإن كان الله طهره من الخطيئة بحلوله فيه فإذا يجوز التطهير من الذنوب بدون سفك الدم وهو خلاف ما تدعون، وإن كان حلول الابن مطهرا من ذلك فَلِمَ لم يطهركم حلول روح القدس فيكم وكلكم هيكل الله الحي كما يقول لكم بولس (١ كو ٣: ١٦ وأف ٤: ٦ وراجع أيضا أ ع ٢: ٤).

فإذا كان حلول الله أو أحد أقانيمه في الإنسان مطهراً له من الذنوب فأية حاجة إذاً إلى صلب المسيح؟ ولِمَ لم يجعل الله موت شهدائهم الكثير بزعمهم كفارة عن باقي النوع الإنساني وكلهم ممتلئون من روح القدس (رو ٥: ٥).

وإن قيل إنه باعتبار ناسوته واقع مثلنا في خطيئة آدم ولكن صلبه وهو ابن الله كاف لتكفير الخطيئة عن جميع بني آدم وهو من ضمنهم، قلت: إن كان صلبه باعتبار أنه إله جاز على الله الموت والألم والجزع والاستغاثة بغيره والضعف، وغير ذلك مما أظن أنكم تنزهون الله تعالى عنه وخصوصا بعد قول المصلوب (إلهي إلهي لماذا تركتني) وإن كان صلبه باعتبار أنه إنسان فهو خاطئ مثلنا بمقتضى طبيعته البشرية فكيف لا يكون موته مكفراً عنه وحده ويكون ما ينال كلا منا في هذه الحياة من المشاق والأحزان والموت أو القتل وغير ذلك كفارة له عن ذنبه وقد كان أصل العقاب على ذنب آدم (كما في سفر التكوين) الموت والألم والتعب وعداوة الشيطان أو الحية ونحو ذلك (تك ٢: ١٧ و ٣ : ١٣ - ١٩) وكل هذه الأشياء واقعة بنا وباقية علينا إلى الآن.

وإن كان لابد من سفك الدم فهي دعوى لا دليل لكم عليها ولم يكن موت المسيح بسفك دمه وذبحه بل إن ما فاض منه من مسامير الصلب لم يكن هو السبب في الموت كما بيناه في كتاب دين الله (ص ٥و١٢) وفي رسالة الصلب (ص ١٢٨ - ١٣٠) ولِمَ لم يزل عن الإنسان ذلك القصاص بعد الصلب؟! وإذا كان الله

لا يكتفى بما حل ويحل بالإنسان فى هذه الحيـاة من المصائب والبلايا والموت والقتل وغيـره ويصر على الانتـقام منه فى شـخص أحد أفراد هذا النوع (المـسيح) الذى حمله من أنواع الإهانات والفظائع مـا جعله يستـغيث به فلم يغثه ولم يرحـمه (لو ٢٢ : ٣٩ - ٤٦ و روميـه ٨:٣٢) مع أنه اتخذه له ابنا وحل فـيه وإذا كـان أيضا لا يكتـفى بحلول روح القدس فـى الناس لتطهيـرهم ولا بتـوبتهم واسـتقـامتـهم ولا باستشهاد كثير منهم فى سبـيله إلا بعد سفك دم عيسى ويحب الضحايا البشرية من قديم الزمان ويتقـبلها من مقربيها له (قض ١١ : ٢٩ - ٤٠) ويأمر أنبـياءه وأتباعهم بسفك دماء مـا لا يحصى من الحيوانات (انظر مثـلا ١ مل ٨: ٦٢ و ٦٣) وقتل ما لا يعد من البشر (تت ٢٠: ١٦) ويسر برائحة المحرقات (لا ١ : ١٧) .

إذا كانت كل هذه صفات إلههم فهو مـجرد من كل رحمة وشفقة وحنان وعدوّ للإنسان والحـيوان! حتى أنه ندم على خلـقه الإنسان (تك ٦:٦) لشـدة غيظه منه، وبغضه له، وخـوفه منه (تك ٣:٢٢ و ١١:٦) فكيف يمكن للإنسان أن يحـبه بعد ذلك كله؟ مع أن الله وهو أقـدر منا طبـعـا لم يحب الإنسـان ولم يرحم إلا بعض أفراد هذا النوع بعد أن شبع وروى من الدمـاء التى تملأ الأنهار!! فهل يا قوم هذه العقـيدة [1] هى التى تدعون أنها الطريقة الوحيـدة لإظهار محبة الله للإنسان وهل هذا إله محبـة كما يسميه يوحنا (١ يو ٤:١٦) وهل كل هذه الأشـياء التى صدرت منه ضد الإنسـان تحملنا على حبنا له ولا طريقـة تحملنا على حبه غـيرها؟ إن هذا لشئ عجيب.

(١) كان من أثر هذه العقيدة فى نفوس أتباعها أن الأفرنج أغرقوا فى حب سفك دماء مخالفيهم فى الدين أو المذهب لـعلهم يرضـون بذلك إلهـهم هذا ويريـحـونه من أعـدائه هؤلاء فى زعمهم ويـسرونه برؤيته لدمائهم مـسفوحة تتـدفق كالأنهار على وجه الغـبراء لأنه لا يمكنه العفو عن أحد إلا بسفك الدماء، فأنعم به من إله رؤوف رحيم!!

كلمة فى عدل الله

يظن النصارى أن العدل معناه وجوب معاقبة المذنب على ذنبه، والحق أن العدل معناه «المساواة» فإذا ساوى تعالى بين جميع عباده فى معاملته لهم بأن غفر مثلا لجميع المذنبين وزاد - فى مقابلة ذلك - فى أجر المحسنين فهو لا شك عادل لغةً وعرفاً وعقلاً وكذلك إذا وفى كل مخلوق حقه تماما بلا نقص فى الأجر ولا زيادة فى العقاب عما يستحقه كل شخص، ولا ينافى العدل بعد ذلك أن يزيد فى الثواب أو أن ينقص من العقاب بمقتضى فضله ورحمته (راجع كتاب «دين الله» ص ١١-١٣) على أن صفة العدل لا تنطبق على موجد الوجود من حيث تخصيص كل موجود بما خصه به فى الأزل وإلا لساوى بين جميع الموجودات فى كل شئ ولو فعل ذلك لما وجد «هذا» العالم فإن التفاوت بين أجزائه ضرورى لكيانه وجماله، ولكن هذه الصفة تنطبق عليه من حيث الفصل بين الناس بالحق ومجازاة كل بحسب عمله بعد أن اختص كل موجود بما اختصه به من الظروف والبيئة والأحوال والوراثة ونحو ذلك مما له التأثير الكلى على الإنسان فى جميع حركاته وسكناته «فإنه فى الحقيقة مضطر فى صورة مختار» كما قال بعض علماء الإسلام والنصرانية وغيرهما وكما يقول الآن علماء الماديين والعقليين فى أوربة، فإذا أريد بالعدل المساواة فى أصل الخلق وكل ما يلزمه فهذا قطعا غير موجود، وإن أريد به المساواة فى مجازاة العاملين بما يستحقون - فى الظاهر - بلا مراعاة ولا محاباة فهذا حق وهو صفة من صفاته تعالى فإنه - كما يسميه المسلمون - «الحكم العدل» بين مخلوقاته فالعدل فى الحقيقة لا معنى له فى جانب الله إلا من بعض الوجوه المحدودة كما بينا وهو ليس - كما يتوهم قصار النظر - العدل المطلق وإلا لاستحال وجود «هذا» العالم المشاهد بما فيه من التفاوت والاختلافات والتنوعات ولكان الكل إما جماداً (متماثلا فى كل جزئية من جزئياته فى كل شئ) أو نباتاً أو حيواناً، كذلك ولا يصح نسبة الظلم إلى موجد الكون بسبب ما نشاهده فيه من الاختلاف بين

جزئياته فإنه ليس في الإمكان إلا ما كان، ولا يتصور في العقل أبدع منه، وهذا الاختلاف ضروري لإظهار جميع صفات الخالق على أكمل وجه ولإبراز جميع السنن والنواميس الممكنة عقلاً في هذا العالم فتبارك الله أحسن الخالقين، وإن شئت المزيد فاقرأ المقالة التي أحلناك إليها آنفا المدرجة في المنار (مجلد ١٠ ص ٧٣١).

فائدة بعثة عيسى والفرق بين صورته في القرآن وصورته في الأناجيل

فإن قيل: إذا كانت هذه العقائد التي امتازت بها المسيحية عن الإسلام واليهودية باطلة فما فائدة بعثة عيسى إذاً ولم فتن الله الناس به حتى اتخذوه إلها؟

قلت: لا شك أن عيسى كان نبياً كبيراً ورسولاً عظيماً جعله الله مثالا حسناً للناس ليهتدوا بهديه وليقتدوا به في أخلاقه وأعماله وأقواله وسيرته الطاهرة وقد اشتهرت تعاليمه الداعية إلى السلم والرحمة والرأفة والزهد في الدنيا، كما قال القرآن الشريف ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ وذاع إصلاحه في الأرض منذ وجوده للآن رغما عن كل ما طرأ على دينه من التحريف والتبديل مع كثرته.

ومن فوائد بعثته أيضاً أن الله تعالى جعله دليلاً على قدرته على البعث والقيامة الأخروية فإن الناس كانت قد ضعفت فيهم أو تلاشت من بينهم تقريباً هذه العقيدة الكبرى لدرجة جعلت الصدوقيين من اليهود (وهم الأمة التي اشتهرت بكثرة الوحي فيها والأنبياء) ينكرون البعث يوم القيامة (مت ٢٢: ٢٣ وأع ٢٣: ٨) وكان يوجد من النصارى أيضاً من تبعهم في ذلك كبعض أهل كورنثوس كما يفهم من رسالة بولس الأولى إليهم (١٥: ١٢).

عقيدة البعث عند اليهود والمصريين

ونجد أسفار العهد القديم خالية من التصريح بهذه العقيدة اللهم إلا بعض إشارات طفيفة كما فى سفر التثنية (٣٢: ١٩ - ٤٣) ولعل السبب فى ذلك وجودهم بين المصريين مدة ٤٣٠ سنة (خر ١٢ : ٤٠) واقتباسهم منهم هذه العقيدة التى كانت عالقة كثيرا بأذهان المصريين [(١)] فانتقلت منهم إلى بنى إسرائيل وأصبحت عندهم من الأمور التى لا يترددون فى قبولها فلذا لم يحتاجوا للتذكير بها كثيرا فاكتفت كتبهم بالإشارة إليها أحياناً، ولا تنس أن بنى إسرائيل كانوا من أشد الأمم ميلاً للتقليد وخصوصا للأمم الغالبة لهم فلذا انتقلت إليهم هذه العقيدة من المصريين وانتشرت بينهم، أو كان السبب فى قلة ذكر كتبهم لها أن الناس كانوا فى تلك الأزمنة قصيرى الإدراك بلداء الشعور وخصوصا اليهود ذوى الرقاب الصلبة (خر ٣٢: ٩).

فلذا ما كانوا يتأثرون ولا تنفعل نفوسهم بالمواعيد الآجلة انفعالها بالمواعيد العاجلة التى اكثرت كتبهم من ذكرها لهم لغلظ قلوبهم وقساوتها، فلما كثر بين

---

(١) الظاهر أن المصريين أتتهم هذه العقيدة عن طريق الوحى إليهم وإلا لما سبقوا اليهود بها. وكانوا يعتقدون أن قلب الإنسان سيوزن يوم القيامة لمعرفة إن كان يستحق الرحمة أو العذاب ولعل مرادهم من ذلك هو كمراد القرآن عند المحققين مما ذكره مثلها لذلك (مثل ٢١: ٤٧) أية مبالغة فى بيان دقة الحساب وكمال العدل الإلهى فى دينونة الخلائق كأن أعمالهم أو قلوبهم توزن وزنا دقيقا بحيث لا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتى بها الله وعامل الإنسان بحسبها.

ولوجود عقيدة البعث عند المصريين نجد أن يوسف كما فى القرآن الشريف لما تكلم مع الفتيين اللذين حبسا معه فى مسائل الدين لم يحثهما على الإيمان باليوم الآخر كما حثهما على التوحيد فإن ذلك كان من أكبر عقائدهم حتى من قبل يوسف (راجع سورة يوسف ١٢: ٣٩ و ٤٠) وترى أن عزيز مصر لما وجد امرأته خاطئة قال لها (استغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين) ولولا اعتقادهم بالدينونة فى اليوم الآخر ما قال لها ذلك.

الناس الشك فى هذه العقيدة وارتقى إدراكهم ورق شعورهم عن ذى قبل جاء عيسى لتبيين هذه العقيدة العظمى واشتهر بالتصريح بها أكثر من جميع من سبقه من أنبياء بنى إسرائيل وقد بين قدرة الله تعالى على البعث والنشور بمعجزاته العظيمة كإحياء الموتى وخلقه من الطين طيراً وبوجوده هو نفسه بدون أب خلافا لما اعتاده الناس فالله تعالى الذى أجرى على يديه كل هذه الآيات البينات (أ ع ٢ :٢٣) لا شك أنه قادر على إحياء الموتى يوم القيامة (١) .

(١) معجزات عيسى دليل على الساعة

لذلك ترى أن أكثر معجزات عيسى هى مما له علاقة بإحياء الميت، كخلقه هو نفسه بدون أب وكإحياء الموتى على يديه وكتحويل الطين طيرا؛ ليدل بذلك كله على قدرة الله التامة على البعث فإن الذى خلقه بدون استيفاء أهم الشروط المعتادة فى خلق الإحياء الراقية وأحيى على يديه الموتى بل الجماد لا شك أنه قادر على بعث الخلائق يوم القيامة مهما طرأ عليهم من الفساد والانحلال والتغير ومهما فقد من الشروط المعتادة أو اللازمة للحياة فى هذه الدنيا. لذلك قال تعالى فى عيسى (ولنجعله آية للناس) وجاء عن لسانه مكررا فى موضع واحد (٣ :٤٩و ٥٠) قوله (أنى قد جئتكم بآية من ربكم - إلى قوله - وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون) أى إذا علمتم مما جئتكم به من الآيات أن الله موجود وأنه سيبعثكم للحساب يوم القيامة كان واجباً عليكم إن كنتم تعقلون أن تتقوه كمال التقوى وتطيعونى.

أما فى زمن البعثة المحمدية - وقد ارتقى الناس فى الجملة عن ذى قبل - فكانوا يرون أو يمكنهم أن يروا مالا يراه القدماء إلا نادراً من أن آيات الكون الحاصلة أمامهم كل يوم تكفى لإثبات أن الله قادر على البعث؛ لأنه تعالى يخلق فعلا فى كل وقت الأحياء النباتية والحيوانية من الجماد كما هو مشاهد لجميع الناس، ولا شك أن إعادة الخلق أهون من بدءه كما قال القرآن الشريف (٣٠ :٢٧) لذلك اكتفى القرآن بتنبيههم إلى هذه الآيات الكونية فى أكثر سوره وناقشهم فيها مناقشة عقلية منطقية كما هو معلوم لمن يتدبر آياته (راجع مثلا سورة الحج ٢٢: ٥ - ٧) وما زال يرشدهم إليها ويذكرهم بها ويجادلهم فيها حتى اقتنع العرب اقتناعاً عقليا صحيحاً بقدرة الله على البعث وتبعتهم الأمم الداخلة فى الإسلام إلى اليوم.

فالناس وإن كفتهم الحجة العقلية فى زمن البعثة المحمدية وبعدها إلا أن أكثر الأمم أو كلهم قبل ذلك ما كانت تكفيهم هذه الحجة أو لا تؤثر فيهم تأثيرها فى الناس بعد الإسلام؛ فلذا جاء عيسى وغيره لقومهم بالمعجزات الحسية، والغالب أن الأمم القديمة ما اقتنعت بهذه العقيدة اقتناعا عقليا جازماً، وإنما سلموها بعد أن رأوا من أنبيائهم ما رأوا من المعجزات الحسية=

فإصلاح الأخلاق وتذكير قومه بكلام الله القديم الذى كانوا هجروه وإرشادهم إلى حقيقة الشريعة وروحها والدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر والزهد فى الدنيا لشدة انغماس الناس فى زمنه فى الماديات هى أهم ما جاء عيسى به وهى أعظم ما عرف عنه بين جميع أتباعه واشتهر به على اختلافهم فى الآراء والمعتقدات ولو أنهم جعلوا نعيم الآخرة روحانيا فقط - مع اعترافهم بالبعث الجثمانى بل والعذاب الجسدانى أيضاً- [١] بسبب تأثير أقوال بعض فلاسفة اليونانيين فيهم (كأرسطو) حتى

= ونحوها لا بالحجج العقلية كأهل الإسلام وربما كان اقتناعهم بها بعد ذلك أقل درجة من اقتناع المسلمين، ألا ترى إلى قول إبراهيم وهو أبو النبيين (رب أرنى كيف تحى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) فإذا كان هذا حال إبراهيم فما بالك بغيره من الناس؟ والحق أن استعمال الحجج العقلية لإثبات المسائل الدينية لم يعرف بين أكثر الأمم قبل الإسلام ومن عرف عندهم لم يبلغ مبلغه بين المسلمين كما لا يخفى على المطلعين الباحثين فى أحوال البشر وعقائدهم. والفضل فى ذلك كله للقرآن الذى نهض بالعقل البشرى نهضة لم يسبقه بها كتاب، إن فى ذلك لآيات لأولى الألباب.

(١) عقيدة النصارى فى البعث

من غرائب عقول النصارى أنهم مع تسليمهم بقيامة الأموات والبعث الجثمانى (١ كو ١٥: ١٢ - ٥٧) وبالعذاب الجسدانى أيضاً - كما قلنا فى المتن - الدائم إلى أبد الآبدين (مت ٥: ٢٩و٨: ١٢و١٣: ٤٢ ورؤ١٩: ٢٠ و٢٠: ١٠) يعودون فينكرون النعيم الجثمانى ويسخرون من المسلمين لأنهم يقولون به!! فلا أدرى لماذا يقبلون تعذيب الجسد بالنيران وغيرها ولا يقبلون تنعيمه بما يليق به من أكل وشرب وجماع وغير ذلك مع الأدب والكمال، وإذا كان الله قضى بحصول هذه الأشياء فى الدنيا للإنسان والحيوان فأى استبعاد إذاً للقول بحصولها أيضاً فى الآخرة على نحو أكبر وأبهى وأفضل؟

النعيم الحسى فى الآخرة

نعم إن الجماع شهوة بهيمية ولكنه هو كالأكل والشرب الذى قالت كتبهم بحصوله فى الآخرة (لو ٢٢: ٣٠) ولذلك سميت دار النعيم عندهم أيضاً بالفردوس (لو ٢٣: ٤٣) أى البستان بالفارسية لما فيها من الأشجار والأثمار ونحوها وإذا استعمل الجماع فى محله مع الاحتشام والأدب فلا عيب فيه ما دام الإنسان فى الآخرة لم يخرج باعترافهم عن كونه حيوانا جسدانيا ، وأى فرق حقيقى بين اللذة الروحية واللذة الجسدية، وكلتاهما لا تصل=

أولو أقوال المسيح نفسه الدالة على عكس ما ذهبوا إليه تقليداً لهم كما في متى (٢٦ :٢٩) ولوقا (٢٢ : ٣٠).

ولكن من المجمع عليه أن أكثر تعاليم عيسى وشغله الشاغل كان في الدعوة إلى مكارم الأخلاق والسلم والتمسك بروح الدين (١) وجوهره والإيمان باليوم الآخر والعمل على نشر ذلك كله بين العامة والخاصة من قومه ولكنه قل أن تعرض

= إلى الإنسان ولا تكون عادة إلا بطريق الجسد وإن كانت الأولى خيراً وأبقى من الثانية ولكن في الآخرة ستكون الاثنتان باقيتين، هذا ولم يقل أحد من المسلمين إن لذة الآخرة كلذة الدنيا ولا إن الآخرة خالية من النعيم الروحاني، وكيف يقول أحد منهم ذلك والقرآن يقول ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ويقول ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾وقال ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾و ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٨) لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾وغير ذلك كثير (راجع كتابنا «الإسلام» ص ٥٠و٥١ منه).

وإذا اقتصر القرآن على ذكر اللذات الروحية أيكون لكلامه من التأثير على عامة البشر ما كان له بذكر اللذتين، ومن العامة يدرك اللذة الروحية أو يقدرها قدرها، أو تنفعل نفسه لها، ولماذا لا ينتقدون كتبهم لذكرها شرب الخمر في الآخرة ونصها على أنها ستكون من نتاج الكرمة كخمر الدنيا سواء بسواء (راجع مر ١٤: ٢٥ وغيره)،

هذا وسيرضى كل في الآخرة بما قسم له من النعيم كما يرضى الصغير بثوبه الصغير والكبير بثوبه الكبير بحيث إذا أعطى للكبير ثوب الصغير لغضب وعد ذلك استهزاءً وكذلك العكس كما قال المسيح عليه السلام في إنجيل برنابا (١٧٦ :١١- ١٦) ولذلك قال تعالى في القرآن الشريف ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ ولما كان الرجل في الدنيا أقوى وأفضل وأعقل من المرأة وأكبر شهوة منها فلا عجب إن كان ثوابه في الآخرة أكبر؛ لأن أعماله أعظم والذى فضله في الدنيا هو الذى سيفضله في الآخرة بسبب عمله ولا يثير ذلك حقد المرأة عليه كما بينا هنا.

(١) لذلك وضع عن اليهود شيئا من إصر التوارة وأغلال الناموس كما فعل في يوم السبت حيث خفف شدة حكمه (راجع يو ٥: ١٠ - ١٢ وخر ٢٠ :١ وعد ١٥ :٣٢ - ٣٦) فلذا قال الله تعالى في القرآن الشريف عن لسانه ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾

للإلهيات لعدم حاجة اليهود إليها بل أحالهم فيها إلى ناموسهم إذ فيه الكفاية منها، وبين أن التوحيد هو أول كل الوصايا (راجع مثلا مرقس ١٢ : ٢٨ - ٣٤) كما كان معلوما لديهم من قبل وقد استفاد العالم من تعاليمه كثيراً منذ زمنه إلى الآن.

وأما افتتان الناس به ودعواهم له الألوهية - وإن كان هو قد تبرأ حتى من إطلاق لفظ «الصالح» عليه كما سبق (مت ١٩ : ١٧) - فذلك لا يطعن فى انتفاعهم العظيم به عليه السلام وفى أنه كان إماما ورحمة لهم وآية للعالمين كما أنه لا يطعن فى فائدة نزول الغيث وكونه قد يصيب بعض البيوت مثلا فيهدمها على أهلها ولا يطعن فى نفع النار وغيرها أنها كثيراً ما تؤذى الإنسان وتهلكه وهى أقوى ما يستعمله الإنسان للتدمير فى الحروب وغيرها.

شهادة القرآن بضعف الحواريين

فهذه سنة الله فى خلقه إذ يندر أن يوجد شئ فى العالم خال من الضرر فى جانب نفعه الكبير فكذلك بعثة عيسى وإن أفادت الناس كثيراً إلا أنها لم تخل من الإضرار بضعاف العقول الذين ألهوه وعبدوه من دون الله تعالى عما يشركون.

فالاعتراض على بعثته بسبب ذلك كالاعتراض على جميع ما خلق الله مما لا يخلو من ضرر ولذلك أيد الله تعالى - كما قال القرآن - أتباع عيسى مع ضعف إيمانهم وفساد بعض عقائدهم حتى نشروا دينه على علاته فى الأرض وأصبحوا فيها ظاهرين. قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤] أى قل يامحمد كما قال عيسى لأصحابه ما ذكر، والحكمة فى قول القرآن ذلك بدل أن يقول (كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار الله) إنهم لم

يكونوا فى دينهم على ما يرام كما يفهم من قوله ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤] لأن يهوذا باعتراف النصارى كان منهم وكذلك بطرس الذى سماه المسيح «شيطانا» وغيرهما كان ضعيف الإيمان أو عديمه كما سبق بيانه .

وقال القرآن أيضاً ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [مائدة: ١١٢] الآية وقال ﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ﴾ [الزخرف: ٦٥] الآية وإذا كان الله أيدهم مع ضعفهم هذا وفساد بعض عقائدهم بسبب أن فى دينهم أشياء أخرى كثيرة صالحة للبشر وهى أكثر مما ألحق به من المفاسد فمن باب أولى يؤيد الله المؤمنين الصادقين الخالى دينهم وعقائدهم من التحريف والتبديل؛ لذلك ضرب الله الحواريين مثلا للمؤمنين؛ لبيان كرمه وحلمه وتفضله على عباده بالخير الكبير ولو لم يستحقوه كله؛ ليعلموا أنهم إن نصروا الله ولو قليلا نصرهم هو كثيرا كما فعل بأصحاب عيسى، ولم يضرب المثل بغيرهم من الأمم السابقة المؤمنة لأنهم لم يبق لهم ملك فى الأرض مشاهد كاليهود ، أو أنهم انقرضوا كمؤمنى قوم صالح وهود.

تاريخ عيسى فى القرآن

هذا وقد بين القرآن الشريف تاريخ عيسى كما بيناه هنا فقال الله تعالى فيه: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (١) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلائِكَةً

(١) فإنه مرسل إليهم أولاً وبالذات فإن رفضوا ولم يؤمنوا به دعى حينئذ غيرهم من الأمم وإلا فلا (مت ٢٢:١-١٤) و (أع ١٣:٤٦ و١٨:٦) و (روميه ١:١٦) وأما محمد ﷺ فمرسل للناس كافة سواء قبله العرب أو رفضوه ولكن يجب أن يبدأ بدعوتهم ليستعين بهم على دعوة غيرهم. هذا إذا تساهلنا معهم فى فهم عبارات كتبهم المتناقضة حتى فى هذه المسألة الهامة وسنتكلم معهم قليلا فى ذلك قريبا بغير هذا التساهل.

فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ. وإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ (١) لِّلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ. وَلا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ. وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ (٢) الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [الزخرف: ٥٩] (أى كاختلاف اليهود فى القيامة لعدم صراحتها فى كتبهم) ﴿فَاتَّقُوا

---

(١) أى سبب للعلم بها فإنه هو ومعجزاته من أعظم الدلائل على إمكان البعث، وهذه العبارة فى الآية مجاز مرسل علاقته المسببه فإنه أطلق المسبب (وهو العلم) وأراد السبب (وهو عيسى ومعجزاته) كقولك «أمطرت السماء نباتا» أى مطرا يتسبب عنه النبات وقرئ أيضا (وإنه لعلم للساعة) بفتحتين أى أنه كالجبل الذى يهتدى به إلى معرفة الطريق ونحوه فبعيسى عليه السلام يهتدى إلى طريقة إقامة الدليل على إمكان الساعة وكيفية حصولها كما بينا فى المتن.

(٢) إنما لم يقل «ولأبين لكم كل ما تختلفون فيه» لأنه لم يفعل ذلك بل ترك بيان كثير من الأشياء كالفساد الذى دخل فى أغلب كتبهم للبارقليط (محمد) الذى يأتى بعده لعدم استعداد الناس فى زمنة لقبول كل شئ منه كما قال نفسه (يو ١٦: ١٢و١٣) وخصوصا إذا تعرض للطعن فى كتبهم وهى رأس مالهم الوحيد وتراث أجدادهم، ولو فعل ذلك لشك فيه الكثيرون منهم وكذبوه ولما اتبعه إلا الأقلون أو النادرون فتضيع الفائدة من بعثته التى بيناها فى المتن وهى التى بعث لأجلها.

معنى تصديق عيسى للتوارة

وأما قول الله تعالى عن لسانه ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ [الصف: ٦] فالمراد بمثل هذا التعبير أنه بمجيئه عليه السلام تحققت نبوات التوارة عنه وبه صحت وصدقت، وكلمة «التوارة» تطلق على كل كتب العهد القديم كما بيناه فى كتاب «دين الله» (ص ٦٥).

فالمعنى: إن مجئ عيسى كان وفق ما أنبأ به النبيون عنه من قبل ولولاه لما صدقت تلك النبوات فإنها لا تنطبق إلا عليه، وليس المراد أن عيسى يقر كل ما فى التوارة كما يتوهم النصارى الآن من مثل هذه الآية وإلا لما قال بعدها مباشرة ﴿وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠] فكيف يقرها وهو قد جاء ناسخاً لبعض ما فيها؟! فتدبر ذلك ولا تكن كهؤلاء يهرفون بما لا يعرفون، ويفسرون مالا يفهمون!!

هذا إذا سلمنا ما فى هذه الأناجيل من أن المسيح عليه السلام لم يطعن فى كتب اليهود الموجودة فى زمنه ولم يبين لهم ما فيها من الفساد.

ولكن كيف يثق المسلم بما فى هذه الأناجيل بعد الذى كتبناه فيها؟ فيجوز أن المسيح بين لهم=

اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ. فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ [الزخرف: ٦٤] (لاحظ العطف هنا بالفاء) ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ. هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ والآيات في بيان فضائل المسيح ومزاياه وأعماله والثناء عليه عديدة

= فساد كتبهم كله أو بعضه المهم، ثم إنهم أهملوا أغلب أقواله هذه تدريجيا حتى نسوها لعدم موافقتها لأهوائهم ولما شبّوا وربوا وشابوا عليه وورثوه عن آبائهم كما أهملوا أقواله فى التوحيد الحقيقى وخالفوا نصائحه ووصاياه فى مسائل كثيرة مما بيناه وتغالوا فى شأنه شيئاً فشيئاً حتى جعلوه إلهاً وهو - لا شك - برئ من هذه الدعوى، ولا يخفى أن تلاميذه - وهم ضعاف من وجوه كثيرة - لو كانوا أكثروا من الطعن فى كتب اليهود وترديد أقوال المسيح فيها لنفروا اليهود منهم ومن دينهم ومسيحهم ولزاد اليهود فى احتقارهم وإيذائهم فلذا تحاشوا ذلك وخصوصاً لأنه لا يمكنهم إقناعهم بصحة مسيحية عيسى إلا بهذه الكتب فاستمروا على قبولها والتعويل عليها مجاملة وخوفاً من باقى أمتهم اليهود واستمالة لهم لإدخالهم فى دينهم بها وربما أنهم حرفوا بعض أقوال المسيح التى نقلوها فى هذه المسألة وجعلوها قاصرة على ذم المسيح اليهود باتباع تقاليدهم الموضوعة لا بتحريف كتبهم المقدسة كما هو الظاهر مما فى إنجيل مرقس مثلا (٧:٦-١٣) (راجع أيضاً كتاب دين الله ص ٨١ - ٨٤).

شك بعض النصارى فى التوارة

على أن بعض فرق النصارى الأقدمين فى القرن الأول والثانى قد أنكروا العهد القديم كله أو أكثره كالأبيونيين والماركيونيين وغيرهم، ويبعد كل البعد أن تنكر هذه الفرق هذه الكتب من غير أن يستندوا إلى شئ رووه عن المسيح نفسه فى أمرها، وقد كانوا قريبى العهد به عليه السلام فتكون روايتهم أصح من رواية هذه الأناجيل التى لم يعرف لها سند إلا فى أواخر القرن الثانى وما خلت من التحريف بعد ذلك كما بينا.

وجاء فى إنجيل برنابا أن المسيح نَصَّ على تحريف اليهود لكتبهم، راجع مثلا الأصحاح ٤٤:٣ منه وهو من الأناجيل القديمة وإن كانوا يكابرون فيه ويكذبون.

وما يدرينا أنه كان يوجد فى الأناجيل الأخرى التى رفضوها وأضاعوها مثل ما فى إنجيل برنابا أيضاً، ولا تنس أن أناجيلهم هذه الحالية لا تشمل جميع أعمال المسيح (وأقواله طبعا) باعتراف مؤلفيها (يو ٢١:٢٥).

شهـيرة[1] فانظر إلى آداب القرآن العالية فى المسيح فـهو يصوره دائما بغير الصورة

(١) إخلاص النبى ﷺ وصدقه

من أكبـر آيات إخلاص النبى ﷺ وصدقـه فى دعواه أن القـرآن الذى عَظَّم جميع الأنبـياء تعظيما كبيرا وأثنى على كل من ذكره بـاسمه منهم فرداً فرداً، وبرأهم من كل ما رماهم به أهل دينهم من الكبائر والفضـائح قل أن اختص محمداً بمدح أو بفضـل أو مزية دون غيره من إخوانه الأنبيـاء عليهم جميعاً الصـلاة والسلام، بل كثيرا ما يذكر مـحمداً مع شئ من اللوم له أو العتاب أو الإرشاد والتأديب ونحو ذلك مما يعرفه المطلعون على القرآن الكريم.

ولو كان محمد من الكاذبين لما سجل على نفسـه شيئا من هفواته فى قرآنه (راجع مثلا ١٧ :٧٣ - ٧٥ و٣٣:٣٧ وغير ذلك) ولخص نفسه بالمدح والتعظـيم والتبجيل والإكرام فى أغلب القرآن، ولرفع منزلته فوق كل منزلة، ولنص على أنه أفضل النبـيين وأقرب المقربين من رب العالمين بل لادعى البراءة من كل عيب ونقص وخطأ، ولنسب لنفسـه العصمة من كل زلل أو سهو أو نسيان، ولما أمر فى القرآن بطلب الرحمة والغفران من الله ولما ألزم نفسه الفرائض الكثيرة والنوافل العديدة الشاقة فى صلواتـه وصيامه وقيامه بالليل لعبـادة الرحمن (راجع كتاب دين الله ص ٧٠و٧١) ولادَّعى الكمـال المطلق فى كل شئ، ولقال إن العـالم خلق لأجله ومن نوره وإنه أول موجود كمـا يقول عامة المسلمين الآن فيه تقليـداً للنصارى فى عيسى (راجع الجواب الصحيح» لابن تيمية جزء ٢ص ١٩٨) بل لقال عن نفسه أكثر مما قال يوحنا فى إنجيله عن المسـيح، ولما نهى علـيه السـلام الناس - وبـالغ فى النهى - عن إطرائه كـمـا أطرت النصارى عـيسى أو لعدد على الأقل فى قـرآنه جميع أعـماله وأتعابه ومناقـبه ومفـاخره أو لأعجب بنفسه ومدحها كثيراً كما فعل بولس فى رسالة على ما سبق بيانه.

ولكن أين ذلك الكبر الباطل والغرور والإعجاب بالذات من تلك الروح العالية، والنفس الطاهرة الكبيرة، روح الصدق والإخلاص والتواضع والانكسـار لله تعالى، وفوق ما تقدم كله لم يذكر فى القرآن حادثة من حوادث حياته إلا عرضاً ولغرض غير مجرد تدوين أخباره وسيرته فإن الرغبـة فى ذلك لم تكن منه مطلقـا وإلا لو أرادها لكانت (راجع أيضا كـتاب دين الله ص ٦٨ - ٧١).

زد على هذا أنه لم يضع للمسلمـين موسماً أو عـيدا أو نحو ذلك لتذكـر شئ ما من حوادث حياته الـشخصية كـيوم ولادته أو هجرته أو إسرائه أو غـير ذلك مما ابتدعه الناس بـعده ولو شاء لجعل كـثيرا من أمم الأرض تعـبده أو على الأقل تذكـره كل سنة بأعياد عـديدة ومواسم متكررة. فـأين هذا ممن كان يطلب بنفـسه من الناس أن يمدحـوه ويظهر رغبـته فى ذلك=

التى تفهم من الأناجيل وفيها كثير من المسائل تؤدى إلى الطعن الفظيع فيه كما أدت كثيرين إلى ذلك فى أوربة فنحن وإن كنا نبرأ إلى الله من مطاعنهم هذه نشير هنا[1]

=كما فعل بولس (٢ كو ١٢: ١١) .

تواضع النبى ونهيه عن زيارة قبره

بل نهى ﷺ - فوق هذا كله - مراراً عن تعظيم قبره، أو اتخاذه وثناً أو عيداً أو مسجداً حتى قال العلماء: إن أحاديث زيارة قبره كلها ضعيفة أو موضوعة لا يصح الاعتماد على شئ منها ولهذا لم يروها أهل الصحاح والسنن (راجع كتاب التوسل والوسيلة لابن تيمية ص ٨٢ - ٨٦).

فأى تواضع أكبر من ذلك؟ وأى إنكار للذات أعظم منه، لذلك كله ترك القرآن الحكم على هذه النفس العالية العجيبة (نفس محمد) وتقديرها قدرها للزمان، ولعقلاء الرجال المفكرين، الذين نبذوا التعصب والتقليد وراء ظهورهم وتركوه خلفهم نسيا منسيا.

اعتراف الغرب بفضل محمد ﷺ

فظهر لهم ولله الحمد بعد أن نظروا فى أعمال النبى وإصلاحه فى الأرض ودينه وشريعته وقارنوا ذلك بغيره من الأديان أنه أكبر مصلح قام فى الأرض، وأعظم من يسميهم المليون أنبياء، وأخلص المخلصين، وأصدق الصادقين، وهذا الحكم عليه ليس صادرا من المسلمين وحدهم، بل من كبار المفكرين أيضا، والعلماء فى العالم المتمدن من ملحدين ومؤمنين، أحرار ومتعصبين (انظر مثلا كتاب «نشوء القرآن التاريخى» للقس إدوارد سل ص ١٨٤).

كما يعرف ذلك المطلعون على كتبهم.

وأكمل منك لم تر قط عينى ... وأعظم لم تلد النساء
خلقت مبرأً من كل عيب ... كأنك قد خلقت كما تشاء

(١) تنبيه: نظرى إلى المسيح فى العبارات الآتية هو ليس من الوجهة الاعتقادية بل من الوجهة النقلية فقط بحسب روايات النصارى عنه فهو نظر تاريخى محض بقطع النظر عن اعتقاد المسلمين فيه - وفى جميع الأنبياء - العصمة والكمال وبقطع النظر عن اعتقاد النصارى فيه الألوهية فليتنبه لذلك القارئ فإن جوزت عليه شيئا من النقص البشرى فليس ذلك لاعتقادى فيه ذلك - حاشا وكلا - بل هو لأجل مناقشة الخصوم فيما رووه عنه بأنفسهم.

وعقيدتى فى المسيح هى عقيدة القرآن أى أنه من أعظم الأنبياء ومن أكرم الرسل ومصلحى الأنام وهداة البشر وهى العقيدة التى يُلزمنا القرآن الشريف بها ولولاه لما عرفنا قدره بسبب ما يرويه نفس أتباعه عنه من النقائص كما سنبينه، فما يأتى هنا لم أقله عن لسانى وإنما هو=

إلى بعضها ولا نتعرض للبحث فيـها طويلا بمثل ما تعرضوا به من المبالغة فى الطعن إجلالا لمقامه السامى عندنا بسبب شهادة القرآن له ليس إلا .

معائب عيسى وذنوبه فى كتبهم

فما عابوه به:

(١) مسألة تـردده وهو شاب عزب جميل علـى بيت مريم ومرثا أختـها وهما عاهرتان (قارن لوقا ٧:٣٦ - ٣٩ بيوحنا ١١ :١ - ٣و١٢ :١ - ٨) وحبه لهما (يو ١١ :٥) والأكل فى بيتهما والمبيت عندهما وتدليك مريم قدميه ومسحهما بشعـرها ودهن رأسه بالطيبَ (لو ١٠ : ٣٨ - ٤٢ ومت ٢١ : ١٧ و ٢٦ : ٦ - ١٣) وكثرة اختلاط غـيرهما من النساء به وبتلاميذه ومصـاحبتهن لهم فى كل مكان وخدمـتهن له من أموالهن (لو ٨ :١ - ٣) إلى غيـر ذلك مما يحرم علينا الإسلام الخـوض فيه وسوء الظن بالمسـيح بسببه، فـإن لم يفتتن هو أو تلاميذه بهن فكيف لا تفتتن مثـل هؤلاء النساء بهم وأكثرهن عزبات!؟ ومن أراد الاطلاع على بعض ما يقوله علماء الأفـرنج فى مثل هذه المسألة فليقرأ الفصل السـابع من كتاب «الحـقيقـة عن يسوع الناصرة» تأليف فـيلب سدنى (Philip Sidney) .

(٢) وجود المسـيح فى عرس يشـرب الناس فيه الخـمر بحضـرته ويسكرون (يو ٢ : ١٠) وهو لا ينكر عليـهم ذلك بل ساعدهم على المنـكر وحول لهم الماء خـمراً فكأنه زاد الطين بلـة (يو ٢ :١ - ١١) حتى رمـاه المعاصـرون له من

= عن لسان ملحـديهم، (وناقل الكفر ليس بكافـر) وأنا معذور فـى ذلك لأن النصارى هم البادئون بالاعـتداء علينا وعلى ديننا وقـد طغوا وبغوا فـوجب علينا أن نوقفـهم عند حدهم بسيف الحجة والبرهان وأن نرد كيدهم فى نحرهم لعلهم يرجعون.

اليهود بأنه شـريب خمر محب للخطاة والـعشارين (لو ٧: ٣٣ و ٣٤) ومن كلامـه فى لوقا (٥: ٣٧ - ٣٩) ومتى (٩: ١٧) يفـهم أنه كان له دراية كبـيرة بالخمر وأحوالها. وقد أوجب على أتباعه شربها فى فريضة العشاء الربانى [1] كلمـا فـعلوه!! (مت ٢٦: ٢٧ ولو ٢٢: ١٧ - ٢٠) فـفتـح لهم بذلك بابا واسعـاً للشر وألزمهم بدخـوله، فكانوا فى كل زمن أكثر الناس صناعـة لها وشربا، وأوسعهم تجارة فيها، حـتى ملأوا الأرض بها وبأمراضها وشرورها العديدة كمـا هو معلوم. ولو أحسن عـيسى صنعا وكان ممن يعـرفون طباع البشر لحرم عليهم أن يذوقـوها سداً للذريعة ولكن كيف يفعل ذلك وهو من عشاق أهلها كما يفهم من هذه الأناجيل؟!

(٣) اختصاصه أحد تلاميـذه (يوحنا) بحبه، واتكاء هذا فى حضنه والتدلل عليه وكان يوحنا إذ ذاك فتى صغيراً، وعدم تجـاسر التلاميذ الآخرين على سؤاله

---

(١) العشاء الربانى وأصلة

اعلم أن العشاء الربانى أصله عبادة وثـنية، أو وليمة دينية مقدسة، كانت تشرب فـيها الخمر على أنها دم بعض الآلهة مثل (ديونيسوس) (Dionysos) معبود اليونانيين وفاديهم بموته وهو إله الخمر عندهم وابن زيس أو جوبيتر (أى الأب السماوى وهو المشترى) وكانوا يعتقدون أن (ديونيسوس) هذا يحـول لهم الماء خمرا كل سنة فى الكروم ويملأ بها أباريق يضـعونها ليلاً فى معـبده لهـذا الغرض (راجع كـتاب «النصـرانية والأسـاطير» ص ٣٥٥ - ٣٦١ وكـتاب «المسحاء الـوثنيين» ص٣١٨ وكتاب «ملخص تاريخ الدين» مـجلد ٣ ص ١٠٥) وقد دخلت هذه الأفكار الوثنيـة والأوهام فى النصرانية مـع من دخلوا فيهـا من الوثنيين ومن الزيادات المتأخرة فى العـهد الجديد فى هذه المسألة - باعتـراف مصححى كتـبهم الآن - قولهم فى مرقس ١٤: ٢٢ «كلوا» وقـولهم فى ١ كو ١١: ٢٤ «خـذوا كلوا» فإنه لا وجـود له فى أقدم النسخ جميـعا، ومن زاد هذه الألفاظ لا يبعـد عليه أن يزيد غيرها فلا يوثق بـنقله لأنه غير أمين فيه.

فالحق أن المسيح برئ من إفكهم هذا كله، وحاشا له أن يفـرض على أتباعه شرب الخمر بل أن يبيحهـا لهم و لكنهم قوم مفترون، وعن وثنيـتهم القديمة لا يتحولون، فلذا حـرفوا دين المسيح الحق وأفسدوه.

إلا بواسطة هذا التلميذ المحبوب وحده (يو ١٣ : ٢٣- ٢٥) وتجرد عيسى من ثيابه أمامهم بعد العشاء بدون مناسبة مما يوهم أنه سكر بكأس العشاء التى شربها معهم (يو ١٣ :٤و٥ ومت ٢٦ :٢٩).

(٤) قولهم إنه كذب مرة على إخوته وغَشَّهم (يو ٧ :٨و١٠) .

(٥) أمره تلاميذه بشراء السيوف وحملها للدفاع عنه فضرب أحدهم بالسيف عبد رئيس الكهنة ليقتله فأفلتت الضربة وأصابت أذنه فقطعتها (لو ٢٢ : ٣٦ - ٣٨و ٥٠) مع أنه كان فى أول الأمر يحض الناس على محبة الأعداء (مت ٥ :٤٤) وهو أمر مغاير للطباع البشرية حتى لم يقدر عليه نفسه فخالف بذلك وصيته وكان أول من نقضها بعمله هذا [(١)] راجع أيضا رسالة الصلب ص ١٢٢ ، ١٢٣.

---

(١) معائب الغربيين ومدنيتهم

لذلك كله ولغيره قد استباح بعض الأفرنج أو جميعهم الكذب فى السياسة ونحوها، وإخلاف العهود فيها، وشرب الخمر والسكر، وتبرج النساء وإبداء زينتهن الفاتنة لجميع الناس، والخلوة بهن، والرقص معهن، ووطء غير المتزوجات من النساء، ولم يعدوه من الزنا المحرم، والحروب الكثيرة العنيفة لأقل الأسباب والتغلب على الضعفاء والحقد على كل من خالفهم الخ الخ.

فيجوز أن أسلافهم وكتبة الأناجيل كانوا من الرومانيين وغيرهم الإباحيين والاشتراكيين الذين كان كل شئ عندهم مشتركا بينهم (انظر أ ع ٢ :٤٤ و ٤٥) فما كانوا ينظرون إلى هذه الأشياء نظرتنا إليها نحن الآن فلذا نسبوا للمسيح - بلا حياء - ما بيناه هنا فى المتن ليظهروا أن كل شئ قد أبيح لهم وأصبحوا غير مقيدين بشرع أو ناموس ، وما أسرع انتشار مثل هذه المبادئ الإباحية والاشتراكية بين الناس وخصوصا متبعى أهوائهم والفقراء وهم الذين يتألف منهم الجزء الأعظم من كل أمة، فمن العجيب بعد ذلك - لأول نظرة - أن المسيحية لم تصر الدين الرسمى للدولة الرومانية إلا بعد ثلاثة قرون من زمن مؤسسها!! فهذا من مدنيتهم التى يقولون إنها من آثار المسيحية فيهم، والمسيحية الحقيقية براء منها وكذلك المسيح عليه السلام كما يعلم ذلك من تعاليمه الأخرى العالية الطاهرة التى بقيت آثارها فى الأناجيل إلى اليوم وإن كانت مختلطة بغيرها مما أفسده الناس اتباعا لأهوائهم وشهواتهم وميلا لوثنيتهم القديمة ولولا تعاليم المسيح هذه الحقيقية الشريفة التى حافظ عليها بعض فرق النصارى =

(٦) عدم احترامه لأمه مريم وإهانتها مراراً أمام الناس (يو ٢: ٤ و١٩: ٢٦ ومت ١٢: ٤٦ - ٥٠) ومخالفته بذلك قول الله (تث ٥: ١٦) «أكرم أباك وأمك» ثم دعواه أنه ما جاء لينقض الناموس (مت ٥: ١٧) مع أنه نقضه فى أعظم أركانه وأكبر دعائمه (وهى الوصايا العشر) (١).

(٧) إيجاده التقاطع والتفريق بين الناس وحضهم على بغض أهليهم وأقاربهم حتى آبائهم وأمهاتهم وأولادهم وأخواتهم (لو ١٤: ٢٦ ومت ١٠: ٣٤ - ٣٧) وهو الداعى - فى أول أمره - إلى السلم ومحبة الأعداء كما سبق.

قساوة المسيح على من لم يؤمن به

وقوله المشار إليه هنا وهو (لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض. ما جئت لألقى سلاما بل سيفا؛ فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها، وأعداء الإنسان أهل بيته من أحب أبا أو أما أكثر منى فلا

=الأقدمين لكانت المسيحية أسرع انتشاراً بين الرومانيين مما كان، غير أنها ما كانت تسود ولا تدوم بين البشر إلى الآن.

(١) قارن أعمال المسيح هذه مع أمه - على ما فى الأناجيل - بقول القرآن ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان : ١٤، ١٥] وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء ٢٣] إلى قوله: ﴿فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء ٢٣، ٢٤] أما القرآن الشريف فقد كذب الأناجيل فى هذه الدعوى أيضا ونص على أن المسيح كان باراً بوالدته ولم يكن جبارا شقيا كما فى سورة مريم (١٩: ٣٢) اى لم يكن عاقا لها ولا قاسيا على أحد بخلاف ما يفهم من الأناجيل كما ستعرف.

يستحقنى ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى) وقوله (لو ١٢: ٤٩) «جئت لألقى ناراً على الأرض. ليتها قد اضطرمت ٥١ أتظنون أنى جئت لأعطى سلاما على الأرض كلا أقول لكم، بل انقساما» كل ذلك ينطق بأن إلقاء الحرب فى الأرض وإيجاد التفريق والانقسام وعداوة الأهل والأبناء سيكون صادرا من جانبه وجانب أتباعه لا من جانب خصومهم كما هو صريح هذه العبارات.

وإن أولها المبشرون تعسفا بغير ما ذكرنا فلا نعبأ بتأويلهم لتكلفه وتعسفهم فيه، ولذلك قال (لو ١٤: ٢٦) «إن كان أحد يأتى إلى ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضا فلا يقدر أن يكون لى تلميذا» فكيف يقول المبشرون بعد ذلك: إن البغض والعداوة والحرب ستكون من جانب الناس لهم لا من جانبهم للناس والمسيح نفسه يقول إنهم هم الذين يجب عليهم أن لا يحبوا أهلهم وأولادهم أكثر منه بل يبغضوهم، فهم البادئون بالتفريق وبالعداء لا المبدوءون به كما يزعمون[١].

(٨) جاء فى إنجيل متى ١٥: ٢٢- ٢٨ أن امرأة كنعانية صرخت إليه ليشفى ابنتها المجنونة وكانت تقول له «ارحمنى ياسيد يا ابن داود» فلم يجبها بكلمة فصارت تصيح وراءه حتى طلب تلاميذه منه صرفها فقال لهم (لم أرسل إلاّ إلى خراف إسرائيل الضالة) فجاءت وسجدت له قائلة: «ياسيد أعنى» فقال لها: «ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب» فقالت: «نعم ياسيد. والكلاب أيضا تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها» حينئذ شفى لها ابنتها بعد هذا العناء العظيم والإلحاح الكبير.

---

(١) إذا كانت هذه الذنوب كلها وغيرها من النقائص كما سيأتى منسوبة للمسيح بشهادة كتبهم فكيف بعد ذلك يكون شفيعاً للمذنبين (١ يو ٢: ١) وكيف يكون موته مكفرا عن خطيئاتهم جميعا؟ وأين إذاً قداسته وعصمته؟ وأين قداسة إلههم الذى يقبل خاطئا كهذا ليكون وسيطاً بينه وبين الناس المساكين الضعفاء (١ تى ٢: ٥) ؟ وهل يريد الله أن يكون الناس أقدر على ضبط أنفسهم من المسيح نفسه وهو لم يضبطها مع أنه إله كما يزعمون؟!

فانظر إلى مقدار عطفه ورحمته بالضعفاء!! وهو الرجل الذى يقولون إنه جاء لخلاص الناس أجمعين . ألا يدل ذلك على أن كل ما جاء فى تعاليمه مما يفيد معنى الرحمة والمسامحة والإحسان إلى الناس ما كان يريد به إلا أمته اليهودية فقط لا غيرهم من الأمم كما هو صريح عباراته فى هذه القصة التى تدل على القساوة المتناهية حتى حركت أعمال المرأة عطف تلاميذه أنفسهم قبله ولذلك طلبوا منه إجابة طلبها فأبى أولاً. فهذه هى أخلاق هذا الرجل الذى يمدح نفسه بقوله (مت ١١ :٢٩) (لأنى وديع ومتواضع القلب) فهل يتفق هذا مع فعله مع المرأة الكنعانية؟ نعم هو وديع ومتواضع القلب ولكن مع من؟ مع الأقوياء من أمة اليهود [1] ومع الرومانيين حكامه وحكام أمته . أما الضعفاء الأجانب فهم عنده «كلاب»!! فهذا هو مبلغ تعاليمه إلى السلم والرحمة على غلوها أحيانا. فهو نفسه كان يخص بها اليهود رغما عن دعواهم الآن إنها للبشر أجمعين!!

وهذه القصة تدل على أنه ليس بإله؛ لأنه مقيد بإرادة من أرسله كما يفهم من قوله (لم أرسل إلاّ إلى خراف إسرائيل الضالة) ولذلك تركها يوحنا كعادته، وأتى بقصة المرأة السامرية وهى تغايرها بالمرة (يو ٤ :٧- ٣٠) وغرضه منها أن يظهر أن بعثته كانت عامة فقال: إنه كان يتكلم مع هذه المرأة السامرية ويطلب الشرب منها مع أن اليهود لا يجوز لهم معاملة السامريين حتى صار تلاميذه يتعجبون من ذلك.

---

(١) نعم إنه لما يئس من اليهود أخذ يسبهم ويلعنهم بأفحش الألفاظ كقوله (مت ٢٣ :١٣ - ٣٦) «أيها المراؤون والقادة العميان والجهال والحيات أولاد الأفاعى» الخ وقوله لهم مت ٢١ : ٣١ «إن العشارين والزوانى (وهم الذين كان يحبهم بنص الإنجيل، (انظر مثلا يو ١١ :٥) يسبقونكم إلى ملكوت الله» فهذا مثل آخر من أمثلة محبته لأعدائه. ولكن أتدرى ماذا حصل له بعد هذا السب مباشرة؟ هم أخذوه وصلبوه وأهانوه شر إهانة ثم قتلوه. فهذه نتيجة شجاعته أمام هؤلاء الأقوياء بعد يأسه منهم وفشله فى أمره!! كل هذا نقوله ونحن بريئون منه إلى الله وإنما نقوله إلزاما للخصم وإظهاراً لما تجر إليه قصص هذه الأناجيل.

وهذه القصة - كغيرها مما تقدم - تدل على تأخر زمن هذا الإنجيل عن الأناجيل التى قبله؛ ولذلك أتى بها ليظهر أن بعثته ليست قاصرة على اليهود كما يفهم من قصة المرأة الكنعانية ومن (مت ١٠ : ٥و٦) بل كانت للبشر كافة. أما قول متى ٢٨ : ١٩ (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم) فهو إن لم يكن إضافة متأخرة كقول مرقس بدعوة الخليقة كلها (١٦ : ١٥) الذى ثبت عندهم إضافته أيضا كما سبق فالمراد له أمم اليهود كافة فإنهم - كما قال سفر الأعمال - كانوا فى أورشليم وحدها من كل أمة تحت السماء (أع ٢ : ٥ - ١٣) فما بالك بمن كانوا فى أرض اليهودية كلها؟ ويؤيد هذا المعنى قول المسيح لتلاميذه مت ١٠ : ٢٣ «فإنى الحق أقول لكم لا تكملوا مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان» فهذه المدن كانت عندهم العالم كله كما أريناك سابقا (ص ١٤ من هذه الرسالة) وعلى ذلك يحمل قوله فى مرقس ١٣ : ١٠ «ينبغى أن يكرز أولاً بالإنجيل فى جميع الأمم» وقوله فى متى ٢٤ : ١٤ «فى كل المسكونة لجميع الأمم. ثم يأتى المنتهى» ولا تنس قول لوقا ٢ : ١ «صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة» أى أرض اليهودية خاصة كما قال صاحب «كتاب الهداية» المسيحى فى مجلد ٢ص ٢٥٥، وغيره.

ومن أمثلة وداعته وتواضعه ورحمته

غير ما تقدم: ما جاء فى إنجيل متى (١٨ : ٢١ و٢٢) : أن أحد تلاميذه مات أبوه فاستأذنه فى الانصراف ليدفنه فلم يقبل وقال له: «اتبعنى ودع الموتى يدفنون موتاهم» والظاهر من هذا القول أن أبا هذا التلميذ لم يكن مؤمنا به فلذا حقد عليه حتى بعد موته ومنع ابنه من الذهاب ليدفنه، ولا ندرى ماذا كان يفعل به لو قدر عليه وهو حى؟ فهل هذا خلق الرجل الذى أمر غيره بمحبة الأعداء!؟ وقد داس بعمله هذا مع تلميذه على أمر التوارة بإكرام الوالدين، وأيضا بعمله مع أمه مريم ومخاطبته لها بقوله «يو ٢ : ٤ ما لى ولك يا امرأة». ولكن كان فى أول الأمر وخوفا

من اليهود يقول لهم «مت ٥ : ١٧ لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء» فما أصدق كلامه هذا وغيره!!

وهذه القصة تظهر أيضاً أنه ما كان يريد بتعاليمه الداعية إلى السلم والرحمة والإحسان اليهود عامة كما قلنا من قبل تساهلا (ص١٩١) بل كان يريد بها من آمن به فقط من اليهود واتبعه ولذلك قال متى (١٢ : ٤٦ - ٤٩) إن أمه وإخوته جاءوا مرة إليه ووقفوا خارجاً طالبين أن يكلموه فأخبره واحد من تلاميذه بذلك فقال «من هى أمى ومن هم إخوتى ثم مَدَّ يده نحو تلاميذه وقال ها أمى وإخوتى لأن من يصنع مشيئته أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى» يعنى من آمن به فقط [1] ولذلك أمر أتباعه ببغض غيرهم كما سبق (لو ١٤ : ٢٦) فهل هذا هو الأمر بالإحسان إلى الناس كافة حتى الأعداء!؟ ومتى عمل هو نفسه بذلك أو أتباعه الذين استغاثت الأرض من سفكهم دماء بعضهم بعضا لأقل الأسباب ودماء غيرهم من الأمم بغير حق إلى الآن.

---

(١) كره المسيح لإخوته

الظاهر من هذه العبارة ومن غيرها فى الأناجيل أن مريم أمه وإخوته لم يكونوا به مؤمنين (انظر يو ٧ : ٥ ومر ٣ : ٢١)، ولا عن أعماله راضين، فلذا حقد عليهم وكرههم حتى أمه، وقد بلغ من قسوة قلبها عليه وجموده أنها ذهبت ووقفت عند الصليب لتنظر ابنها وفلذة كبدها وهو مصلوب!! (يو ١٩ : ٢٥ - ٢٧) فلما رآها يسوع خاطبها مرة أخرى بقوله «يا امرأة» فهذه هى أخلاق المرأة التى عبدها النصارى منذ القدم، وهذه هى قيمتها عند ابنها. ولكن صورتها بحسب الأناجيل تغاير صورتها بحسب القرآن الشريف الذى أثنى عليها مراراً وعظمها وقال إن الله اصطفاها وطهرها واصطفاها على نساء العالمين وجعلها للناس آية.

فالظاهر أن قصتها فى الأناجيل مما دسَّه اليهود على النصارى ولشدة جهلهم وبعدهم عن التمحيص والتحقيق إذ ذاك دخلت عليهم الغفلة وصدقوهم فيها كما دخلت عليهم فى غير ذلك كثيراً وصدقوا قصصهم فى فسق أنبياء بنى إسرائيل ومعاصيهم الكبيرة الكثيرة وصاروا يدافعون عن هذه القصص الفظيعة ويعتبرونها مقدسة إلى الآن!! فحاشا لله أن يصطفى من خلقه الفسقة الزناة السكيرين الكذبة الخونة (تك ٢٦ : ٧و٢٧ : ١٩) الكفرة (١ مل ١١ : ٥ و٦) الأشرار كما صورهم اليهود لا سامحهم الله.

ومن منهم أدار خده الآخر للضاربين (مت ٥ : ٣٩) وأحب أعداءه؟ أليست هذه التعـاليم كلها حِـبْرًا على ورق، وهى ذلك غُلوٌّ مـذمومٌ مـخالف للعـقل والعدل وللطبيعـة البشرية، وإيجابها فى جـميع الأحوال مؤد إلى المذلة وإلى الفسـاد بطغيان الأشرار وبتثبيط همة الأصدقاء وتنفيرهم لمساواتهم بالأعداء فيهملون ولا يبالون.

ومن منهم ترك ما اعتادوه من الانغـماس فى الملاذ والشهوات والترف وباع كل ماله كما فى لوقا (١٨ : ٢٢) ووزعه على الفقراء؟ وإذا أطاع الناس هذا الأمر أتصلح أحوال هذا المجتـمع ويتقدم إلى الأمام أم يبطل فـيه كل عمل واختراع واكـتشاف واجـتهـاد ما دامت الأمـوال كلها توزع من الأغـنياء على الفـقراء بلا عـمل ولا حساب؟

قال ملحدوهم الظاهر أن يسوع ما أمر بذلك إلا حيلة ليتمكن هو وتلاميذه من أخذ أموال الأغنياء ليعيشوا بها بلا عمل سوى التجول من مدينة إلى أخرى صارفين فى حاجاتهم كلهـا من أموال غيرهم حتى من النساء (لو ٨ : ١ - ٣) كـما هو شأن أهل البطالة والكسل المتشـردين، وإذا كان كل شئ ينال بالصلاة (كمـا قال فى مت ١٨ : ١٩ و ٢٠) فما حاجته بعد إلى أموال الناس التى كان يأخذها منهم ويحملها فى صندوق مع يهوذا الإسخريوطى (يو ١٢ : ٦)؟ فلماذا لم يترك المال لأهله ويسأل أباه السمـاوى فيعطيه كل مـا احتاج إليه هو وتلامـيذه الفقراء الذين لا عـمل لهم بعد اتباعه (مت ٤ : ١٩ - ٢٢) سوى الإنفاق من المال الذى كان يلقى لهم فى الصندوق من الناس.

فهذا شئ قليل من كثيـر مما أصبح بعض الأفرنج يقولونه فى المسيح. ومن أراد أكثر مـنه فليقرأ مثل كـتاب «الحقيـقة عن يسوع الناصرة» المذكـور آنفا (The Truth about jesus of Nazareth) وإنى أستغفر الله من كل هذا ومما جاء فى هذا الكتاب الإنكليزى وغيره من تأليف ملحدى النصارى أنفسهم.

وقال هؤلاء الملحدون أيضا «إذا صح أن يسـوع صدق فى نبوة واحدة من نبواته فهى قوله (مت ١٠ : ٣٤) (لا تظنوا أنى جئت لألقى سـلاما على الأرض. ما جئت

لألقى سلاما بل سيفا) فإن الأرض لم تخضب بدم أكثر مما خضبها به أتباعه منذ أن صارت لهم قوة ودولة، ولم يصدر عن أمة فى العالم ما صدر من أمته - حتى من رؤساء الدين منهم [١] من ظلم الأبرياء والأذى والاضطهاد وسائر أنواع المفاسد والمظالم حتى الآن كما هو مشاهد» انظر مثلاً ص ١٣٠ و١٣١ من كتاب «الحقيقة عن يسوع الناصرة» ويقولون إذا كانت هذه ثمرة دينه فى الأرض فبئست الثمرة، وإذا كان ذلك كله مما فعله فى ثلاث سنين وهو فقير حقير ضعيف مضطهد (أش ٥٣ : ٣) فكيف به لو كان أوتى عزا ومالاً وجاهاً وملكاً كبيراً وعمراً طويلا . لذلك كفر به هؤلاء الناس وكفروا بدينه وبكل ما جاء به وألقوا المؤلفات الضخمة فى مطاعنهم وردودهم وصاروا اليوم يدعون الناس فى أوربة جهراً إلى آرائهم وأفكارهم.

فليتأمل فى ذلك دعاة النصرانية الذين يطعنون وهم فى بلاد المسلمين (خوفا من أن يسمعهم ملحدوهم فيضحكون منهم) يطعنون فى محمد بمطاعن ضعيفة واهية لا تعد شيئا بالنسبة لما فعله المسيح وما يفعله الآن أتباعه كثيراً كالانتحار وشرب الخمور والربا والمقامرة وحب المال لدرجة الفناء فيه والفسق والخلاعة والتبرج والزنا والقتل والظلم والانغماس فى اللذات والشهوات وغير ذلك مما أتت به إلى بلادنا مدنيتهم الأفرنجية التى يسمونها مسيحية ولا يخجلون ويظنون أن المسلمين يخجلون من حكم الطلاق وتعدد الزوجات فى الإسلام وجهاد الأعداد [٢] فى سبيل الله بسبب ظلمهم لنا، فهذه الأشياء - على فرض قبحها - ليست كالأشياء التى رووها

---

(١) ولذلك تراهم الآن، وقبل الآن، فى كل زمان ومكان، يباركون الجيوش، ويدعون «يسوع» لأجلها، ويصلون فرحا بانتصاراتها ونجاحها فى سفك الدماء، وتيتيم الأطفال، وهتك الأعراض، وتخريب الديار، وهدم معالم التوحيد، وعبادة الرحمن، واستبدالها بالسجود للصور والصلبان، وعبادة (ابن الإنسان) وهو فى الحقيقة من كل ذلك برئ وعليه حاقد ناقم، وما هم فيه إلا متبعون أهواءهم وشياطينهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

(٢) إن شئت ان تقرأ بحثاً مستفيضاً فى هذه المسائل كلها فاقرأ رسالتنا «الإسلام» فى الرد على اللورد كرومر.

هم أنفسهم عن المسيح وأشرنا إلى بعضها هنا، والحكم عليها بالقبح مع ذلك ليس مما أجمع عليه العقل البشرى كمسائلهم تلك بل هى أمور اعتبارية.

الا ترى أن مسألة تعدد الزوجات فى الإسلام هى من المسائل التى يختلف الحكم عليها باختلاف عادات البلاد واختلاف أذواق أهلها فهى أقل من مسألة التزوج عند بعض الأمم بالأقارب الأقربين مثلا. فنحن وإن كنا نستفظع ذلك التزوج بالأقربين ونستقبحه ونمقته إلا أنه ليس من المسائل المجمع على قبحها بين سائر البشر، وكذلك عادة رقص النساء مع غير أزوجهن وإبداء زينتهن لغير محارمهن هى عندنا قبيحة شنيعة وعند الأفرنج حسنة وتعمل رسميا فى قصور ملوكهم فالخلاف بيننا وبينهم نقول فيه كما قال الشاعر:

نحن عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف .

جواب المسلمين عما ذكر عن المسيح من النقائص

فإن قيل: إذا كانت هذه المسائل التى حكيتها عن المسيح صحيحة فما جواب المسلمين عنها وهى تنافى معتقدهم فى المسيح الذى عظمه القرآن تعظيما، وإن كانت كاذبة فهل يعقل أن الإنجيليين وهم أحباب المسيح يخترعونها وينسبونها إليه كذبا؟

قلت: إننا لا نقول إن كل هذه المسائل اخترعها الإنجيليون أنفسهم بل نقول إنها روايات كاذبة افتجرها بعض أعداء المسيح الأولين من اليهود وغيرهم وروجوها بين أتباعه حتى اشتهرت وظنوها روايات صحيحة فدخلت الغفلة على رواة النصرانية (حتى على كتاب الأناجيل) لشدة جهلهم وغباوتهم كما دخلت على كثير من محدثى المسلمين وكتاب السير منهم بعض أشياء من المنافقين والوضاعين توجب الطعن فى محمد ﷺ والإسلام مع الفرق العظيم بين رواة المسلمين ورواة غيرهم فى نقد الحديث كما اعترف بذلك بعض علماء الأفرنج أنفسهم (راجع مثلا كتاب «المسحاء الوثنيين» ص ٢٣٨ و٢٣٩ لمؤلفة المستر روبرتسن J.M Robertson). ومع

ذلك فقد ترك بعض الإنجيليين بعض هذه الأشياء ولم يشر إليها أو ذكرها - لذيوعها بين الناس - بطريقة مخففة لرفع الإشكال بقدر الإمكان بحيث لا يرى منها أصل القصة جلياً واضحا إلاّ بالرجوع إلى الأناجيل كلها أو بعضها وأخذ عبارة فيها من هنا وعبارة من هناك حتى يتم فهم القصة، كمسألة تردد المسيح على بيت مريم ومرثا فى قرية (بيت عنيا). فإن علاقة المسيح بهما وكونهما عاهرتين يحبهما المسيح ويكثر مخالطتهما والمبيت عندهما إلخ إنما يستنتج ذلك كله من مجموع ما رووه فيهما لا من واحد منهم فقط.

ومن أعظم الأسباب أيضاً أن بعض هذه المسائل كان يوجد مثلها عند الوثنيين الداخلين فى المسيحية وقد تأصلت فى نفوسهم فلم يهن عليهم تركها فأدخلوها فى دينهم الجديد ليجعلوا المسيح كأحد آلهتهم لكى لا يشعروا بالفرق الكبير بين الدينين شأن البشر فيما ألفوه من آرائهم ومعتقداتهم وقد قبل منهم أكثر النصارى ما أدخلوه جهلاً منهم بحقيقة دينهم أو فرحا بهم واستمالة لهم لعلهم لا يرجعون.

وربما كان غرض بعضهم أيضا من ذكر هذه المسائل إظهار أن المسيح - وهو عندهم يغفر لمن يشاء (لو ٧: ٤٧ - ٤٩) وقد أعطى هذه السلطة لتلاميذه أيضا كما سبق (مت ١٨: ١٨ ويو ٢٠: ٢٣) - إظهار أنه فوق الناموس والشريعة وغير مقيد بها وله أن يتصرف فيها كما يشاء ويفعل ما شاء لأنه هو واضعها- على زعمهم - وشارعها للناس [1] وأنه إذا اقترب من المعاصى فلا يقع فيها إلا بمشيئته ولحكمة

---

(١) هذا لا يدل على أنهم كانوا يعتقدون ألوهيته الحقيقية لأنهم يقولون إن ذلك مما أعطاه الله إياه كالقدرة على الخلق وغيره (انظر يو ١٤: ٢٤ و٥: ٣٠) وقال يوحنا أيضاً (٣: ٣٥) (الأب يحب الابن وقد دفع كل شئ فى يده) وهو صريح كما قلنا مراراً فى أن الله هو الذى أعطاه كل شئ فهو عند كتاب العهد الجديد ليس إلها لذاته.

فإن قيل لعل هذا القول فى (الابن) باعتبار الناسوت.

قلت: إن هذا الناسوت باعتراف النصارى عاجز جاهل كباقى البشر وليس فى يده شئ وهو أيضاً حادث ولم يخلق شيئاً من العالم، وإنما الذى فى يده - بزعمهم - كل شئ وخلق العالم (يو ١: ٣) هو (الله الابن) وهذا بنص الإنجيل لم تكن له القدرة من ذاته بل الله هو الذى=

نجهلها، ولـذلك ترى أن أكثر مثل هذه القصـص التى أريد بها غالبا إظهـار كبريائه وعـدم مبـالاته بالناموس وأنه فـوق كل شئ واردة فى إنجـيل يوحنا دون غيـره أو مستـوفاة فيه أكثـر ، وهو الإنجيل الذى ذكر أيضا (٨: ٢ - ١١) قـصة عدم حكم المسيح بالرجم على الزانية (عدد ١١) بحجـة تعطل تنفيذ جميع حدود الله، وتبطل شريعة موسى فى ذلك وفى غيره (لا ٢٠: ١٠) (راجع أيضا يو ٤: ٩ - ٣٠).

وأما عبارة إنجيل لوقا (٩: ٥٦) التى تشبه فى المبدأ مسألة الرجم هذه فقد وجدوا أنها متروكة من بعض النسخ القديمة وهو دليل على زيادتـها فيه ليجعلوا إنجيل لوقا كـإنجيل يوحنا (انظر يو ٣: ١٧ و١٢: ٤٧) فـيـجوز أن يكون اخـتراع هذه المسـائل والقصص هو لمثل ذلك الغرض (أى إظهار أنه فوق الناموس وأنه أكبر من كل شئ) وإن كان هذا الاختـراع قد أدى إلى عكسه فذم الناس المـسيح ذما شنيعا بـسبب ما نسب إليه، ولكن كتابهم ما كانوا ينتظرون حصـول هذه النتيجة المحزنة. وأيضا فقد كان الاستهتار بالشريعة الموسوية وعدم المبالاة بها وبأحكامها أكبر ما سعى إليه بولس وتبعه فى ذلك كـثير من الأمم لسهولتـه كما هو معلوم، فلذا قـالوا عن المسيح ما قالوا فإن مبادئهم كانت أقرب إلى الإباحية والاشتراكية من أى شئ آخر كما سبق.

أما غرضنا نحن مـن ذكر هذه المسائل هنا مع أننا نبرأ منهـا إلى الله مرارا وتنفر منها طبـاعنا، والإسلام يحرم علينا نسـبتهـا إلى عيسى عليـه السلام ويوجب علينا التأدب فى حـقه وحق سائر الأنبـياء - فهـو أن نظهر أننا يمكننا أن نقـابل النصارى بالمثل لولا ديننا وآدابنا وأن نرى مـتعـصبـيهم أن الطعن فـى محمـد عليه الـسلام بالروايات الضعيفـة والأحاديث الموضوعة أو بالمسائل المختلف بيننا وبينهم فى قـبحها وحسنها ليـس من العقل ولا من الإنصاف فى شئ وعندهم فى أناجيلهم الـقانونية (لا الموضوعة) ما يوجب الطعن فى المسيح بأشـد مما يوجد عندنا فى محمد، حتى نفر عقـلاؤهم وعلماؤهم فى أوربا من المسيح والمسيحـية. «ومن كان فى بيت من زجاج لا يليق به إن كان عاقلا أن يرمى بالحجارة الساكنين فى بيوت من حديد».

ومما تقدم ترى أن الاعتقـاد بهذه الأناجيل ضار بمقام المسيح عـليه السلام ضرراً

بليغا ولا خلاص للناس من كل الإشكالات المتقـدمة وغيرها التى أوقعت المفكرين والعقلاء فى الإلحاد إلا بنبذ هذه الكتب والاعتقاد بالقرآن الشريف فإنه هو الذى برأ المسيح - بالحق - من كل عيب ومن كل دعـوة إلى عقيدة باطلة ورفع مقـامه رفعاً حقيقياً عاليا.

أما هذه الأناجـيل فقد حطتـه من حيث لا تشعر وهى تسـعى فى تأليهه بنسـبة أقوال إليـه تدل - لو صحت ولن تصح - على جنون قـائلها لشدة بسـاطة كاتبيـها وبعـدهم عن العلم الصحـيح والعقل وشـدة تأثرهم بالوثنيـة. ومع أن رواية هذه الأناجيل هى عند النصارى أصح الروايات بل مكتوبة بالوحى الإلهى، فقد رأيت ما تؤدى إليه من نسبة ما لا يليق إلى المسيح وهو منه براء عليه السلام.

فكيف يكون الحال إذا عاملنا النصارى كمـا يعاملوننا فى طعنهم فى محمد ﷺ وأخذهم بكل سـخيف ضعيف من الروايات ؟ ولكن ديـننا يحول بيننا وبين ذلك، وهو أيضا لا يتيسر لنا لأنهم أضاعوا الروايات الأخرى وأغلب الأناجيل ولم يبق إلا مـا وافق آراءهم وأهواءهم، ومع ذلك فـنحن قـد أخـذنا بأصح روايـاتهم فى اعتقادهم وأريناك كيف تؤدى إلى الطعن فى المسيح عليه السلام.

مقارنة بين عيسى و محمد

وهم إنما يأخذون بأضعف الروايات عندنـا وأسخفها بل بالموضوع منهـا وأحيانا يفتجر بعضهم الروايات لنا افتجارا.

فهل أمكنهم بعد ذلك كله نسبة شئ قبيح قبـحا حقيقياً لمحمد ﷺ (١) كـخلوته

= دفعها له كمـا قال يوحنا وغيره (انظر أ ع ٢: ٢٢ و أ ف ١: ٢٢ و ١ كو ١٥: ٢٧ و ٢٨ ومتى ١١: ٢٧) فكيف إذاً يكون إلها حقيقياً مساوياً للأب فى كل شئ كما يزعمون؟!

(١) هذا مع انحطاط الوسط الذى نشـأ فيه محـمد ﷺ من أكثـر الوجوه عن الوسط الذى =

بالزانيات وحبه لهن، وتردده عليهن مرارا هو وتلاميذه، ودلكهن قدميه بالطيب، ودهن رأسه به ومسح رجليه بشعورهن، وعدم إنكاره على الناس شرب الخمر، ومساعدتهم على ذلك، بل فرضه عليهم وسكره، وتجرده من ملابسه مرة أمام تلاميذه، وعشقه لأحدهم وإجلاسه له فى حضنه، وكذبه على إخوته، وعقوقه لوالدته، ومنعه تلميذه من دفن أبيه، وحقده على كل من لم يؤمن به الخ.

وهو مع ذلك كله فقير مسكين ضعيف مضطهد، فما بالك إذا أوتى ما أوتيه محمد من الملك والعز والمجد والعظمة وسعة الرزق وطول العمر. وقد حث عيسى تلاميذه - وهو ضعيف - على المقاومة للدفاع عنه وحمل السيوف واستعمالها فى ذلك وأمر الناس كافة ببغض آبائهم وسائر أقاربهم الأقربين وإلقائه الشقاق والحرب والتفريق بينهم، ثم إن أعظم تعاليمة موجبة لضعة النفس والذل، وهى ليست عملية، ولا يمكن إطاعتها وفيها من الغلو ما فيها وتؤدى إلى خراب هذا المجتمع، بل القيام ببعضها مستحيل حتى عليه هو نفسه كمحبة الأعداء وهو

=نشأ فيه المسيح حيث كانت توجد شرائع اليهود وكتبهم الدينية وآداب اليونان والرومان وكتبهم العلمية والفلسفية وغيرها. وأما أهل مكة والعرب عموماً فكانوا وثنيين جاهلين منغمسين فى الشهوات كالخمر، وحب النساء، وفى سفك الدماء، ووأد البنات، والسلب والنهب والأذى، والقسوة ففاقهم محمد جميعاً بدرجات عالية منذ صغره وكان مثال الكمال بينهم فى كل شئ.

وأما المسيح فلا نعلم فى أى شئ فاق قومه - بحسب هذه الأناجيل - وجميع تعاليمه الحسنى توجد فى كتب اليهود وغيرهم من قبل كما بينه كثير من علماء الأفرنج أنفسهم نعم نحن لا ننكر أنه نشر هذه التعاليم العالية بين عامة اليهود علما وعملا بعد أن كانت فى كتبهم لا يقرؤها إلا بعض خاصتهم ويندر وجود من يعمل بها كلها منهم ولذلك قال تعالى فيهم ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥] وبسبب عيسى عليه السلام انتشرت بين العامة والخاصة حتى عرفت فى العالم الرومانى كله واشتهرت بين الناس إلى اليوم، ولكنها مشوبة بشوائب كثيرة حاول بعضهم - كالفيلسوفين تولستوى ورينان - تجريدها منها.

نفسه لم يحبهم بل كان يسبهم سبا شنيعا (مت ٢٣ : ١٣- ٣٦) ويحقد عليهم وما منعه من الانتقام منهم إلا ضعفه كما بينا، ومن ذلك حثه الناس على بذل «جميع» مالهم للفقراء وعلى عدم اهتمامهم بشؤون الحياة وترك العمل (١) (مت ٥ :٤٤

(١) تعاليم المسيحية ومنافاتها للمدنية

مقتضى هذه التعاليم (مت ٦:٢٥ - ٣٤) و (لو ١٢:٢٢ - ٣١) أن لا يهتم الإنسان بشئ من حاجاته الجسدية من مأكل وملبس ومشرب ومسكن وأن يهملها كلها وعلى ذلك تكون قذارة الثوب ورثاثته ووساخة الجسد والمسكن وفساد هوائه والفقر من المستحبات ودلائل التوكل والإيمان فى المسيحية فمن من النصارى يعمل بهذه الأوامر؟ وإذا عملوا بها فكيف تكون حالتهم الصحية؟ وهل هذه التعاليم تساعد على الاكتشافات والاختراعات وترقى العلوم الطبية والهندسية والاجتماعية والاقتصادية والنظامات الدستورية وغيرها من علوم العمران والحضارة والمدنية؟ وما حاجة الناس إلى هذه العلوم إذاً وإهمال الجسد والذل والفقر والكسل عن كل عمل دنيوى من أعظم دلائل الفضيلة والطاعة والإيمان والتوكل على الله بحسب الإنجيل؟

وهل اتهام متعصبى النصارى الإسلام بإنه هو السبب فى قذارة المدن وفساد هوائها وضعف صحة أهلها وخرابها واستبداد ملوكها صحيح أم هو مقتضى تعاليم المسيحية التى أخذ بها متصوفو المسلمين ثم عمتهم كلهم حتى أصبحوا أشد تمسكاً بها من أهلها الذين أهملوها ألبتة حتى ضرب بينهم وبينها بسور من حديد كما هو مشاهد فى كل زمان ومكان.

قارن عبارات كتبهم هذه بقول القرآن ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١] وقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥] وقوله ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] الآية ونحو ذلك كثير سنذكر بعضه هنا.

وقول المسيح بحسب رواية لوقا (١٢:٢٢-٣١) لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون ولا للسجد بما تلبسون .... تأملوا الغربان إنها لا تزرع ولا تحصد وليس لها مخدع ولا مخزن والله يقيتها. كم أنتم بالحرى أفضل من الطيور.............. فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون ولا تقلقوا .... بل اطلبوا ملكوت الله وهذه كلها تزاد لكم» فضلا عما فيه من الحض الصريح على ترك السعى والعمل والجد والاجتهاد فى الدنيا - هو أيضاً غير صحيح فإن سنة الله فى هذا الكون أن الإنسان إذا ترك السعى والعمل خسر كل شئ، ولو طلب ملكوت الله كل يوم ألف مرة لما زيد له شئ من مطالب الحياة إلا إذا أصبح عالة=

و٦:٢٥ و١٩: ٢١ - ٢٥) وحضه لهم على عدم التزوج وعلى الخصاء (مت

= على الناس يحسنون إليه بشئ من كدهم وعملهم حتى إذا ورث شيئا وترك العمل فيه خسره تدريجيا إلى أن يفقده . فإذا اتبع جميع الناس هذه التعاليم أكان العالم يصل إلى ما وصل إليه من الرقى والتقدم؟

وهل ما وصل إليه الأفرنج الآن هو بفضل هذه التعاليم المسيحية كما يدعى المبشرون؟ ومن منهم يعمل بها إلا أهل البطالة والكسل أو الشحاذون؟ وهل هذه الأوامر تتفق مع سنن الوجود؟ فليجربها من شاء منهم وليترك الاهتمام والعمل ثم ليرنا أى شئ زيد له من مطالب الحياة؟

أما القرآن الشريف فقال **﴿وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾** [القصص: ٧٧] وقال **﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾** [الملك: ١٥] وقال **﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾** [الجمعة: ١٠] وقال **﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾** [البقرة: ٢١٩] أى فى أمورهما معا وما به صلاحهما فأين الثريا من الثرى؟

وقال القرآن الشريف أيضا **﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (١٩) كُلاًّ نُّمِدُّ هَٰؤُلاءِ وَهَٰؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾** [الإسراء: ١٨] ونحوه فى القرآن كثير وهو يفيد أن من أراد الدنيا وسعى لها سعيها أوتيها ولو كان كافراً أو من أراد الآخرة كذلك أوتيها وأما من لم يرد الدنيا ولم يعمل لها فلا يؤتى منها ما يؤتاه العاملون ولو كان صالحا تقيا طالباً ملكوت الله، وهو الحق كما هو مشاهد بخلاف قول الإنجيل فإنه يفيد أن من طلب الآخرة ولم يطلب الدنيا أوتى الدنيا أيضاً.

وقال القرآن **﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾** [آل عمران: ١٤٥] فطلب الدنيا شئ وطلب الآخرة شئ آخر ولا يعطاهما إلا من طلبهما معا ولا يغنى طلب الآخرة وحدها عن طلب الدنيا، كما هو صريح الإنجيل، فإن ذلك مخالف لسنن الكون المعروفة، وقد كانت هذه الأفكار المسيحية من أسباب تأخر المسلمين فإنها انتقلت إليهم ممن دخل فى دينهم من النصارى الأولين وفشت فيهم مع ترك النصارى أنفسهم لها منذ أن ارتقوا ولو اتبعوها لتركوا كل عمل وكرهوا الحياة الدنيا وعدوها سجنا لهم يجب الخلاص منه بالتجرد عنه حتى يموت الإنسان كبعض أهل الهند!! وهى مبادئ لا تتفق مع مبادئ القرآن فى شئ كما لا يخفى على الباحثين.

سر فى المدن الأوربية أو فى الإحياء الأفرنجية الشرقية، فى أيام الآحاد ، أو الأعياد، وانظر =

١٩ : ١١ و١٢) وإيجابه الطاعة العمياء والخضوع للرؤساء بلا قيد ولا شرط لشدة

=إلى جمال الأفرنج والأفرنجيات وتأنقهم وجمال مساكنهم وملابسهم ولذيذ مشاربهم ومآكلهم وتمتعهم بسائر أنواع الملذات والشهوات والمسرات وخصوصا التمتع بالنظر إلى الكاسيات، العاريات، من الغانيات الحسان، والفتيات الفاتنات الكاعبات ، الأبكار والثيبات، وقل لى بأبيك فى أى شئ تتفق هذه المدنية الأوروبية (أو الرومانية باعتبار أصلها) مع التعاليم المسيحية الحاثة على الفقر والتقشف وترك مطالب الحياة وإهمالها كلها، والحاضّة على الزهد فى الدنيا والناهية عن الاعتناء بالجسد والآمرة بطلب الخبز الكفاف من الله يوما بيوم (مت ٦ : ١١) والمحرمة النظر بشهوة إلى الأجنبيات (مت ٥ : ٣٨) مع أنه لا توجد نساء فى الدنيا تبدى من الخلاعة والزينة وكشف أجزاء من أجسامهن واختلاطهن بالرجال والرقص معهم وتبادلهن معا كؤوس بنت الكروم أكثر من الأفرنجيات المسيحيات!!

فبأى حق أو عقل يسمون هذه المدنية الأوروبية بالمسيحية وبينهما كما بين السماء والأرض، إنى والله لا أجد فى الدنيا اسماً أكذب من هذا الاسم. ولا يصح اعتبار المسيحية الدين الكامل للبشر، الختامى لهم بل كان فقط درجة تمهيدية فى ذلك الزمن زمن بعد اليهود عن روح الدين وتعلقهم بقشوره وانتشار المدنية الرومانية وما فيها من الإسراف والترف والملاذ والإغراق فى الماديات، مع عدم ارتقاء العقل البشرى إلى الدرجة التى ارتقى إليها فيما بعد فأتت المسيحية بالغلو أيضا لتقدر به على مقاومة كل ذلك ولتهيئ النفوس لقبول الإصلاح الإسلامى الختامى الجامع بين مصالح الدين والدنيا ومطالب الروح والجسد والخالى من الإفراط والتفريط لعدم حاجة الناس فى زمنه إلى غلو المسيحية لارتقاء العقول والنفوس عن ذى قبل فيكفيها الاعتدال فى بيان الحقيقة على أكمل أوجهها، فهذا هو سبب اختلاف المسيحية عن الإسلام فى أوامرها وتعاليمها فإنها لا تناسب إلا زمنها . .

ولكن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ولذلك تجدة أقرب إلى الفطرة البشرية والعقل من كل دين آخر، ولا تجد سواء يتفق مثله مع أصول المدنية الصحيحة والحضارة والعمران والعلم.

والذى يدلك على ارتقاء الناس فى الجملة علما وعقلا ونفسا فى عهده عن ذى قبل (مع أن ذلك من مقررات العلم الحديث القائل بترقى المتأخر عن المتقدم) إنهم كانوا أبعد عن الوثنية، أميل إلى التنزيه والتوحيد، وكان عندهم ميل شديد ورغبة عظمى فى البحث والنقد والتمحيص، حتى حفظت أصول ديننا كلها بدون تحريف ولا تبديل، وقد بلغوا فى علم النقد والفلسفة العقلية مبلغاً لا نكون كاذبين إذا قلنا إن الأفرنج إلى الآن لم يساووهم تماما فى ذلك، ولذلك جاءهم الدين خالياً من التكليف بالمحال ومن الغلو، معتدلا فى جميع =

خوفه من قياصرة الرومان، ونصه على أن سلطتهم هى من الله (مت ٢٢:١٥-٢٢ ويو ١٩:١١) ولذلك قال بولس اتباعا له «إن من قاومهم قاوم ترتيب الله وسيأخذ لنفسه دينونة» (رو ١٣:١و٢)[1].

=ما شرعه لهم، لأنهم كانوا قد ارتقوا عن درجة الطفولية التى كانوا فيها من قبل وأصبح عندهم من التمييز والعقل وقوة الإرادة ما لم يكن عند الأولين، ولو جاءت المسيحية معتدلة مثله لما كان لها ما كان من التأثير فى تلك العقول الضعيفة، والنفوس الصغيرة، ولبقى الناس حيث كانوا، فتبارك الله أحكم الشارعين.

(١) قارن ذلك بقول القرآن الشريف ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ «لاحظ قوله هنا: منكم» فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول﴾ وهو صريح فى أن طاعة أولى الأمر لا تجب علينا إلا فيما لا يخالف الدين، فإن اشتبه علينا الأمر جاز لنا أن نتوقف وننازعهم فيه، ووجب أن نرده إذاً إلى الله ورسوله (أى إن كان حياً) حتى لا نعمل إلا بما وافق الدين وهو يدل على وجوب العمل بالقياس والاستنباط المبنيين على العقل والتفكر فيما أوحاه الله إلينا.

=لرد إلى الرسول فى زمنه واجب لأنه عليه الصلاة والسلام كان أعقلهم وهو أدرى الناس وأعلمهم بأسرار شريعته، ومع ذلك فهو مأمور بالشورى بنص قوله تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٨] ولذلك كان عليه السلام يستشير أصحابه وكان منهم من يعارضه فى أفكاره وآرائه حتى كان يرجع عن رأيه لرأيهم، ولكن إذا قرر شيئاً بعد الشورى وبعد النظر فى الكتاب العزيز ولو خالفهم فيه وجب الإذعان له وإطاعته فإنه كان يرى مالا يرونه ولذلك قال تعالى ﴿فردوه إلى الله والرسول﴾ [النساء: ٨٣] والرد إليه خاص بزمنه.

وفى القرآن نحو ذلك من الآيات كثير كقوله تعالى: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [الور: ٦٢]٣ وقوله: ﴿لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] وقوله: ﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة: ١٢] أما بعد وفاته ﷺ فيرد الأمر كله إلى كتاب الله أو إلى ما علم عنه ﷺ باليقين، والذين يردون الأمر هم نواب الأمة ورؤساؤها وأولياء أمرها لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] فالمستنبطون الأمر من كتاب الله =

لهذا كله كـان اليهود مـعاصروه يرون أنفـسهم أرقى منه علمـا ونفسا وأخـلاقا

=هم هؤلاء الناس الخاصة من المؤمنين لا العامة منهم ويجب عليـهم فى بحثهم واستنباطهم مشاورة بعضهم بعضا بحيث لا يستبد أحد بالأمر فيهم لقوله تعالى ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ فإذا قرروا شيئا بعد ذلك وجب على عامة الأمة إطاعته، ما لم يكن مخالفا لدين الله، فإن ذلك بالضرورة لا يكون مسـتنبطا منه، وإذا اختلف هؤلاء المستنبطون معـا وتساوى عددهم ولم يمكن الترجـيح بينهم كان للأمة الحق فى أن تعمل بما تراه آراؤهـم أقرب إلى نصوص الدين.

هذا هو ما يستفـاد من مجموع آيات القرآن فى هذا الباب فـأى مبادئ أدعى من هذه إلى العدل ومنع الاسـتبداد وإيجاب الشـورى والتفكر والحرية وعزة النفس؟ وأى فـرق بينها بين نظامات أرقى أمم العـالم الحالى النيابية الدسـتورية؟ وإلى أى الدينين (الإسلام أم المسيـحية) ترى أن مـبادئ هذه الأمم الراقـية أقـرب أو أشبـه؟ وأنت ترى أن المسيـحيـة توجب عليك الخضـوع للسلاطين ولو كانوا ظالمين وتنـص على أن سلطتهم هى من الله وأن من قاومـها فقد قاوم الله واستـحق عقابه كما قال: سلطتهم هى من الله وأن من قاومـها فقد قاوم الله واستحق عقابه كما قال بولس إرضاء للقـوة الحاكمة فى زمنه وتملقا لها كعادته (رو ١٣: ١ - ٧) وقال بطرس أيضاً (١ بط ٢: ١٣) (فاخضعوا لكل ترتيب بشرى من أجل الرب. إن كان للملك فكمن هو فوق الكل ١٤ أو للولاة فكمرسلين منه للانتقام من فاعلى الشر وللمدح لفاعلى الخير) إلى قولـه (١٨ أيها الخدام (أى العبيد) كونوا خاضعـين بكل هيبة للسادة ليس للصالحين المترفـقين فقط للعنفاء أيضاً) فأين ذلك من القـرآن الذى قال: ﴿ولا يعصينك فى معروف﴾ وقال: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ٣] وقال: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] والذى ألزم الناس بعتق من طلب الحرية من الأرقاء مكاتبة إن علمنا صلاحـيتـه لذلك وأوجب عليهم إمـداده بالمال حتى يقدر علـى مكاتبة سيـده فقـال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣] وأحكام الرق فى الإسلام شهيرة وهى من أعظم ما يفتخر به فى هذا العصـر وما وصلت إلى مـثلها أوربا إلا بشق الأنفس وبعـد قرون عديدة بفـضل ديننا وكتبه وقد بينا شيئا منها فى كتابنا (الإسلام) فى الرد على اللورد كرومر (ص ١٧-١٩ و ٤٠ - ٤٦) فليراجعه من شاء.

ولكنا نعذر مؤســسى النصرانية كبولس وبـطرس فيما قالا فإنـهما لو فاها ببنت شفـة يفهم منها

وتدينا[1] وما كانت تعجبهم أحواله وأعماله حتى كانوا يعيرونه بكثرة شرب الخمر وحب الخطاة كما سبق (لو ٧: ٣٤).

وأما محمد ﷺ فلم ير فيه معاصروه أدنى عيب، ولم يطمع أحد منهم فى مسابقته فى العلم والفضل، والكمال والعقل، والصدق والإخلاص، والصلاح

الانتقاد على نظامات الرومان إذ ذاك أو الخروج عليهم لما أبقوا للنصرانية باقية فكانت تلك السياسية فى منتهى الحكمة فى زمن ضعفهم وذلهم فإنهم كانوا يتقون كل ما يوجب إيذاؤهم واضطهادهم وخصوصا مثل تلك المسائل السياسية ولذلك ترى الآن محققى المؤرخين من الأفرنج أنفسهم يشكون فى أكثر قصص اضطهاد النصارى الأولين بعد أن علمت مسالمتهم وخنوعهم إذ لا يفهم هؤلاء المحققون سببا لها وقد كان الرومانيون واسعى الصدر أحراراً فى المسائل الدينية وخصوصا مع رعاياهم الضعفاء الأذلاء الخاضعين لهم كمال الخضوع كهؤلاء النصارى الأقدمين.

(١) هذا الكلام كله مبنى على فرض صحة جميع ما فى هذه الأناجيل كما قلنا مرارا، فلا تنس ذلك، والحق أننا لا نؤمن بها ولا نعبأ بروايتها.

الكبائر (راجع القرآن ٢: ١٠٢ و ٢٠: ٨٧ - ٩٧) ولم يذكر من تاريخ الآخرين إلا ما فيه عبـرة وما به تغذية النفوس بالصلاح والاستقـامة وتحصين الأخلاق والآداب بسياج الفضائل، فلم ينسب لهم شـرب الخمر ولا السكر به، ولا الخيانة ولا الزنا، ولا الغش ولا الكذب، ولا التعـدى على بناتهم بالفسق فيـهن، ولا عمل الأصنام لأممهم ولا الشرك بالله وعبادة غيره، إلى غير ذلك مما لا فائدة فى نشره عن الأنبياء إلا إشاعة الفـاحشة بين الناس والاستخـفاف بالدين ومخالفة أوامـره ونواهيه والكفر بالله أو الشرك به وخصوصا لأن كتبهم ذكرت بعض هذه الجرائم ولم تذكر معها ما ينفر كما ترى فى سفر التكوين مثلا، فللناس أن يقولوا إذا كانت الأنبياء لم تقو على الاستقامة فكيف نقوى عليها ونحن أقل منهم فى كل شئ، وإذا كان الله لم ينبذهم مع أننا نرى أن بعضهم لم يتب من ذنبه أو كفره فلم نخافه أو نخشاه؟

ومن ذلك يعلم أن القرآن قد امتاز عن كتـبهم بالفضائل والآداب العالية وبالحث الكثيـر على الصلاح والتـقوى والتوبة حـتى أنه لم يذكر لنبى هفـوة إلا ذكر معـها استغفـاره وإنابته إلى الله وتوبته منها مع أنه لم يذكر عنهم مثل ما ذكـرته كتبهم عن نوح مثلا (تك ٩: ٢٠ - ٢٧)[١].

---

(١) سُكْرُ نوح

من العجيب أن الله قد أظهر رضاه عن نوح بعد جريمة السكر بأن تقبل دعاءه لأولاده حتى أنه ظلم لأجله حفـيده كنعان بن حام وآخـذه بذنب أبيه (تك ٩: ٢٢ و٢٥) فكيف يطيع الله نوحا لدرجة أن يعول على دعائه على كنعان البـرئ مع أن الظاهر من قصته أنه ما دعا على كنعان إلا لأنه لم يفق تمامـا من سكره فلم يميز بين ولـده المذنب إليه وحفيـده البرئ؟! ولم يذكر فى كـتبهم أن نوحـا تاب من ذنبه هذا، فأية عـبرة للناس فى هذه القصـة سوى أنهم يعلمـون منها أن الله تقـبل دعاء السكران حـتى ظلم لأجله حفـيده؟ فليكثـر الناس إذاً من شرب الخمر ليكون دعاؤهم مقبولا عند إله النصارى هذا المحب للخمر وشاربيها حتى شبهته كـتبهم بالسكران (مز ٧٨: ٦٥) وامـتلأت بذكر سكر الأنبـياء وإسكارهم لغيـرهم وبإيجاب تقريبـها للرب!! (راجع مثـلا تك ٩: ٢١ و ١٩: ٣٢ و ٢٣ و٣٥ و٢٧: ٢٥ وخر ٢٩: ٤٠ ولا ٢٣: ١٣ و ٢ صم ٦: ٩ و١١: ١٣ ويو ٢: ٧ - ١٠ ومت ٢٦: ٢٧).

ولوط (تك ١٩ : ٣٠ - ٣٨) [(١)] و إسحاق (تك ٢٦:٧) ويـعقوب (تك ٢٧ : ١٩)

---

(١) جريمة لوط

يقول بعض المتعذرين عن سيئات كتبهم وأنبيائهم : إن جريمة لوط - سكره وزناه بابنتيه (تك ١٩ : ٣٠ - ٣٨) هى منحصـرة فى السكر فقط لأنه ارتكب ما ارتكب وهو لا يعى شـيئا، والحكمة عندهم فى ذكر هذه القصة هى إظهار درجة قبح شرب الخمر وبيان ما تؤدى إليه، مع أن القصة ذكرت فى كتبهم كأنهـا أمر عادى وكأن لوطاً وابنتيه لم يرتكبوا منكراً حتى لم يذكر أن الله وبخـهم أو عاقبهم على ذلك أو أن لوطا تاب من ذنبـه أو علم به، بل قال إن ابنتيه حملتا من هذا الزنا ومنهما تناسل بعض الأمم (الموآبيين وبنى عمون) وبعد ذلك سمى فى العهـد الجديد بارا (٢ بط ٢:٧ - ٩) فـأية عبارة أتى بـها الكاتب فى قصـته هذه لبـيان شناعة هذا العمل الفظيع واستقباحه له أو وجوب التوبة منه؟

ومَن مِن الناس يجهل مضار الخمر وهى عند السكيرين أنفسهم أم الخبائث وكلهم يعرفون ذلك ويعترفـون به وبضعف إرادتهم عن تجنبها، فـما فائدة هذه القصـة إذاً؟ ولماذا لم ينتخب الكاتب حادثه أخرى من التى وقعت على أيدى أحد الأشـرار السكيرين - وهى كثيرة فى كل زمان ومكان - بحيث تكون العبرة فيها أظهرو أوضح لبيان شناعة الخمر وقبحها وضررها إذا صح أن هذا هو حقيـقة غرض الكاتب من ذكر هذه القـصة؟ أما كان الأولى بكتـبهم أن لا تبيح لهم الخمر ولا تأمـرهم بشربها بدلا من ذكر هذه القصص الساقطة؟! أو لا يـشعر الإنسان عند قراءتها أنهـا تهيئ الأشرار الأدنياء لارتكاب أفظع المنكرات أكثـر مما تزجرهم عنها، لأنه إذا كان لوط نبى الله الذى اختاره الله لوحيه وكـلامه ولإرشاد الناس لم يقدر على منع نفسه من السكر وأقبح الفسق فكيف بهم وهم من أضعف المخلـوقين؟ وكيف يقدرون على مالم يقدر عليه الأنبياء المختارون المؤيدون بعنـاية الله ورعايته؟ وإذا صح أن لوطاً كان لا يعى شيئا حتى لم يقدر أن يـميز بناته من غيرهن فكيـف أمكنه مجامعتـهن والحالة هذه مع العلم بأن الإنسان إذا اشتـد سكره إلى درجة عدم تمييز بناته ومـعرفتهن وفقد شـعوره حتى لم يعلم باضطجاعهن ولا بقيامهن كما قال سفر التكوين (١٩ :٣٣ و٣٥) فلا يقوى على أى عمل أو أية حركة مقصودة. إذاً لوط ما زنى إلا بعلمه وإرادتـه وإنما كان تأثير الخمر عليه - كعادته - أنها جرأته على ارتكاب أكـبر جريمة وأضعفت قدرته عن مـقاومة شهوته هذه البهـيمية (بل الأحط) وإذاً فهو مسؤول عما اقترف كما فى قوانين الأمم الراقية.

ومن أعجب العجائب أنه مع علمه بذنبه هذا ومعـرفته لابنته - كما بينا - وزناه بها فى أول ليلة وشعوره بأنه لم يقدر على مقـاومة نفسه بسبب تأثير الخمر عليه عـاد فى الليلة الثانية فسكر مع ابنته الأخرى وزنـى بها أيضاً وافتـضها كالأولى!! فلم كـال الله له بغير ما كـال به لقومه =

وهرون (خر ٣٢ : ١ - ٦)[1] وداود (٢ صم ١١ : ٢ - ٢٧) وسليمان (١ مل

=ولم يخسف به الأرض مثلهم مع أن إثمه أكبر وجرمه أفظع؟ أفلا تنفر النفوس من مثل هؤلاء الأنبياء وهم أنفسهم لم يعملوا بما يعظون به غيرهم؟ ثم ألا تضيع بذلك الفائدة من بعثهم؟

فالحق أن هذه القصص مستحيلة على أنبياء الله بل على فضلاء البشر ولولا ذلك ما سمى كتابهم لوطاً بارا تقيا كما سبق ، وإنما افتجر اليهود هذه القصص تبريراً لشرورهم الكثيرة وعصاينهم لله مرات عديدة واعتذارا بها عن جرائمهم وآثامهم المتكررة فكأن كاتبها يقول: «إذا كان أنبياء الله لم يقووا على الاستقامة فكيف يقوى أمثالنا عليها ونحن أضعف منهم طبعاً وكيف بعد ذلك يطالبوننا بالصلاح والتقوى أو يلوموننا على العصيان والفسوق؟ وإذا كان الله غفر للأنبياء هذه الجرائم كلها ولم يغضب عليهم ولم ينبذهم نبذ النواة بل رضى عنهم فلم لا يرضى كذلك عن اليهود ويغفر لهم كل ما اقترفوه»؟ هذا وغيره - كما يأتى - ربما كان هو الحامل لكتاب اليهود على افتجار هذه الأقاصيص واختراع هذه الأكاذيب لإرضاء أمتهم وملوكهم الفاسقين ومكانها من الصحة لا يخفى إلاّ على من فقد كل تمييز فكاتبها إنما هو دسّاسٌ فاسقٌ يريد بها غالبا ترويج الفسق والفجور وإشاعة الفاحشة فى الصالحين وستر قبائحه وقبائح قومه وإسكات اللائمين، فهذه ياقوم إحدى قصص هذه الكتب التى يقولون إنها لا تنشرُ إلا الفضيلة بين الناس!

وقال العلامة «لينج» فى كتابه (الأصول البشرية) ص ٨٧ ما مضمونه: إن السبب الذى حمل اليهود على افتجار قصة لوط هذه هو بغضهم الشديد لنسله الموآبيين والعمونيين مع أنهم أقاربهم، فقد كانت العداوة بين الفريقين شديدة جداً ومتأصلة فيهم من قديم الزمان كما لا يخفى على المطلعين على كتب اليهود (انظر مثلا تث ٢٣ : ٣ - ٦).

(١) حقيقة السامرى

إذا أردت الاطلاع على الجواب تفصيلا عن شبهتهم فى لفظ «السامرى» الوارد فى القرآن أنه هو الذى صنع العجل فاقرأ مقالات «القرآن والعلم» فى المنار مجلد ١١ جزء ٤ ص ٢٨٦ وكذلك كتاب «الدين فى نظر العقل الصحيح» ص ١١٤ - ١١٦ و ص ٩٨ و٩٩ من الجزء الأول من كتاب «الهدى إلى دين المصطفى » لأحد علماء الشيعة المحققين.

وملخص الجواب وأحسنه: أن تعريب لفظ «شُمرون» العبرى (بكسر الشين وبضمها كما فى يش ١١ : ١ و ١ مل ١٦ : ٢٤ و ١ أى ٧ : ١) هو سامر أو سامرة، فالسامرى (وبالعبرية شمرونى بكسر الشين) هو أحد الشمرونيين (عد ٢٦ : ٢٤) أولاد شمرون بن يساكر بن يعقوب (تك=

١١ : ٥ ,٦) وغيرهم من أنبياء الله الأمناء الطاهرين الذين أقامهم الله ليكونوا قدوة حسنة ومثالاً صالحاً للناس.

= ٤٦ : ١٣) وكانوا من عشائر بنى إسرائيل المعدودين فى الجند على عهد موسى عليه السلام وخرجوا معه من أرض مصر (انظر تك ٤٦ : ٨و١٣ وعد ٢٦ : ٤ و ٢٤).

فالسامريون الذين منهم سامرى القرآن هم أولئك الشمرونيون ، لا السامريون الحاضرون الذين وجدوا بعد موسى بقرون.

واعلم أن لفظ (شِمرون) بكسر الشين ورد فى كتبهم علماً لشخص «كما فى ١ أى ٧ : ١» واسما لمدينة «كما فى يش ١١ : ١ و ١٩ : ١٥» و (شمرون) بضم الشين وردت اسما لجبل ولمدينة كما فى «١ مل ١٦ : ٢٤» وكلا اللفظين من مادة واحدة فى العبرية ومعناها «الحفظ» وربما كان ضبطهما فى الأصل واحداً فأخطأوا فيه على مر الأزمان وخصوصا لأن جمهورهم كان قد نسى اللغة العبرية القديمة بعد سبى بابل «انظر نح ٨ : ٨» وما كانوا يحفظون كتبهم المقدسة فى صدورهم كالمسلمين وهذا الضبط «الشكل» الحالى لم يكن عندهم قديما بل أحدثوه بعد المسيح بقرون وإذا صح فلا يمنع مما ذكرنا.

وليس هذا التعريب المذكور هنا ببدع فى اللغات، ألا ترى أن الأفرنج تسمى «جبل طارق» مثلا فى لغاتهم (جبرولتار) (Gibraltar) وكان العرب يستبدلون فى لغتهم «شين» العبرى المعجمة «بالسين» المهملة، حتى أن أهل الكتاب «اليهود والنصارى» يعربون شين العبرية سينا فشمرون «بضم الشين كما فى ١ مل ١٦ : ٢٤» يسمونها السامرة وكذلك موشى «بالشين» موسى و (يشوع) يسوع أو عيسى كما سماه القرآن الشريف وكما هو فى اللغة اليونانية وغيرها ايسس (Iosous) وفى الإنكليزية جيسس (Jesus) ويسمى الأفرنج أيضا شمرون هذه ساميريا (Samaria) فكل اللغات تتصرف بالأسماء المنقولة، فلم يستبيحون لأنفسهم وللناس ذلك ولا يبيحون للقرآن أن يسمى أحد «الشمرونيين» بالسامرى وهو من التعريب المعروف فى لغته.

فإن قيل: إذا كان هذا الرجل معروفا شهيراً بين بنى اسرائيل حتى إذا أطلق لفظ السامرى فى زمنه فلا ينصرف إلا إليه فلماذا لم تذكره كتبهم ؟!

قلت: الظاهر أن كتبهم - مع طولها ولغوها - لم تستقص كل شئ فكم من أشياء تُرك ذكرها فيها لسبب ولغير سبب. ألا ترى أن بولس ذكر فى إحدى رسائله أن ينبس ويمبريس قاوما موسى «٢ تى ٣ : ٧» ولا وجود لهذين الاسمين فى الأسفار الموسوية أو غيرها مطلقا ولا تعرفهما اليهود وكذلك ذكر يهوذا فى رسالته أن ميخائيل خاصم إبليس بخصوص جسد موسى «عدد ٩» وأن أخنوخ تنبأ عن مجئ الرب مع قديسه «عدد ع ١٤» ولا وجود لشئ=

فهل قدرة الشيطان عندهم وصلت إلى حـد أن قلب على الله غرضه أيضا فى

= من ذلك فى باقى أسفار كتابهم المقدس.

فهل يدل هذا على كذب بولس ويهوذا؟ فالحق أن اليـهود لم تخص السامرى هذا بالذكر لأنهم أرادوا أن ينسبوا لهارون عمل العجل كـما نسبوا لسليمان الكفر وكما نسبوا لغـيرهما ما نسبوا، ولم يعمل السامرى شـيئاً آخر بينهم قبل ذلك أو بعده حتى يذكـروه به فى غير هذا المقام، فلما طال عليهم الأمد نسـوا قصته واسمه إلا قليلا منهـم فإن الظاهر أن القرآن لم يخالف فى ذلك بعض روايات أهل الكتاب من العرب وهى التى كان يرويها عنهم ابن عباس وغيره كما فى التفاسير ولذا لم يسمع أنهم انتقدوا عليه هذه القصة ولو خالفهم لانتقدوها عليه كما انتقدوا عليـه قوله عن مريم أنها أخت هارون وغـير ذلك (راجع كتاب «الجـواب الصحيح» لابن تيمية جزء ١ ص ٧٠ - ٧٣) على أن من راجع ما يكتبه الآن علماء الأفرنج فى كتبهم المقدسة علم أن هذه الكتب أصـبحت مشكوكا فيها لدرجـة أن الإنسان لا يصح له أن يجزم بأى خبـر فيهـا ولو كان مما يتـوهمه متـواترا بين أهل الكتاب إذ لا شئ متـواتر بينهم، ولا مقطوع بصحته، ولا مجزوم بأصله وحقيقته إلا القليل فذكرها للشئ وعدمه عندنا سيان.

الا ترى مثلا أن لوقا ذكـر اسم (قينان) بن ارفكشاد) (٣:٣٦) أخذا عن الترجمة السـبعينية التى ذكرته فى سفر التكوين (١٠ : ٢٤ و ١١:١٢) مع أنه لا وجـود لهذا الاسم فى الأصل العبرى فى هذين الموضعين. فإن كان سقط من النسخة العـبرية كان دليلاً على جواز حصول مثل ذلك أيضـا فى اسم السامـرى مثلا قـبل أن يترجم هذا الأصـل إلى أية لغة أخـرى، حتى الكلدانيـة ترُجم إليهـا بعض الأسفـار بعـد موسى بأكـثر من الف سنة، وإن كـان زيد فى الترجمة السبعينية وفى إنجيل لوقا كما اعترف به أشدهم تعصبا كصاحب كتاب الهداية (ج ٣ ص ٢١٧ و ٢١٨) كـان دليلا على مـيل نفـوس اليهـود والنصـارى من قديم الزمـان إلى التلاعب والتـحريف فى كتبـهم المقدسة حتى فى مـثل هذه المسألة التى لا يظهر لهـا سبب يحملهم على تحريفها!!

فكيف إذاً نعول على نقل من كان هذا شأنه وهو لا يخشى الله ولا يخشى الناس؟ وكيف لم ينه المسيح ولا تلاميذه اليهود عن هذا التلاعب مع أن الترجمـة السبعينية هى التى كان يعول عليها الناس فى زمنه حتى هو نفسه وتلاميذه كما يقولون، فهل جهل المسيح ذلك أم جارى الناس فى الغش والخطأ والضلال - حاشاه - فـالحق أنه ترك بيان ذلك للبارقليط وإلا فكيف يترك الله الناس فى هذه الفوضى وهذا الضلال فى أمر هذه الكتب؟ فلولا القرآن ما اهتدى أحد إلى حقهـا من باطلها فلله الحمد على نعمتـه وهدايته برسوله خاتم النبيـين وإمام المصلحين والمرسلين.

ذلك كما قلبه عليه مرارا غير ذلك مما بيناه آنفا حتى جعل الذين أراد الله أن يكونوا مثالاً حسنا للناس وهداية لهم وقدوة صالحة جعلهم شر الأشرار فأتوا من الشرور ما تنفر منه طباع أحط البشر أخلاقاً كزنا الإنسان بناته!! وكيف يقبل الناس على تعاليمهم بعد فعالهم هذه؟ وكيف سردت كتبهم أكثرها - كما قلنا - بطريقة لا تشعر بشناعتها ولا ببشاعتها ولا بالإنكار على فاعلها ونبذه كنبذ النواة!؟ راجع كتاب دين الله (ص ٦٧ - ٧١) ثم راجع أيضا قصة داود وسليمان مع شمعى بن جبرا (فى ١ مل ٢: ٨ و٩ و ٣٦ - ٤٦) وفيها ترى أن داود وهو على سرير الموت يوصى ابنه سليمان بقتل هذا الرجل (شمعى بن جبرا) بعد أن أقسم له بالله أنه لا يقتله فسلط ابنه عليه وهو محتضر.

وسيرة داود عندهم معروفة مشهورة وقساوته وظلمه لا مثيل لهما (حاشاه) حتى أنه عذب أسرى بنى عمون بالمناشير ونوارج الحديد والفؤوس (٢ صم ١٢: ٣١ و ١ أى ٢٠: ٣) وسيرهم فى أتون الآجر أى أحرقهم بالنيران (راجع كتاب دين الله ص ١٢٥ و ١٢٦) وداود هذا هو الرجل الذى نصت كتبهم على أنه كان باراً ولم يعص الله قط إلا فى مسألة أوريا وزناه بزوجته وتعريضه للقتل بكتاب أرسله معه وهو لا يعلم ما فيه فقال سفر الملوك الأول (١٥: ٥) عنه (لأن داود عمل ما هو مستقيم فى عينى الرب ولم يحد عن شئ مما أوصاه به كل أيام حياته إلا فى قضية أوريا الحثى)[1] وهو صريح فى أن الله راض عن داود فى كل أعماله السيئة الشنيعة

(١) بمقتضى هذه العبارة تكون جميع أفعال داود الآتية وغيرها مرضية عند الله، وكلها مستقيمة فى عينى الرب وطبق وصاياه، فمن ذلك ما فعله ببنى عمون كما ذكر فقط فى المتن وقتله ٢٠٠ من الفلسطينيين ليتزوج ابنة شاول مع أن شاول طلب منه قتل ١٠٠ (١ صم ١٨ : ٢٥ و ٢٧) وتعليمه (يونانان) أن يكذب على (شاول) (١ صم ٢٠ : ٦) وكذبه على (أخيمالك) الكاهن (١ صم ٢١: ٢) وشكره لله على موت (نابال) لكى يتمكن من زواج امرأته المسماة (أبيجايل) لأنها جميلة الصورة (١ صم ٢٥: ٣و ٣٩) وكذبه على (أخيش) بعد قتله الرجال والنساء (١ صم ٢٧: ٩ - ١١) ووصيته وهو محتضر لابنه بقتل رجل أقسم له بالله أن لا يعاقبه على ما فعل (١ مل ٢: ٨و٩) وزواجه بنساء كثيرة وأخذه سرارى عديدة (٢ صم ٥: ١٣) وحزنه على (أمنون) ابنه حينما قتل وبكائه من أجله بكاء مراً كل يوم مع أنه فسق =

القاسية إلا مسألة أوربا وهم لا يزالون يرتلون مزامـيره ويعبدون الله بها!! فما بالهم

= بأخته ابنة داود أيضاً وافتضها كرهاً وهى عذراء بعد أن خدعها خدعة دنيئة «٢ صم ١٣» فخالف داود بذلك أمر الله القاضى بقـتله «لا ٢٠: ١٧» حتى أنه لم يحزنه لحبه إياه لأنه بِكْرُه كما فى الترجـمة السبعينية «٢ صم ١٣: ٢١» وحقـد على ابنه «أبشالوم» الذى قتل «أمنون» هذا انتقاماً لأختهما حتى طرده داود بعد رضاه بعودته إليه ولم ير وجهه مدة سنتين «٢ صم ١٤: ٢٤ و ٢٨».

قارن ذلك بفعل عمر بن الخطاب الذى جلد ابنه حتى مـات لزناه وهو غير محصن بامرأة، فلم يشفق عليه ولم يرحمـه حتى أنفذ فيه حكم الله (راجع أيضا كتاب «التـوارة غير موثوق بها» فى الإنكليزية ص ١٠٢ و ١٠٣) وإذا كانت عبارة الترجمـة السبعينية المذكورة هنا مكذوبة على داود فَلِمَ لَمْ ينبه عيسى الناس إلى تحريف هذه الترجمة مع اختلافها عن العبرية فى كثير من العبارات غير هذه؟ وكيف اعتمدها - كما يقولون - هو وتلاميذه حتى عول عليها النصارى جميعا بعده إلى القرن الخامس عشـر ولا يزال يعول عليها كثير منهم إلى اليوم؟ أو إن كانت هذه العبارة صحيحة أفلا يدل سقوطهـا من الأصل العبرى على حصول التحريف والتبديل فيه؟ فكيف إذاً يطمئن الإنسان أو تثق نفسه بشئ مما جاء فيه؟

وكيف رضى إلههم لدواد عن كل ذلك وغيره ولا يرضى الله تعـالى لمحمد تعدد الزوجات القليل - الذى كان لمصلحتهن ككفالة الأرامل أو للمصلحـة العامة - وغير ذلك مما ينتقدونه عليه؟! ولم يريدون أن يكيل تعالى لعباده بمكيالين؟

إله المسلمين وإله النصارى

ولو فرض جدلا أن النبى ﷺ كـان خاطئا فى شئ ما فالله تعالى قد طـالبه مراراً فى القرآن بالتوبة والاستغفار لذنبه ولم يقره على خطأ ما، فأى الإلهين أطهر وأقدس؟ إذا صح أن إلهنا غير إلههم كمـا يتبجح بذلك الآن متعصبو المبشـرين منهم. على أن محمداً ﷺ ما ارتكب صغيرة ولا كبيرة قط إلا هفوات بسـيطة لا يخلو منها بشر وهى المسماة بالذنوب فى القرآن على حد قول القـائل «حسنات الأبرار سيئات المقـربين» وعدم ذكر مثلها لغيـره من الأنبياء كشعيب وهود وصالح وعيسى ويحيى وزكريا وغـيرهم سببه: أنه لا فائدة من ذكرها بالنسبة لهم بعد أن انقضى زمنهم، ولأن القرآن لم يأت بدقائق تواريخهم كلها، إلا ما كان فيه عبرة لنا ولا يخفى أن عدم الدليل لا يدل على عـدم المدلول. أما ذكرها بالنسبة لمحـمد ﷺ فهو لإرشاده وتأديبه وتكميله ولتعليم أمته وهدايتـها لما فيه الخير والصلاح ولولا هداية الله لضلَّ محمد كغيره من قومه وضلت أمته معه فلله الحمد هادى الضالين رب العالمين.

الآن يطعنون على محمد لجهاده الأعداء الذين آذوه وآذوا أمته وفعلوا بهم من الاضطهاد والقتل ما فعلوا. أما اغتياله لبعض أعدائه المحاربين له ولأمته فقد تكلمنا عليه فى كتاب «الإسلام» ص ٥٨ - ٦٠ (راجع أيضا كتاب «صدق المسيحية» فى الإنكليزية ص ٢٥١ و ٢٥٢ ففيه كلمة فى هذا الموضوع دفاعا عن كتبهم الآمرة بإبادة الكنعانيين [1] يصح أن تكون أيضا دفاعا عن الجهاد وقتل الأعداء ولو غيلة) وكان لداود أيضا نساء عديدة وامتن الله عليه بإعطائه إياهن (٢ صم ١٢ : ٨).

فما بال النصارى لا يرون الخشبة فى أعينهم ويرون القذى (إن سلم أنه قذى) فى أعين غيرهم؟! فتراهم يستحسنون كل ذلك ويجعلون المسيح المثال الأكمل للبشر على ما وصفته كتبهم به مما سبق ذكره.

فضائل الإسلام

وأما محمد فينبذونه ويستقبحون أعماله، وهو الذى أصلح العالم كله وخلصه من الشرك والوثنية وعبادة البشر والصور والصلبان والأصنام ودعا بوحى الله إلى كل خير وحرم الخمر بتاتا وهى لا شك أم المفاسد، وأمر باجتناب كل شر وكل ما فيه ضرر وأتى بمكارم الأخلاق الصحيحة قاطبة وفرض على أتباعه الصلوات الخمس، وحث على قيام الليل فى عبادة الرحمن، وأوجب الصوم والزكاة وفعل كل خير بالأيتام والفقراء وأبناء السبيل والأسرى والرقيق وغير ذلك مما فصلناه فى كتبنا «الدين فى نظر العقل الصحيح» و «الإسلام» و «دين الله فى كتب أنبيائه» وغيرها، وأصلح حال المرأة إصلاحاً لم يسبقه إليه أحد، ودعا للعمل للدنيا والآخرة كقول القرآن **﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾** [القصص: ٧٦] وغيره مما ذكرناه سابقاً.

---

(١) راجع مثلا سفر التثنية (٢٠ : ١٦) تجد فيه الأمر بإبادة ست أمم حتى نسائهم وأطفالهم.

ثم إنك ترى أن جميع تعاليمه عملية وصالحة لخير هذا المجتمع ولا تزيده إلا عزاً ورفعةً وعلماً وتقدماً ومدنية وهي بعيدة عن كل عيب أو غلو أو استحالة، قارن مثلا قول القرآن الشريف ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩] بقول عيسى (لو ١٨ :٢٢) «بع كل مالك ووزع على الفقراء» فأى القولين مؤد إلى العمل والاجتهاد والكد وسبب لعمارة هذه الأرض؟ وقس على ذلك باقى تعاليم الدينين (راجع أيضا لو ١٨ : ٢٤و ٢٥ و ١ ع ٢: ٤٤ و ٤٥ و ٤: ٣٢ ومت ٦ :٢٤) ولا يرد علينا بحال المسلمين اليوم فإن الإسلام (كما فى القرآن والسنة النبوية) غير مسلمى هذا الزمان وفقهم الله لمعرفة حقيقة دينهم التى أخفاها عنهم الجهل والتقليد ومن تمسك بحال مسلمى اليوم فهو كالمتمسك بحال نصارى القرون الوسطى أو نصارى الحبشة ونحوهم الآن مستدلا بذلك على قبح المسيحية وانحطاطها وسقوطها فهل هذا من الإنصاف والعقل فى شئ؟!

تذييل للفصل السابق
فى النبيذ عند العرب

ننقل هنا ما يأتى بحروفه عن كتاب «الهدى إلى دين المصطفى» لأحد علماء الشيعة المحققين بالعراق، قال حفظه الله فى ص ٦٨ - ٧١ من الجزء الأول:

إن المتكلف (يريد صاحب «كتاب الهداية») كان شاعراً بما فى كتب العهدين من تلويث قدس الأنبياء وخصوصاً المسيح بشرب الخمر فحاول أن يموه على البسطاء المغفلين ويلوث قدس خاتم المرسلين بشربها فتشبث لذلك بأخبار آحاد لم يتحقق سندها ولم يفهم مدلولها، ولو أنها صحت، وكانت لها مداخلة فى أصول الدين لكانت أجنبية عن مقصوده الممتنع عليه.

فقال فى الهداية ج١ ص ١٢: إن محمداً شرب الخمر، وذكر عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أتى السقاية فى مكة وقال اسقونى من هذا فقال العباس ألا نسقيك مما فى البيوت؟ فقال ﷺ: لا ولكن اسقونى مما يشرب منه الناس، فأتى بقدح من نبيذ فذاقه فقطب ثم قال هلموا وصبوا فيه الماء، ثم قال زد فيه مرة أو مرتين أو ثلاثا ثم قال إذا صنع أحد منكم هكذا فاصنعوا به هكذا.

وذكر عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ عطش وهو يطوف بالبيت فأتى بنبيذ من السقاية فشمه ثم دعا بذنوب (أى دلو) من ماء زمزم فصب عليه ثم شربه فقال له رجل: أحرام هذا يارسول الله؟ فقال لا.

وقد غفل المتكلف أو تغافل عن أن اسم النبيذ مأخوذ من النبذ وهو الطرح. وقد كان النبيذ على قسمين «أحدهما» أن يطرح التمر أو الزبيب فى الماء فى الأوانى التى تصير على التمادى إلى أن يبلغ حد الإسكار كأوانى الدباء وهو القرع اليابس، والمزفت وهى أوان تطلى بالزفت، والحنتمة وهى أوان خزفية تدهن بالقلى، ونحوها فيترك زمنا طويلا إلى أن يبلغ حد الإسكار.

«وثانيهما»: أن ماء الحجاز كان مرامضرا فيطرح فيه لمداوة طعمه وطبعه ما

يتمكن الأعرابى منه فى ذلك الزمان وهو قليل من التمر فإن ترقى فالزبيب بمقدار الكف أو أقل يطرحونه فى السقاء غدوة فيشربونه عشياً ويطرحونه عشيا فيشربونه غدوة حينما يؤثر طعم التمر أو الزبيب فى الماء حلاوة ما.

وقد تضافرت الأخبار الكثيرة بأن رسول الله ﷺ كان ينهى عن نبيذ الدبا والمزفت والحنتمة بسبب أنه يصبر عليه حتى يبلغ حد الإسكار ويرخص فى نبيذ الأسقية وهو أن يطرح فى السقاء كف أو نحوه من التمر أو الزبيب فيشرب فى يومه أو صبيحة ليلته حينما يطيب طعم الماء بحلاوة التمر أو الزبيب، لأن أسقية البيوت لا تحتمل أن تشغل زمنا طويلاً بالنبيذ، ولا تقوى على بقائه [1] إلى أن يختمر ويتعفن ويبلغ حد الإسكار، انظر إلى مسند أحمد وغيره من كتب الحديث فعلى المتكلف فى تشبثه بما ذكر من الحديثين إن صَحَّا فى الجامعة الإسلامية (يعنى إجماع المسلمين) أن يعين دلالتهما على أن النبيذ المذكور فيهما كان من القسم المسكر المخمر لا الذى ذكرنا أنه يطرح فيه قليل من التمر أو الزبيب لمحض تطيب طعم الماء على عادة أهل الحجاز.

ونحن نقول إن المتعين كون النبيذ فيهما من هذا القسم لا القسم المسكر لوجوه:

(أولها) : أنه لو كانت فى مكة مصانع للنبيذ المسكر كمصانع أوربا لما وسعت كفاية الألوف العديدة من الحجيج فى الأيام الكثيرة وهو يعطى مجانا لهم، وكيف يقوى العباس على ذلك؟

(وثانيها): أن السقاية فى مكة كانت لإرواء الحجيج من العطش لا أنها حانوت خمار.

---

(١) يعنى أنها تنفجر غالبا من الغاز الذى يتولد من الاختمار كما هى العادة إذا اختمر ما فى الزق اختماراً شديداً وكان الزق قديماً مستعملاً من قبل كثيرا فى البيوت كما يعرف ذلك يسوع نفسه ويضرب به المثل لكثرة مشاهدته لصناعة الخمر وممارسته لها حتى لم تغب عن ذهنه ولا فى وقت تعليم الناس ولم ينس لذة العتيق منها!! - حاشاه - راجع إنجيل لوقا ٥:٣٧ - ٣٩ وغيره من اناجيلهم.

(وثالثها): أن هذه الواقعة إن كانت فإنما تكون بعد فتح مكة فى أواخر أيام النبى ﷺ ومقتضى الأخبار التى ذكرها المتكلف (الهداية ١ ج ص ٢٣ و ٢٤) أن الخمر حرمت فى أوائل الهجرة. وفى ما ذكره عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال فيما شربه إنه ليس بحرام، مع أن حرمة النبيذ المسكر كانت حينئذ مقررة معلومة فى الإسلام.

(رابعا) : الذى يكشف الحجاب ما صح نقله عن جعفر الصادق وهو الإمام السادس من أهل البيت حيث قال فى نبيذ السقايه: إن العباس كانت له حبلة وهى الكرم فكان ينقع الزبيب غدوة فيشربونه بالعشى وينقعه بالعشى ويشربونه غدوة ويريد أن يكسر به غلظ الماء على الناس.

وأما سر تقطيبه صلوات الله عليه فى رواية ابن عباس فليس لأن النبيذ الذى اعطى له كان من القسم المسكر، بل لأن حلاوة التمر والزبيب كانت زائدة على المتعارف من نبيذ الأسقية، فإن الحلاوة إذا ظهر أثرها مع مرارة الماء كانت من المهوعات، فزاد عليها من الماء إلى أن ردها إلى النحو المتعارف، وأرشدهم إلى أن هذا هو الذى ينبغى أن يكون عليه هذا النحو من المشروب لإصلاح طعم الماء.

ولو تنزلنا وفرضنا أن النبيذ المذكور فى الروايتين كان من القسم المسكر لكانتا دليلا على أنه صلوات الله عليه كان يعاف المسكر ويشمئز ويقطب وجهه الشريف منه، ولم يشربه حتى أخرجه عن موضوعه وصورته بإراقة الماء الكثير عليه [1].

(١) يقول مؤلف هذه الرسالة: سلمنا صدق هذه الرواية وأن رسول الله شرب - وهو مسافر فى الحج وفى الحر الغالب فى بلادهم - من هذا الشراب المخفف المشتمل فرضا على أثر من الكحول المتولد من قليل من التمر أو الزبيب ما روى بـه ظمأه حيث لم يجد ماء صالحاً للشرب سواه، وهو - على فرض أنه كان متخمراً - أقل فى ذلك عادة مما فى البيوت لقصر زمن التخمير، ولذلك أبى أن يشرب مما فى البيوت وشرب هذا بعد إضعافه بالماء الكثير.

ولا يخفى أن تحريم شرب مثل هذا الشراب المخفف جداً لإرواء الظمأ فى وقت الحر والسفر والتعب هو لسد الذريعة إن كان يوجد غيره صالحاً وخاليا من كل أثر من الكحول، وقال =

أفبهـذا يتشبث الكاتب ويقول بملء فـمه ومهوى قلمـه إن رسول الله ﷺ شرب

=الفقهاء: «إن ما حرم سداً للذريعة يباح للمصلحة» فما بالك إذا كان ثم ضرورة حيث لا يوجد ماء عذب غيره؟

أما من الوجـهة الطبية فـشرب ما كان به أثر من الكحـول فى الحر والسفر وبعـد التعب لإرواء الظمأ هو مغـذ منبه مزيل للتعب ملطف للحرارة ولا ضـرر فيه مطلقاً خصـوصاً إذا لم يشربه الإنسان فى حيـاته إلا مرة أو مرات قليلة جداً فى مثل تلك الظروف ولم يعتـده فى جميع أوقاته كما يفعل مدمنو الخمر.

فترى من هذا أن المصلحة بل الضرورة تبيح ما فعله رسول الله إن صح الحديث، وهو لا ضرر فيـه مطلقاً بل هو مما يدل على سـماحة الإسـلام وأنه لا يحرم إلا مـا كان ضارا أو مـا يخشى ضرره فشرائعـه ليست عبثا ولا إعناتا، وإلاَّ فليخبـرنا هذا العنيد أى ضرر فى ذلك الشراب والنبى لم يرو أنه شـربه أو شرب غيـره بعد التـحريم إلا فى هذه المرة، حـتى فى أضعف الأحاديث وأسخفها التى يتمسك بها النصارى عادة فى الرد علينا.

فأين هذا من سكر أنبيائهم وإسكارهم لغيرهم كمـا بينا ومن شرب المسيح مرارا الخمر بمقتضى قوله لو ٧ : ٣٣ «لأنه جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزاً ولا يشرب خمراً فتقولون به شيطان ٣٤ جاء ابن الإنسان يأكل ويـشرب فتقولون هو ذا إنسـان أكول وشريب خمر مـحب للشاربين والخطاة».

وهو صريح فى اعتـرافه بشرب الخمر بخلاف (يحـيى) حتى عيَّره معـاصروه بذلك، ولو كانوا كاذبين لأنكر عليهم قولهم هذا ولما كانت عبارته كـما ترى، وقد ذكرنا أيضا أنه حول الماء خمراً للسكارى فى العرس (يو ٢ : ١٠) وسـقاهم أو أمرهم بشربها «عـدد ٨» وكذلك فرض على أتباعه شـربها فى العشاء الربانى، ولو أنهـا كانت قليلة إلا أن شربها يتكرر كلـما تكرر عمل هذا العشاء لذكراه، وهو يعمل عندهم كثيراً فيجرهم إلى شربها الكثير وقد كان.

وجاء فى سفر التثنية ١٤ : ٢٦ قوله «وأنفق الفضة فى كل ما تشتهى نفسك فى البقر والغنم والخمر والمسكر وكل مـا تطلب منك نفسـك وكُلْ هناك أمام الرب إلهك وافـرح أنت وبيتك» وأمـرت كتبهم اليهود بتقديمها للرب، وامتنت عليـهم بإنعام الله بها عليهم، وقدمتها أنبياؤهم للناس مرات (راجع خر ٢٩ : ٤٠ ولا ٢٣ : ١٣ وعد ١٥ : ٥ و ٢٨ : ٧ وراجع أيضاً تث ١٤ : ٢٣ و ٣٣ : ٢٨ و ٢ صم ٦ : ١٩ إلخ إلخ راجع «كتاب دين الله» صفحة ٩٨.

فترى من هذا أن النصارى واليهود بمقتضى كتبهم يجب عليهم صناعة الخمر لاحتياجهم إليها فى فرائـض دينهم ولهم أن يشربوها قليـلا أو كثـيراً كـما شـاءوا. فمن يلوم الأفـرنج إذاً على =

الخمر؟!! وقد فات المتكلف المتشبث أن في أخبار الآحاد التي لا تقيم لها الجامعة الإسلامية وزنا ما يساعفه على مقصوده بعض المساعفة فقد روى فى مسند أحمد : أن رجلا كان إذا قدم المدينة أهدى لرسول الله ﷺ خمراً فقدم مرة ومعه زق خمر ليهديه إلى رسول الله ﷺ فقيل له إن الخمر قد حرمت.

ولكن ماذا يعمل الوهم من هذا الخبر فى مقابلة متواترات الآثار ومعلومات السير بأن قُدْسَ رسول الله لا تحوم حوله هذه الأوهام، وقد جاء عنه صلوات الله عليه فى مستفيض الحديث من طريق أهل البيت قوله ﷺ: «أولى ما نهانى عنه ربى شرب الخمر وعبادة الاوثان» وكفاك أن مشركى قريش، والعرب قد تمحلوا فى تكذيب رسول الله وكابروا الوجدان وغالطوا العيان بدعواهم أنه صلوات الله عليه مجنون، ولو أنه صلوات الله عليه كان يمكن أن يرمى بشرب الخمر والمسكر لتيسر لهم أن يقولوا بلا مكابرة للوجدان أن ادعاءه ﷺ للرسالة والوحى إنما هو من سَوْرَة الخمر وعَرْبدة السكر وخيالات الخمار.

ولكنه كان صلوات الله عليه ولم يكن لقائل فيه مغمز. فياذا الرشد والفكر الحر الذى لم يستأسر للعصبية والتقليد. سألتك بفضيلة الصدق وشرف النفس هل كان من الرشد وأدب الكاتب أن يتغاضى هذا المتكلف عما لوثت به الكتب الإلهامية فى نحلته قُدْسَ الأنبياء وخصوصا المسيح بشرب الخمر وحضور مجلس السكر صريحا ويتشبث لتلويث قدس رسول الله بهذه الأوهام . أ . هـ.

=انغماسهم فى شربها وكثرة صناعتهم لها وتجارتها حتى وقعوا ويقعون بسببها فى كثير من الموبقات المهلكات فلهم العذر فى ذلك فإن دينهم هو الذى أداهم إلى ذلك كله!

نعم إن كتبهم قد ذمت الخمر والمسكر وشاربهما فى بعض المواضع (راجع أمثال ٢٠: ١ و ٢٣ : ٢٠و ٣٠ واش٥ :١١ و ٢٢ ولو ٢١: ٣٤ و أف ٥:١٨) ولكنها عادت فأباحتها كما بينا وهو من عجيب تناقضها واضطرابها بسبب تحريفهم لها فى ذلك وغيره اتباعا لشهواتهم، تعالى الله وحاشا لأنبيائهم أن يبيحوها لهم كما يفترون.

فصل فى رد ما يستدلون به من القرآن على عدم تحريف كتبهم

قد يقول بعض القارئين: إذا صح قولك فيما سبق بضياع جزء عظيم من الإنجيل واختلاط الحق بالباطل فيما بقى منه توافقها فى الجملة وتصدقها فى الجوهر، فلا تظنوا أيها المشركون أن النبى اخترعها بعقله بل اسألوا عنها أهل الكتاب تجدوا أنها معروفة بينهم ومروية فى كتبهم.

فوجود قصص القرآن عند الناس من قبل لا يضعف حجته كما يتوهم المبشرون بل هو من أعظم ما يصدقه ويؤيده ولذلك ترى القرآن نفسه يستدل بها على كونه من عند الله؛ لأن النبى لم يطلع على كتب أهل الكتاب وكان أميا ولا يستنتج القارئ من هذه الآية أن قصص القرآن يجب أن لا تختلف عن قصص التوارة والإنجيل فى شئ ما.

كلا! إذ لو كان هذا الاستنتاج صحيحا لما قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦] فقصصه قد تختلف عما عندهم وتبين لهم حقه من باطلة. فلا منافاة بين تصديق القرآن لقصصهم فى الجملة ومخالفته لها فى بعض الجزئيات كما قلنا.

ويجوز أن يكون المراد بقوله ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [يونس: ٣٧] تصديق الحق الذى عندهم لا كُلّ الذى عندهم وإلا لدخل فى ذلك عقائدهم الفاسدة وأوهامهم وخرافاتهم وغيرها مما جاء القرآن لإزالته ومحقه، ويستحيل أن يكون مصدقا لما جاء لإبطاله، فتنبه لذلك ولا تكن من الغافلين.

سورة المائدة وتحريف التوارة والإنجيل

أما استدلالهم على عدم تحريف كتبهم بما فى سورة المائدة ونحوها من مدح التوارة والإنجيل وأمر أهلهما بالحكم بهما . فهاك بيان ما اشتبه عليهم من آيات هذه السورة: قال تعالى ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ ﴾ [المائدة: ٤٣] وهى شريعة موسى ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٣] وهو أمر لا ننكره ونؤمن به، ولكنه لا يفيد المبشرين شيئا فى إثبات دعواهم ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ﴾ وهم معلمو شريعة اليهود وعلماؤها يحكمون ويفتون ويقضون ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ بما طلب منهم المحافظة عليه من التوارة، وفيه دليل على أن بعض أحكام التوارة كانت مؤقته ولم يطلب منهم المحافظة عليها فهم إنما يحكمون بما لم ينسخ منها ﴿ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ أى رقباء يعلمون أنه لم يحرف لشهرته بينهم وتواتره فمعلمو اليهود وعلماؤهم الصالحون لا يفتنون ولا يقضون إلا بما لم ينسخ من شريعتهم وما لم يحرف منها لشيوعه وتداوله وتواتره بين الناس بالعمل به. ولما كانت شريعتهم صالحة لزمنهم ونافعة لهم، قال الله تعالى لهم ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ الخ.

وذلك لأن كثيرا منهم كانوا لا يبالون بالتوراة ويحرفونها ويقاومون المصلحين، ويقتلون النبيين (عب ١١: ٣٧) ويشركون ويرتدون، ولولا علم موسى ذلك عن طباعهم ما قال لهم ما قال (راجع مثلا: سفر التثنية إصحاح ٢٨- ٣١) ثم قال الله تعالى﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ.... وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ﴾ الآية وكما قال تعالى لأتباع موسى ﴿لا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ قال أيضا لأتباع عيسى ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ وإنما خص «أهل الإنجيل» بالذكر لبيان أن الإنجيل لم ينزله الله للأمم كافة كما يزعمون وليست شريعته باقية لكل زمان.

وقد بينا أن بعثة عيسى كانت خاصة بالأمة اليهودية (فى ص ١٩٣ و١٩٤) وحذف لفظ «القول» فى القرآن كثير كما فى قوله تعالى ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟﴾ [غافر: ١٥] ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ وقوله ﴿فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: ٤٥] وقوله﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلامٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣] وغير ذلك مما يعرفه المطلعون على أساليبه وتراكيبه، فكذلك هنا حذف لفظ «قلنا» قبل لفظ «ليحكم». وفى قراءة حمزة - وهى من القرآت السبعة المتواترة بين المسلمين - (لِيَحكم) بكسر اللام وفتح الميم، والمعنى آتينا عيسى الإنجيل ليحكم به أهله وهم الذين بعث إليهم من بنى إسرائيل ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٧] أى شاهدا على ما فيه من الحق والباطل، ولا يدل ذلك على أنه يمنع تحريفه كما زعم بعضهم فإن الشاهد على أى شئ كالجرائم ونحوها ليس من شأنه أن يمنع مرتكبيها منها وإنما هو يقرر أمام القضاء ما علمه عنها. وقد توسعنا فى بيان ذلك فى كتاب دين الله (فى حاشية ص ٨٤ و ٨٥). فراجعه إن شئت

﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم «يامحمد»بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ المائدة: ٤٧] بأن تعمل بما فى كتبهم فإنهم كتبوها كما شاءوا وشاءت أهوائهم ولم يبقوا فيها من شرائع الله إلا ما وافق أميالهم وأغراضهم حتى اختلط فيها الحق بالبطل زد على ذلك أننا ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ فإننا وضعنا لكل أمة سابقة ولاحقة طريقة وشريعة توافق مصلحتها وقد تخالف مصلحة غيرها فلا تعمل إلا بما أنزلناه إليك فإن شريعتهم - حتى السالمة من التحريف والتبديل - فيها مالا يوافق أمتك ولا يناسب حالها ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أى لتسارع كل أمه من السابقين واللاحقين فى طريق الطاعات وعمل الخيرات، وهذا الكلام كما قيل لنا قيل أيضا لكل الأمم الغابرة فإن الجميع طولبوا بعمل الطيبات الصالحات والمبادرة إلى طاعة الله تعالى والتسابق فيها مع الأمم الأخرى المعاصرة لهم أو بعضهم مع بعض ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا

﴿كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بعضكم مع بعض أو بعض الأمم السابقة بمن أدركوه من الأمم اللاحقة.

ثم قال تـعالى ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٨] فـأى شئ فى هذه الآيات يدل على عـدم تحريف التـوارة والإنجـيل مع أنها صـريحـة فى عكس ذلك وفى نسخهما والأمر بعدم الالتفات إليهما بعد القرآن؟ إلا أن الغرض يعمى ويصم!!

وأمـا قـوله تعـالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٧] الآية فمعناها هكذا (لستم على شئ) يصح أن يقال له دين أو يعتد به (حتى تقيموا) أى تعلموا طبق الواجب بأحكام (التوارة والأنجيل) وتحيـوا شرائعها وتطيعوا أوامـرهما وتنتهوا بنواهيهمـا فإن الإقامة هى الإتيان بالعمل عـلى أحسن أوجهه كإقـامة الصلاة مثلا أى فـعلها على الوجه اللائق بهـا، ولا يدخل فى ذلك القصـص التى فى التوارة والإنجـيل ولا العقـائد ونحوها فإنها ليست عملية.

والمراد أن يعملوا بما بقى عندهم من أحكام التوارة والإنجيل على علاته على ما به من نقص وتحـريف وزيادة فإن شرائع هذه الـكتب وأوامرها ونواهيـها هى أقل أقسامها تحـريفا، وأكثر التحريف فى القصص والأخبار والعـقائد وما ماثلها وهى لا تدخل فى الأمر بالإقامة، ولا شك أن أحكام التوارة والإنجيل وما فيهما من شرائع ومواعظ ونصائح ونحوها لا تزال فيهـا أشياء كثيرة لا عيب فيها ونافعـة للبشر وفيها هداية عظمى للناس، فهى مما يدخل تحت قوله تعالى ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ (٣) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمـران الأول] فإذا أقام أهل الكتاب أحكامـها على علاتها كانوا لا شك على شئ يعتد به ويصح أن يسمى دينا وإذا لم يقيموها وجروا على خلافهمـا كانوا مجردين من كل شئ يستحق أن يسمى دينا وكانـوا مشاغبين معاندين وبدينهم غير مؤمنين إيمانا كاملا.

وهذه قضية صحيحة لا يشك فيها عاقل وهى المعنى المتبادر من الآية. فأى شئ فى هذا المعنى يدل على عدم تحريف التوارة والإنجيل وعلى وجودهما عند أهلهما كاملين وخصوصا بعد قوله تعالى كما سبق فى اليهود والنصارى ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٢] فالآية تشبه قول تعالى ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٤٢] أى (وكيف يحكمونك) وهم لا يعتقدون صدقك وصحة نبوتك ﴿وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٢] فى المسألة التى تحاكموا فيها إلى النبى وهو حكم الله بحسب اعتقادهم أو بحسب الحقيقة.

ووجود هذا الحكم الخاص فيها لا ينافى القول بوجود أشياء أخرى كثيرة فيها محرفة، وسماها (التوراة) إما باعتبار عرفهم - كما نسميها نحن الآن وكما نسمى معبودات الوثنيين «بآلهتهم ودعاة النصرانية بالمبشرين» - أو باعتبار أصلها أو لاشتمالها على أشياء كثيرة من التوارة الحقيقية ، ولولا ذلك ما صح أن نسمى هذه الكتب بالتوارة والإنجيل مع اعتقادنا بتحريفها وتبديلها وعدم صحة كثير من أجزائها وكتبها (ثم يتولون من بعد ذلك) بعد أن حكمت لهم بعين الحكم الذى عندهم فى توراتهم التى يدعون الإيمان بها ويعتقدون صحتها (وما أولئك بالمؤمنين) بك ولا بكتابهم وإنما هم قوم مشاغبون معاندون متلاعبون مستهزئون لا يخافون الله ولا يخشون عقابه فى الدنيا والآخرة لقساوة قلوبهم وخلوها من الإيمان الصحيح، ولذلك لا يبالون بما خالف أهواءهم ولو كان فى كتبهم المقدسة عندهم.

ولنا أن نقول أيضا: إن معنى تلك الآية ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ الحقيقيين، . وذلك يستلزم البحث والتنقيب والجد والاجتهاد فى نقد ما عندهم منهما نقدا علميا عقليا تاريخيا صحيحا حتى يستخلصوا حقهما من باطلهما بقدر الإمكان كما يفعل علماء الأفرنج الآن، ونتيجة ذلك العناد كله أن يكونوا على شئ من الدين الحق، وهذا أمر لا شبهة فيه. ولو اتبعوا القرآن لأراحوا واسترحوا، ولكنهم كما قال تعالى لا يزيدهم القرآن إلا طغيانا وكفرا، وحسدا وعنادا فلا

يؤمنون به ولا يهتم جمهورهم بإصلاح دينهم من الفـاسد وتنقيته من الشوائب فلم يدركوا خـير هذا ولا ذك فكأن الآية تريهم أنهم إذا لم يتـبعوا القـرآن يجب عليهم القيام بعبء ثقيل جدا من البحث والتمحيص وبعد ذلك يكونون على شئ من الحق لا على الحق كله ولو أقامـوا التوارة والإنجيل الحقيـقيين غاية الإقامـة، فما بالك إذا كان ذلك مستحيلا لعدم وجودهما على حقيقتهما ؟ فهم ليسوا على شئ مطلقا ولا يمكن أن يكونوا عليـه، فإن كتـبهم قد صـارت خلقة بالية؛ لذلك قـال رسول الله لعمر - حينمـا رأى ورقة من التوارة بيده - «ألم آتكم بها بيضـاء نقية؟ والله لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعى» (انظر كتـاب «انتقاد كتاب تاريخ التمدن الإسلامى» ص ٥٦و ٥٧) .

فإن قيل وكـيف يحثهم الله على العمل بأى شئ من دينهم ومنه مـا جاء القرآن ناسخاً له؟ قلت لا شك أن كل عاقل مهما كان دينه يقـول كما قال القرآن فإنه خير لأهل الكتاب ولنا ولـلعالم أجمع أن يعـملوا بشرائع دينهم فإنـهم حينئذ يتـجنبون الكذب والتـحريف والعناد والأذى والإفـساد فى الأرض وإهلاك الحـرث والنسل والزنا وغير ذلك مما يعـمله الناس لولا اتباع الدين ولذلك يقول العقلاء جـميعا «ثق بالمتدين ولو كان على غير دينك» فمراد القـرآن - على التفسير الأول للآية - حثهم إن أصـروا على عدم الإيمـان به على العـمل بدينهم على الأقل ليـستـريح النبى وأتباعـة من أكثر شـرورهم ورذائلهم، ولكن هل بعد العـمل بدينهم يكونون على الدين الحق الكامل أم لا؟ فـالذى يفهم من الآية أنـهم يكونون على شئ من الدين وهو - لا شك - خيـر من لا شئ، ولا يفهم أنـهم يكونون على الحق كله وعلى الدين الكامل الذى لا غاية أعظم منه فـإن ذلك لا يكون إلا بالإسلام ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٢].

مراجع الكتاب

الأصول البشرية : تأليف لينج.
إظهار الحق لرحمة الله رحمة الله الهندى.
انتقاد مؤلفات زيدان.
الترجمة السبعينية.
الترجوم الكلدانى.
ترجمة سيل للقران.
التلمود.
التوارة غير موثوق بها لولتر جيكل.
التوسل والوسيلة لابن تيمية.
الجواب الصحيح لابن تيمية.
الحقيقة عن يسوع الناصرة لفليب سيدنى.
حكايات من العهد الجديد لجولد.
حكمة سليمان.
خطب أكليمندس الرومانى.
دين الخوارق.
شهود تاريخ يسوع لأرثر دروز.
صدق المسيحية لترتون.
طوبيت سفره.
علم الأعلام فى حقيقة الإسلام لجماعة المبشرين.

قاموس بوست.	
قاموس تشمبرس.	
لغز العالم	لهيكل.
مانيثو تاريخه.	
مذكرات الرسل.	
المسحاء الوثنيون	لروبرتسن.
مصادر النصرانية	لتوماس ويتاكر.
ملخص تاريخ الدين	لجولد.
مسند أحمد ابن حنبل.	
نشوء القرآن التاريخي	
النصرانية والأساطير لروبرتسن.	للقس إدورد سل.
نقد العهد القديم بنور العهد الجديد	للقس روس.
الهداية للمبشرين.	
الهدى إلى دين المصطفى	لعالم شيعي بالعراق.
يوسيفوس كتبه يوستينوس الشهيد.	

الفهرس